

بمحققين ويستخرج
عبدالله محمد طه

مكتبة (الجامعة) حفظ
أبي عثمان غنيم بن محمد الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الجزء الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمتها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفىطفى البانى اكلهى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود اكلهى وشركاهم خلفاء.

كتاب
الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق كاسر

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة للشارح

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تفصيه :

كل تسكلة موضوعة بين معقنين في هذا
الجزء خاصة ، وتركة بلون تعليق
وتنبيهه ، فهى من النسخة الشنقراطية
المرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نبدأ في هذا الجزء ، بعونِ الله وتأييده ، بالقول في جملة الذرة والخلة ،
كما شرطنا به آخر المصحف^(١) الثالث . ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم^(٢) .

(خصائص النملة)

قد علمنا أن ليس عند الذرة غناء الفرس في الحرب ، والدفع عن
الحريم . ولكننا إذا أردنا موضع العجب والتعجب ، والتنبية على
التدبير ، ذكرنا الحسيس القليل ، والسخيف المهين ؛ فأريناك ما عنده من
الحس اللطيف والتقدير الغريب ؛ ومن النظر في العواقب ، ومشاكله
الإنسان ومزاحمته .

والإنسان هو الذي سُخر له هذا الفلك بما يشتمل عليه .

وقد علمنا أن الذرة تدخر للشتاء في الصيف ، وتتقدم في حال المهلة ،
ولا تضيع أوقات إمكان الحزم . ثم يبلغ [من]^(٣) تفقدها وحسن خبرها ،
والنظر في عواقب أمرها ، أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ في تسمية
أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ في صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٣ : ١٩٩) .

في الصيف ، أن تعفن وتُسوس^(١) ، ويقبلها بطن الأرض ؛ فتخرجها إلى ظهرها ؛ لتئيسها وتعيد إليها جفوفها^(٢) ، وليضربها النسيم وينفي عنها اللخن والفساد .

ثم ربما كان - بل يكون^(٣) أكثر مكانها ندياً . و [إن^(٤)] خافت أن تنبت نقرت موضع القطمير^(٥) من وسط الحبة ، وتعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ وتنبت وتنقلب ، فهي تفلق الحب كله أنصافاً . فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة^(٦) ، فلقته أرباعاً ؛ لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب . فهي على هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوان ، حتى ربما كانت في ذلك أحزم من كثير من الناس . ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها ، في الشم والاسترواح^(٧) ما ليس لشيء .

وربما أكل الإنسان الجراد أو بعض ما يشبه الجراد ، فتسقط^(٨) من يده الواحدة أو صدر الواحدة ، وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذرع عهد

(١) يقال : ساس الطعام ياساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسمع ، وسيس كقتيل ،

وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « لييسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما في س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء في كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأبايزر معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة ،
فترومها وتحاول قلبها ونقلها ، وسحبها وجرها ، فإذا أعجزتها بعد أن بلغت
عذراً ، مضت إلى جحرها راجعة ، فلا يلبث ذلك الإنسان أن يراها قد
أقبلت ، وخلفها صويحباتها كالخيط الأسود الممدود ، حتى يتعاون عليها ،
فيحملنها .

فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الإنسان الجائع . ثم بعد الهمة ،
والجراحة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة ، وأكثر من
مائة مرة .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه (١)
مراراً غيرهما . وعلى أنها لا ترضى بأضعاف الأضعاف ، إلا بعد انقطاع
الأنفاس .

(كلام النمل)

فإن قلت : وما علم الرجل أن التي حاولت نقل الجرادة فعجزت ،
هي التي أخبرت صويحباتها من الذر ، وأنها كانت على مقدمتهن ؟ قلنا :
ليطول التجربة ، ولأننا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت
عنها ، ثم رأيناها راجعة ، إلا رأينا معها مثل ذلك ، وإن كنا لا نفصل
في العين بينها وبين أخواتها ؛ فإنه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا .
وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً أو مضت إلى جحرها فارغة ، فتلقاها

(١) ط ، هـ : « ضعف » .

ذَرَّةً ، إِلَّا واقفَتَها ساعة وخبرَتمَها بشيءٍ . فدَلَّ ذلك على أنَّها في رجوعِها عن الجرادة ، إنَّما كانت لأشباهِها كالرائدِ لا يكذبُ أهلَهُ (١) .

ومن العجَب أنَّكَ تُنكِرُ أنَّها توحى إلى أخيها بشيءٍ ، والقرآنُ قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافاً . وقال رُوبةُ بن العجاج (٢) :

لو كنتُ علِّمتُ كلامَ الحِكلِ (٣) علِّمَ سُلَيْمَانَ كَلامَ النَّمْلِ
وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إِذَا (٤) أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ
يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ لَأَبْطِطَنَّكُمْ (٥) سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلاء والمنزل : أى بنظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهلَه » ، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأقنى أيضاً في ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الأرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الديميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » . وقبله :

تسألنى من السِّينِ كم لي فقلتُ : لو عُمرتُ عُمرَ الحِسلِ

وقد أتاه زمن الفِطْحَلِ والصَّخْرُ مبتلُّ كطينِ الوحْلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحِكلِ كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

والحِكل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت ، كالذر والتمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضباً . انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين ، وستأقنى صحيحة فى ص ١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتل أن تكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ . فقد أخبر القرآن أنها قد عرفت سليمان
وَأَثْبَتَتْ عَيْنَهُ (١) ، وَأَنَّ عِلْمَ مَنْطِقِهَا عِنْدَهُ ، وَأَنَّهَا أَمَرَتْ صُوبِحِيَّاتَهَا (٢) بِمَا
هُوَ أَحْزَمٌ وَأَسْلَمٌ . ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْجَنُودَ مِنْ غَيْرِ الْجَنُودِ ، وَقَدْ قَالَتْ :
﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . وَنَحَاكَ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ تَبَسُّمَهُ بِجَاهِنَ (٣) ، أَنَّكَ
لَمْ تَعْرِفْ قَبْلَ ذَلِكَ [الوقتِ وَبَعْدَهُ ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْكَلَامِ ،
وَلَا تَدْبِيرًا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ . وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَدْعِيَهُ .
وَلَكِنْ ، مَا تَنْكَرُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ وَمَا دُونَ ذَلِكَ ، وَالْقُرْآنُ يُدَلُّ عَلَى]
أَنَّ لَهَا بَيَانًا ، وَقَوْلًا ، وَمَنْطِقًا يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بِسَيْلِهَا ؟ ! فَعَلَهَا
مُكَلَّفَةً ، وَمَأْمُورَةً مَنَهِيَّةً ، وَمُطِيعَةً عَاصِيَةً . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ (٤)
مَسَائِلِ الْجَهَالَاتِ ، وَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ مِنْ هَذَا الْمَسْكَانِ لَنَاقِصٌ ٤
الرُّوِيَّةُ (٥) رَدَى الْفِكْرَةَ (٦) . وَقَدْ عَلِمْنَا ، وَهَمَّ نَاسٌ وَهَمَّ [بِذَلِكَ] فَضِيلَةٌ
فِي الْغَرِيزَةِ وَفِي الْجِنْسِ وَالطَّبِيعَةِ . وَهَمَّ نَاسٌ إِلَى أَنْ يَنْتَهَوْا إِلَى وَقْتِ الْبُلُوغِ
وَنَزُولِ الْفَرَضِ (٧) حَتَّى لَوْ وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لَشْرِبَتْ مِنْ أَعْلَاهِ .

(١) أى ذاته . ط ، ه : « فأثبت » .

(٢) س : « صواحيباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، ه :
« تشبه بجاهن » .

(٤) ه ، ط : « عن » . وأثبت ما فى س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، ه : « الناقص الرؤية » صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، ه : « للفرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهبيل^(١) :

أَبَ هَذَا اللَّيْلُ فَاكْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَاكْتَنَعَا^(٢)
فِي قِبَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الرِّثْيُونُ قَدْ يَنَعَا^(٣)
[وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلَ الَّذِي جَمَعَا^(٤)]
خَرْفَةً ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتُ مِنْ جِلْقِي بِيَعَا^(٥)

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحي ، وفي الأغاني (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر في آخر خلافة علي . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحملات ، ويعطى الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبي دهبيل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها في نصرانية كانت قد ترهبت في دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادي (٣ : ٢٧٩ بولاق) والمعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفي الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه في س ، هـ والمعجم واللسان . ورواية الأخفش في حواشي الكامل : « طال هذا الهـ » ورواية ياقوت : « أب هذا الهـ » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادي بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصرأ حوله بيوت ، وجهها دساكر ، تكون للملوك . والوجه في ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد في الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وفتح النون ، ويروى بكسرهما . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهي رواية المبرد . الذي جمعها : أي الذي جمعه . والنمل يأكل في وقت الشتاء ما جمعه في زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : ما يجتنى . ورواية العباب والمقاييس والمختصص (١١ : ٩) : « خلقة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : النمر يظهر بعد النثر الكثير . وهذا اللفظ لا يزال مستعملاً عند زراع مصر . وارتبعت : دغخت في الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المسكورة ، قال ياقوت : اسم لسكورة الغرطة كلها ، وقيل بل هي دمشق نفسها ، وقيل موضع بقيرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غَيْرِي فَاتَمَسَ رَجُلًا يَأْكُلُ النَّوْمَ وَالسَّلْعَا (١)
 ذَاكَ شَيْءٌ لَسْتُ آكِلُهُ وَأُرَاهُ مَا كَلَّا فِطْعَا (٢)
 وقال أبو النّجّيم في مثل ذلك (٣) :

وكانَ نُشَابَ الرِّيحِ سُنْبُلَةً (٤) واخضَرَ نَبْتًا سِدْرُهُ وَحَرَمَلُهُ (٥)
 وَايِضُ إِلَّا قَاعَهُ وَجَدْوَلُهُ (٦) وَأَصْبَحَ الرُّوضُ لَوِيًّا حَوْصَلَهُ (٧)
 وَاصْفَرُّ مِنْ تَلْعٍ فَلَيجٍ بَقْلُهُ (٨) وَأَمَحَّتْ مِنْ حَرَشَاءٍ فَلَجٍ خَرْدَلُهُ (٩)

- (١) النوم ، بفتح الناء ونشيد النونا لمضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتق حبالا خضرا لا ورق لها ، وقضبانها تلتف على الغصون وتتشبهك ، وله ثمر مثل عنقيد العنب صغار ، فإذا أبيض اسود ، فتأكله القروود .
- (٢) الفطع ، ككتفت : الفطيج .
- (٣) انظر بعض أخطاء هذا الرجز في جبهة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .
- (٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها في كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .
- (٥) السدر ، بالسكمر : شجر النبق . والحرملة ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .
- (٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لمسا بقى من الماء فيها . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .
- (٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليايس .
- (٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : غنى به المتسع . ط : « فليج » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .
- (٩) ط ، هـ : « فلع » ، صوابه في س واللسان (حرش ، قطار) . والفلاج : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهى في الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان في موضعيه .

وانشقَّ عن فصيح سواء عنظله (١) وانتفض البروقُ سوداً فلغله (٢)
واختلفَ النملُ قطاراً ينقله (٣) طارَ عن المهر نَسيلٌ يُنسلُه (٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القملة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك
في الذرَّة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من الأتراب (٥) ، وهى أيضاً جرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجُحر (٦) بما فيه من الذرِّ والحبِّ
والممازِن . والممازِنُ هو البيض ، وبه سموا مازن .

(١) كذا في الأصل . ولعل صواب : « عنظلة » : « عنصله » ، والمنصل ، كقنفذ :
البصل البرى .

(٢) البروق ، يفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حب أسود
صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى
ندى يقع من السماء . ط ، ه : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر
الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق .
وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ه :
« فطاراً » ، و صواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ه :
« نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، يفتح النون : ما يسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان
الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جواباً لشرط فى
آيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ه : « الزاب » ولا وجه له . و صوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية
النمل : ما تجتمع من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد :
قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عمرو^(١) : الزَّبَال ما حملت النملةُ بِفِيهَا ، وهو قولُ
ابنِ مُقْبِل :

كَرِيمِ النَّجَارِ حَمَى ظَهْرَهُ فَلَمْ يُرْتَزَأْ بِرُكُوبِ زَبَالَا^(٢)

(شعر في التعذيب بالنمل)

وَأُنشِدُ ابْنَ نُجَيْمٍ^(٣) .

هَلَكُوا بِالرُّعَافِ وَالنَّمْلِ طَوْرًا ثُمَّ بِالنَّحْسِ وَالضَّبَابِ الذُّكُورِ^(٤)

وقال الأصمعيُّ في تسليطِ اللَّهِ الدَّرَّ عَلَى بَعْضِ الْأُمَمِ :

لَحِقُوا بِالزُّهَوِيِّينَ فَأَمَسُوا لَا تَرَى عُقْرَ دَارِهِمُ بِالْمَبِينِ^(٥)

سَلَّطَ اللَّهُ فَازِرًا وَعُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ بَدَارِ شَطُونِ^(٦)

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت في صفة فحل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره :
أي منع ظهره من الركوب . ويرتزا ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفي ط ، ه :
« يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل)
والخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هي في الأصل « كرم » وصوابها في
المرجمين السابقين .

(٣) في ط ، ه : « لحيم » . وفي س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه
يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته في (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف
في (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ،
ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهويين »
وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقده » صوابه في س ، ه .

(٦) يقال عققان ، كعمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفي الأصل :
« عقيفان » بقتافين ، وهو تصحيف صوابه في اللسان . والرواية فيه :

سَلَّطَ الدَّرَّ ، فَازِرًا أَوْ عُقَيْفًا نَ فَجَازَاهُمْ لِدَارِ شَطُونِ

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه في س ، ه .

يَبْسَعُ الْقَارَّ وَالْمَسَافِرَ مِنْهُمْ تَحْتَ ظِلِّ الْهُدَى بِذَاتِ الْغُصُونِ (١)
 فازر ، وَعَقِيفَانُ (٢) : صَيْفَانٌ مِنَ الدَّرِّ ، وَكَذَلِكَ ذَكَرُوهُ عَنْ دَغْفَلِ
 [بن حنظلة] النَّاسِبِ (٣) . وَيُقَالُ : إِنَّ أَهْلَ تِهَامَةَ هَلَكُوا بِالرُّعَافِ مَرَّتَيْنِ .
 قَالَ : [وَكَانَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِالرُّعَافِ مِنْ سَادَةِ قَرِيشٍ ، (٤)] هِشَامُ
 ابْنُ الْمُغِيرَةِ .

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

تُزْرَعُ الدُّكْرُ فِي الْحَيَاةِ وَغْنَا وَأَرَاهُ الْعَذَابَ وَالتَّدْمِيرَا (٥)
 أَرْسَلَ الدَّرَّ وَالْجِرَادَ عَلَيْهِمْ وَسَيْنِيًّا فَأَهْلَكَتَهُمْ وَمُورًا (٦)
 ذَكَرُ الدَّرَّ إِنَّهُ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَإِنَّ الْجِرَادَ كَانَ تُبُورًا (٧)

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل :
 « القار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، ه : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر .
 فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتتها اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث
 يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أي سلب الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، ه .
 وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر
 في الحياة جزء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المسا ، فهلا لله كان شكورا

قال إني أنا الحبير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فحاه لإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ،
 انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س :
 « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو

يشغل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، ه والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق^(١) قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادى معروفاً بوادى النمل ؛ فكأنه كان حى . وكيف نُنْكَرُ^(٢) أن يكون حى ؟ ! [و]^(٣) النَّمْلُ رَبِّمَا أَجَلَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ . عن بلادهم .

ولقد سألتُ أهل كسكر^(٤) فقلت : شعيرُكُمْ عَجَبٌ ، وأرْزُكُمْ عَجَبٌ ، وسمكُكُمْ^(٥) عَجَبٌ ، وجدأؤُكُمْ عَجَبٌ ، وبَطْمُكُمْ عَجَبٌ ، ودَجَاجُكُمْ عَجَبٌ ، فلو كانتْ لَكُمْ أعناب ! فقالوا : كلُّ أرض كثيرة النَّمْلِ لا تصلح فيها الأعناب . ثمَّ قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجِجْرَةَ^(٦) مَسَاكِنَ . والعربُ تسميها كذلك . ثمَّ قال : ﴿ لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعتُ من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من نمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق في ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفي ط ، هـ :

« سمنك » وفي س : « صحتك » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحتكم »

وقد سبق تفسيرها في حواشئ (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الججرة ، بجمع مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع ججر . وفي الأصل :

« الججرة » محرف .

وَعَرَفَتِ الْجُنْدَ مِنَ قَائِدِ الْجُنْدِ ، ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَكَانُوا
مَعْدُورِينَ وَكُنْتُمْ مَلُومِينَ ، وَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ . فَلذَلِكَ قَالَ : ﴿ فَمَتَّبَسَمَ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ (١)] غُورِهَا وَتَسْدِيدِهَا ،
وَمَعْرِفَتِهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال في النمل)

قال : ويقال : « أطف (٢) من ذرة (٣) » و : « أضبط من نملة (٣) » .
قال : والنملة أيضاً : قرحة تعرض للساقي ، وهي معروفة في جزيرة
العرب (٤) .
قال : ويقال : « أنشب من ذرة (٥) » .

(قول في بيت من الشعر)

فَأَمَّا قَوْلُهُ (٦) :

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا السُّكُومُ (٧)

- (١) الزيادة من س ، هـ .
 - (٢) أطف ، من اللطافة ، وهي الدقة . س : « الحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح في طلب قوتها .
 - (٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة » ، ومن الأعمى ، ومن صبي « انظر أمثال الميداني (١ : ٣٩١) .
 - (٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح في الجنب . . . وبثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .
 - (٥) في الأصل : « أنسب » .
 - (٦) هو حسان ، كما في الموشح ٦٣ ، من قصيدة في ديوانه ٣٧٦ - ٣٨٠
 - (٧) أندبها : أثرت فيها . والسكوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :
- من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فَإِنَّ الْحَوْلِيَّ مِنْهَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا^(١) ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَلْقَطُ حَوْلِيَّ الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَىِّ أُمَسَّتْ بِالْحَبِيبِينَ بَلْقَعًا^(٢)
قَالَ : وَحَوْلِيَّ الْحَصَى : صغَارُهَا . فَشَبَّهَهُ بِالْحَوْلِيِّ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .

(أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ فِي النَّمْلِ)

ابن جُرَيْجٍ ، عن ابن شَهَابٍ ، عن عُمَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عن
ابن عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ ٦
لَا يُقْتَلْنَ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالصُّرْدُ ، وَالْمُهْدُودُ » .

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْعُودِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ
ابن سَعْدٍ ، مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) قَالَ : « نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْزِلًا فَاذْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرِيْبَةٍ
نَمْلٌ ، إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي أَرْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، عن أَبِي زُرْعَةَ بْنِ جَرِيرٍ^(٤) ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو زُرْعَةَ

(١) المسانن : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « بالحببيين » . وفي الموازنة ١٣٧ : « بالحبين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي ، اختلف في اسمه ،

ف قيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة

الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نبيُّ من الأنبياء تحت شجرةٍ ، فعصَّته نملةٌ ، فقام إلى نملٍ كثيرٍ تحت شجرةٍ فقتلَهُنَّ ، فقيل له : أفلا نملةٌ واحدةٌ ؟ ! » .

وعبد الله بن زياد المدنيُّ ، قال : أخبرني ابنُ شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزلَ نبيُّ من الأنبياء تحت شجرةٍ ، فقرصته نملةٌ ، فأمرَ بجهازه (١) فأخرجَ مِنْ تحتها ثمَّ أمرَ بقريةِ النملِ فأحرقَتْ ، فأوحى اللهُ إليه : أفي أن قرصتكَ نملةٌ أهلكتَ أُمَّةً مِنَ الأُممِ يسبِّحونَ اللهَ تعالى ؟ ! فهلاً نملةٌ واحدةٌ ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدَّثنا عمر بن المغيرة بن الحارث الزمانيُّ (٢) ، عن هشامِ الدستوائيِّ (٣) قال : إنَّ النملَ والذَّرَّ إذا كانا في الصَّيفِ كلُّهُ يتقلَّن الحَبَّ ، فإذا كان الشتاءُ وخِفْنَ أن يثبتَ فلقنَه .

هشام بن حسان ، أن أهلَ الأحنفِ بن قيسَ لقوا من النملِ أذىً ، فأمرَ الأحنفَ بكرسيِّ [فوضِعَ عند جُحرهنَّ ، فجلسَ عليه ثمَّ تشهَّد] فقال : لَتَتْنَهُنَّ أَوْ لَنُحْرَقَنَّ عَلَيْكُنَّ ، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ أَوْ لَنَفْعَلَنَّ (٤) ! قال : فذهبن .

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الديميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ماني س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستواي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ - ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لنفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة^(١) عن قسامة^(٢) بن زهير^(٣) قال : قال أبو موسى الأشعري : إن لكل شيء سادة ، حتى إن للنمل سادة .

عبد الله بن زياد المدني ، قال : أنبأنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : خَرَجَ نَبِيٌُّّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ ، فَإِذَا هُمْ بِنَمَلَةٍ رَافِعَةٍ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا النَّمَلِ ! » .

مسعر بن كدام^(٣) ، قال . حدثنا زيد القمي^(٤) عن أبي الصديق الناجي^(٥) قال « خرج سليمان بن داود - عليهما الصلاة والسلام - يستسقى فرأى نملةً مستلقيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمها إلى السماء وهي تقول :

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة روى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان من افتتح الأبله مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فجعله الله محذنا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفي الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بنشديد الدال المسكورة : هو بكر بن عمرو - وقيل ابن قيس - الناجي بالنون والجيم المسكورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجي » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ، لَيْسَ بِنَاغِيٍّ عَنْ سَقِيكَ ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تَسْقِينَا
وَتَرْزُقِنَا ، وَإِنَّمَا أَنْ تُعَمِّدَنَا وَتُهَلِّكِنَا ! فَقَالَ : ارْجِعُوا فَقَدْ سَقَيْتُمْ
بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ ! » .

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهمجاه قال : سألت أبو عمرو المكفوف^(١) عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ
ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إن نذيراً يعجب^(٢) منه نبيٌّ من الأنبياء
ثمَّ يعظمُ خطره حتى يضحكه لعجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ما ذهبت
إليه . قال : فإنه قد يضحك النبيُّ ، عليه السلام ، من الأنبياء من كلام
الصبيِّ ، ومن نادرة غريبة . وكلُّ شيءٍ يظهر من غير معدنه ، كالتأدية
تُسمع من المجنون ، فهو يضحك . فتبسّم سليمان عندى على أنه استظرف
ذلك المقدار من النملة ، فهذا هو التأويل .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهمجاه : سألته عن قول أبي موسى^(٣) : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ
سَادَةً حَتَّى الدَّرَّ . قال : يقولون : إن سادتها اللواتي يخرجن من الجحر ،
يرتدنَّ بجماعتها ، ويستبقن إلى شمِّ الذي هو من طعامهن . »

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة في تقريب التهذيب . س : « المكفول » .

(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الصفحة التي مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهير :

وَقَالَ سَأْقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ
فَشَدَّ وَلَمْ تَفْزَعْ بِيُوتٌ كَثِيرَةٌ لَدَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهُمَا مُقْشَعَمٍ (١)

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال في لسانه حُبْسَةٌ : إذا كان في لسانه ثِقَلٌ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَيَانِ .
فإذا كان الثَّقَلُ الَّذِي فِي لِسَانِهِ مِنْ قِبَلِ الْعُجْمَةِ (٢) قِيلَ : فِي لِسَانِهِ
حُكْلَةٌ . وَالْحُكْلُ مِنَ الْحَيْوَانِ كُلُّهُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتُ يُسْتَبَانَ بِاخْتِلَافِ
مَخَارِجِهِ ، عِنْدَ حَرَجِهِ ، وَضَجْرِهِ ، وَطَلْبِهِ مَا يَغْذُوهُ ، أَوْ عِنْدَ هَيَاجِهِ إِذَا أَرَادَ
السَّفَادَ ، أَوْ عِنْدَ وَعِيدٍ لِقِتَالٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ .

(رأى الهند في سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهند أن سبب ما له كثير كلام الناس واختلفت صور
ألفاظهم (٣) ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم في اللين والشدة ،

(١) يقول : شد على طدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن
عليه بأحد . س : « يفزع » ه : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة .
وأم قشع : الحرب ، أو المنية ، أو الضيع ، أو العنكيوت ، أو الذلة . وبكل فسر
قول زهير .

(٢) في الأصل : « العجمة » .

(٣) بعد هذه في كل من ط ، ه : « واتسمت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفي المدِّ والقَطْع - كثرة^(١) حاجاتهم . وليكثر^(٢) حاجاتهم كثرتْ
خواطِرُهُم وتصاريفُ ألفاظِهِم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم .

قالوا : فحوائج السنائير لاتعدو خمسة أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ،
ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخواتها وآلفها^(٣) ، ولذلك صورة^(٤) .
وصياحُها إذا دعت أولادها للطَّعم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعتْ ،
ولذلك صورة^(٥) . فلما قلَّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلَّت وجوه
مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكون صوتها خفياً فلا يفهمه عنها إلا ما كان
من شكلها . ومنها^(٦) ما يفهم صاحبه بضروب الحركات والإشارات
والشمال . وحاجاتها ظاهرة جليلة ، وقليلة العدد يسيرة . ومعها من المعرفة
مالا يقصّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه .

٨

[و] راضية الإبل ، والرعاء ، ورؤاض الدواب في المروج ، والسؤاس ،
وأصحاب القنص بالكلاب والفهود ، يعرفون باختلاف الأصوات والهيئات
والتشوف ، واستحالة البصر ، والاضطراب ، ضرورياً من هذه الأصناف ،
مأ لا يعرف مثله من هو أعقل منهم^(٧) ، إذا لم يكن له من معاینته أصناف

= تكرار لعبارة ستأتي بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها
كما في س .

- (١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجه ما أثبت من س .
- (٢) ط ، هـ : « وليكثر » ، صوابه ما كتبت من س .
- (٣) الآلاف بعد الهنزة في أوله : جمع إلف بالكسر وهو الأليف . ط :
- « آلفها » صوابه في س ، هـ .
- (٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضي ما أثبت من س ، هـ .
- (٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لاختصاصه . فهو سهو منه .
- (٦) في الأصل : « ومنتهى » .
- (٧) في الأصل : « منه » .

الحيوان ما لَهُمْ^(١) . فالحِكْلُ من الحيوان [من^(٢)] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة . قال رُوْبَةُ^(٣) :

لَوْ أَنَّنِي عُمَرْتُ عُمَرَ الحِيسْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتَيْتُ عِلْمَ الحِكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ التَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمانيّ)

وقال أبو العباس محمد بن ذؤيب الفَقَيْمِيُّ وهو الذي يقال له العُمانيّ^(٤) في بعض قصائده في عبد الملك بن صالح . والعُمانيّ من يُعَدُّ ممن جمَعَ الرُّجْزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ الجَلِجِ^(٥) ، وجريّر بن الحَطَظِي ، وأبي النّجم وغيرهم . قال العُمانيّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحِكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا^(٦)
يقول : الذَّرُّ الذي لَا يُسْمَعُ^(٧) لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادُ^(٨)
لفهمه . والسّواد هو السّرار^(٩) . [قال النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن مسعود :

-
- (١) في الأصل : « لغيرهم » .
(٢) ليست بالأصل .
(٣) انظر ماسبق من التنبيه في ص ٨ .
(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٦٦)
(٥) في الأصل : « كعمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٩) .
و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجأ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس
ما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده
يسمى الأشعث .
(٦) ط : « تساود أخرى » وصوابه في س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .
(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .
(٨) ط : « سواء » صوابه في س ، ه .
(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه في س . والمرار ،
بالكسر : التعادث سرّاً .

« أَذْنُكَ حَتَّى أَسَاوِدَكَ » أَيْ تَسْمَعُ سَوَادِي . وَقَالَتْ ابْنَةُ الْحُسَيْنِ : « قَرَّبَ الْوَسَادِ [وَطَوَّلَ السَّوَادَ (١)] » .

قال أبو كبير الهدلي :

ساودت عنها الطالبيين فلم أنم حتى نظرت إلى السماء الأعزل (٢)
وقال النمر بن تولب :

ولقد شهدت إذا القداح توحّدت وشهدت عند الليل موقد نارها (٣)
عن ذات أولية أساود ربها وكان لون الملح تحت شفارها (٤)
وقد فسرنا شأن الحكل (٥) .

وقال التيمي الشاعر (٦) المتكلم - وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بني

تغلب معروفين - :

عُجْمٌ وَحُكْلٌ لِاتِّبِينُ ، وَدِينُهَا عِبَادَةٌ أَعْلَجَ عَلَيْهَا الْبِرَانِسُ (٧)

(١) قالت هذا حين سئلت : « ما حلك على أن زנית بعبدك ؟ » . انظر البيان

(١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعيين ٣٢٠ .

(٢) ط ، ه : « ساورت » ، صوابه في س . والسالك الأعزل : منزلة من منازل

القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحّدت : أي أخذ كل رجل قدحاً ولم يقدر على غيره ؛

لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أي من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولي من المظن

فسمت . أساود رها : يقول : أساره وأناجيه لأخذه عنها فيسمح بها ليجرى

عليها الميسر . وكان لون الملح فوق شفارها : أي أن الشفار التي تذيب بها وتقطع

يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكي ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه

في س ، ه ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعاني الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولي في الأوراق ٧٦ باسم « التيمي بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع عنج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار المعجم . والبرانس :

جمع برنس ، وهو القلمسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو مطراً أوجبة .

وفي حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسي » هو من هذا . والرواية في البيان

(١ : ٤٠) : « ولسكن حكلا لا تيين » .

فَفَصَّلَ بَيْنَ الْحُكْلِ وَالْعُجْمِ ، فَجَعَلَ الْعُجْمَ ^(١) مِثْلَ ذَوَاتِ الْحَافِرِ
وَالظَّلْفِ وَالْحَفِّ ، وَجَعَلَ الْحُكْلَ كَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ وَالخَنَافِسِ ، وَالْأَشْكَالِ
الَّتِي لَيْسَتْ تَصِيحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا . فَقَالَ لِي يَوْمَئِذٍ حَفْصُ الْفَرْدُ ^(٢) : [أَشْهَدُ]
أَنَّ الَّذِي يَقَالُ فِيهِ حَقٌّ ^(٣) ، كَانَ وَاللَّهِ نَصْرَانِيًّا ، ثُمَّ صَارَ يَنْجُرُ عَنْ
النَّصَارَى كَمَا يَنْجُرُ عَنِ الْأَعْرَابِ !

(بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْمُفَضَّلِ)

٩ [وَ] قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِلْمُفَضَّلِ ، لَمَّا أَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ جَعْفَرَ بْنَ سَلِيمَانَ ^(٤)
قَوْلَ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ :
وَذَاتِ هَدْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تَصْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَلِبًا جَدْعًا ^(٥)

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .
(٢) من الحجيرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه
ونظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم في الفهرست
٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .

(٣) ط ، هـ : « حق » ، وهو على الصواب في س .
(٤) كذا أيضاً في التنبيهات على أغاليط الرواة في نسختنا الخطية . وفي اللسان أنه سليمان
ابن علي الهاشمي .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم
الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندي . والنواشر : عصب الذراع
من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة
المجاعة . تصمت بالماء تولبها : أي نسكت ولدها الذي يبكي من الجوع بشيء من
الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستمارة لجعله الطفل تولباً
انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء
الاستمارة ، هذا يسمى معاظلة وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستمارة .
وانظر الرد عليه في كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من
قصيده جيدة يرقى بها فضالة بن كعدة مظهرها :

أَيْمَهَا النَّفْسُ أَجْمَلُ جِزْعًا إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ليبيكك الشرب والمدامة والافتيان طرا وطامع طمعا
وانظر ما قيل في مجالس العلماء للزجاجي وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الذال معجمة ، وفتحها ، وصحَّف ، وذهب إلى الأجداع^(١) .
 قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوَلَّباً جَدِعا » الذال مكسورة . وفي الجدع
 يَقُولُ أَبُو زَيْدٍ :
 ثُمَّ اسْتَقَاهَا فَلَمْ يَقْطَعْ نِظَامَهَا عَنْ التَّضْبِبِ لَا عِبْلُ وَلَا جَدِغُ^(٢)
 وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِ ابْنِ حَبْنَاءَ الْأَشْجَعِيِّ^(٣) :
 وَأَرْسَلَ مُهْمَلًا جَدِعاً وَخَفًّا وَلَا جَدِغُ الثَّبَاتِ وَلَا جَدِيبُ^(٤)
 فَنَفَخَ الْمُفْضَلُ ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ ، وَتَكَلَّمَ وَهُوَ يَصِيحُ . فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
 لَوْ نَفَخْتَ بِالشَّبُورِ لَمْ يَنْفَعَكَ ! تَكَلَّمَ بِكَلَامِ الثَّمَلِ وَأَصِيبُ^(٥) !

(١) الأجداع : جمع جُدع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان في الثالثة .

(٢) التضبيب : السمن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضبيب » . والجدع ، كسكتف :
 فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيىء الغداء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أمهم
 كما في القاموس ومعجم المرزباني ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم
 لقب به لحن أصابه . والحن : داء في البطن يعظم منه ويرم . الأغاني (١١ : ١٥٦) .
 وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر
 مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ - ١٦٣) . وثالث هذين
 الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب
 ابن أبي صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ، أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى
 وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء في (٣ :
 ٦٠) . جاء في ط : « حبناء » صوابه في ه ، س . على أنى استبعد صحة العبارة
 هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعي » .
 والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيها ، بالتصغير)
 وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى
 في أيام بنى أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق في الأغاني .
 (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخلف هنا الإبل .

(٥) تجدد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، في اللسان (جدع) .

والشُّبُور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيَّة (١) . وهو شيء يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت (٢) أن يحرمَ كلامَ رجلٍ منهم نَفَحُوا عليه بالشُّبُور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلامِ مِنَ الحدودِ القائمةِ في كتبهم ، ولكنَّ الجاثليقَ (٣) ورأسَ الجالوتِ ، لا يمكنُهُما في دار الإسلامِ حبسٌ ولا ضربٌ ؛ فليسَ عندهما إلا أنْ يغرَّما المالَ ، ويُحرَّما الكلامَ . على أنَّ الجاثليقَ كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدرِ ، الذي له من السُّلطانِ ناحيةٌ . وكان طيمانو (٤) رئيسَ الجاثليقِ ، قد همَّ بتحريمِ كلامِ عَوْنِ العبادى (٥) ، عند ما بلغه من اتِّخاذِ السَّرارى (٦) ، فتوعَّده وحلف : لئن فعلَ لئُسَلِمَنَّ ! وكما تركَ الأشقيـل (٧) وميخاييل (٨) وتوفيل (٩) ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، يفتح الـثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمانوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السرارى : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بيتا . ونظام التمرد ، أى اتِّخاذِ السَّرارى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى. انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشقيـل » .

(٨) س : « متخاييل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلٌ عَيْنٍ مَنَوِيلٌ^(١) - وفي حكمهم أن من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل ؛
وإن كان ذا رأى سَمَلُوا عَيْنِيهِ ولم يقتلوه - فتركوا سُنَّتَهُمْ فِيهِ .

وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك ، في كتابنا على النَّصَارَى^(٢) . فإن
أردته فاطلبه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبي ربيعة)

وقال عُمر بن أبي ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاحِيٍّ جِلْدِيهَا لِأَبَانَ مِنْ آثَارِهِنَّ حُدُورٌ^(٣)
وَالْحُدْرُ : الْوَرْمُ وَالْأَثْرُ^(٤) يَكُونُ عَنِ الضَّرْبِ :

(١) سمل عينه : فتأها . وبدل هذه العبارة في ط : « وسموعين ومنويل » وفي ه :
« سمل عين ومنويل » ، وصوابه في س .

(٢) في الأصل : « النصري » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصاري وثيقة
تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصاري
بالمسلمين في عصره . وقبل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ :
١٤٨ - ١٩٨) .

(٣) ضاحي جلدها : أي جلدها الضاحي المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر .
و « حُدُورٌ » فاعل أبان ، ومنه في الكتاب : « حمّ والكتاب المين » أي
البين الظاهر ، في أحد وجهي تأويله . وفي ط ، وكذا اللسان (مادة حدر)
والخصص (٢ : ٨٠) « حُدُوراً » بالنصب ، وهو خطأ صوابه في ه ، س ؛
إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروي ، كما في ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :

لمن الديار كأنهن سطور
تسدى معالمها الصبا وتنير

وقبل البيت :

تلك التي سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها . مأسور

(٤) في الأصل : « والحدر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمّى بنملة ونميلة ، ويكنون بها . وتسموا بذراً ، واكتنوا
بأبي ذرّ . ويقال : سيفٌ في مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذرٌّ السِّيفِ (١) .

(شعر في صفة السيف)

وقال ابن ضبّة (٢) :

وقد أغدُو مع الفتيا نِ بالمنجردِ التَّرَّ (٣)
وذى البركة كالتابو تِ والمَحْزَمِ كالقَرَّ (٤)

(١) في الأصل: « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وذرى
السيف : فرندة وماؤه ، يشبهان في الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله
ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذرية الطيما

(٢) ذكره الجاحظ في البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :
وكنت أمشى على رجلين معتدلاً فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : التقصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ،
هـ : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما في اللسان (تر) .
والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدريز . ط ، هـ : « والبتر »
وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت في أماليه
(١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا ء بالمحتك الش

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يتنازل سحب تر ، للكثير الماء .
واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية
الأصل . والمحزم ، كجلس : موضع الخزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

مَعَى قَاضِبَةٌ كَالْمِذْحَجِ فِي مَتْنَيْهِ كَالذَّرِّ (١)
١٠ وَقَدْ أَعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَشْنِي شَنْ الشَّرِّ (٢)

وقال الآخر :

تَكَادُ الرِّيحُ تَرْمِيهَا صَرَارًا وَتُرْجَفُ إِنْ يُلْشِمَهَا خِمَارٌ (٣)
وَتَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ قِيلَ حَقًّا وَرُغِبُ قَلْبَهَا الذَّرُّ الصَّغَارُ

وقال أوس بن حجر ، في صفة السيف :

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرِّ خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلًا (٤)
عَلَى صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِينَ جِلَاتِهِ كَفَى بِالذِّي أْبَلَى وَأَنْعَتَ مُصَلًّا (٥)

(١) القاضية ، أراد به السيف القاضب ، فإثناء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى في كتاب . وجعله كالملاح في بياضه . والعرب يشبهون الشيء الأبيض بالملاح كما سبق تشبيه الشمع به في ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما في اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكماله ما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضيه قيل أن يزوره ويهينه . يقول : يفاجيء عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعر » صوابه في هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفي الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شنن » فهي في ط : « شنن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفي الأصل : « الربا » ولا وجه له وصوابه في ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار في السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحتيه » مع حذف « من » كما في س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلته » .

انتقام عقيل بن علفة مما خطب إحدى بناته

قال : وخطب إلى عقيل بن علفة بعض بناته رجل من الحرقة^(١) من جهينة ، فأخذ فشدّه قِطاطاً ، ودهن آسته برُبٍّ وقمطه^(٢) وقربه من قرية النمل ، فأكل النمل حشوة بطنه^(٣) .

شعر فيه ذكر النمل

وقال ذو الرمة :

وقرية لاجنٍّ ولا أنسيةٍ مداخلةٍ أبوابها بُنيتْ شزراً^(٤)
نزلنا بها ما نبتغي عندها القرى ولكنّها كانت لمنزلنا قدراً^(٥)

وقال أبو العتاهية :

أخبتُ بدارٍ همها أشبُّ جنلُ الفروعِ كثيرةٌ شعبه^(٦)
إنّ استهانتها بمنّ صرعت لبقدرٍ ما تعلو به رتبه^(٧)

- (١) كذا على الصواب في ط ، ه وهي قبيلة . وفي س : « الحدقة » محرف . وفي الأغاني (١١ : ٨٢) أنه من بني سلامان بن سعد .
- (٢) قطه : جمع بين يديه ورجليه . والرُب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثقل السمن والزيت . وفي الأغاني : « ودهن آسته بشحم » .
- (٣) القصة في الأغاني برواية تختلف كثيراً عن هذه .
- (٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة في بعضها بعضاً . شزرا : عل غير استقامة فهي معوجة .
- (٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغي عندها » .
- (٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جنل : كثير الورق . ط ، ه : « جبل » صوابه في س .
- (٧) في الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ^(١)
وقال البعيث :

وَمَوْئِي كَبَيْتِ النَّمْلِ لِأَخِيرِ عِنْدَهُ لِمَوْلَاهُ إِلَّا سَعِيهِ بِنَمِيمِ

(بعض ما قيل في النمل)

قال : وقد سمعت بعض الأعراب^(٢) يقول : إنه لنمائم نملى . على
قولهم : « كذبَ علىَّ نَمِلٌ^(٣) » إذا أرادوا أن يخبروا أنه نمام . وقال
حميد بن ثور ، في تهوين^(٤) قوة الذر :

منعمّة ، لو يُصْبِحُ الذرُّ سارياً على جلدِها بضتْ مدارجُهُ دما^(٥)
وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة - رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدقت بحبة
عنب - : أتصدقين^(٦) بحبة عنب ؟ ! قالت : إن فيها لَمِثْقَالِ ذَرَّةٍ^(٧)

= أبي العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هي في الأصل : « فيقدر »
وأثبت ما في الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . « تملو » هي في ط :
« نقلوا » ، وتصحيحه من س ، هـ والثمار والمروج . وبدلها في الديوان : « تسمو » .

(١) في الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .
(٢) س : « قال : وسمعت أعرابياً » .
(٣) النمل ككتف والنامل والمنمل - كحسن - والمنمل - كنبز - والنامل ، كل
أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتوهين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .
(٥) مدارج الدر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .
(٦) تصدقين بمعنى تتصدقين ، حذف إحدى التائين تخفيفاً . ط فقط :
« أتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه في ط ، هـ .
وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لَغز في النَّمْل)

وَمَا قِيلَ فِي الشُّعْرِ مِنَ اللَّغزِ (١) :

فَمَا ذُو جَنَاحٍ لَهُ حَافِرٌ وَلَيْسَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ
يعنى النَّمْل . فزعم أنَّ لِلنَّمْل حَافِرًا ، وَإِنَّمَا يَحْفِرُ جُحْرَهُ ، وَلَيْسَ ١١
يَحْفِرُهُ بِنَفْسِهِ (٢) .

(التَعذِيبُ بِالنَّمْلِ)

وَعَذَّبَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ (٣) سَعِيدَ بْنَ عَمْرٍو الْحَرَشِيَّ (٤) بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ
فَقِيلَ لَهُ : إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا يُفْلِحَ أَبَدًا فَمُرَّهُمْ أَنْ يَنْفُخُوا فِي دُبُرِهِ النَّمْلَ .
فَفَعَلُوا فَلَمْ يَفْلِحْ بَعْدَهَا .

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الصت . انظر اللعبري .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة
الشجعان ، ولي الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاة يزيد بن عبد الملك
إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر
بعد ذلك ، وكان قائده أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين .
انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثني ، وفيه يقول الفرزدق
ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد التميميص

تفتق بالعراق أبو المثني وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وقتك
بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكتب الخليفة
مباشرة ولا يعترف بإمارته فغزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى
الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١) :
٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الجرشي »
بالجيم ، وصوابه في البيان والطبري (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبري القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تدّخرُ ، وتُشبهُ في ذلك بالإنسان ذى العقل والرؤية^(١) وصاحب النظر في العواقب ، والتفكير في الأمور : مثل الذرّ ، والنمل ، والفأر ، والجرذان ، والعنكبوت ، والنحل . إلا أن النحل لا يدّخر من الطعام إلا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذرّ للنمل)

وزعم اليعقوبى^(٢) أنك لو أدخلت نملة في جحر ذرّ لأكلتها ، حتى تأتي على عامتها . وذكر أنه جرب ذلك .

(أكل الضبّاع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إن الضبّاع تأكل النمل أكلاً ذريعاً ؛ وذلك أن الضبّاع تأتي قرية النمل في وقت اجتماع النمل ، فتلحس ذلك النمل بلسانها ، بشهوة شديدة ، وإرادة قوية .

(أكل النمل للأرضة)

قالوا : وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم ، وأكلت كلّ شيء لهم . ولا يزال كذلك حتى ينشؤ^(٣) في تلك القرى النمل ،

(١) الروية: النظر والتفكير . ط ، هـ : « الروية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ في البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا في س . وفي هـ : « ولا يزال » . وفي ط « ولا يزالوا » وهذه

الآخيرة محرفة . و « ينشؤ » هي « ينشؤ » سهل همزها ، وهي بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النمل على تلك الأرضة ، حتى تأتي على آخرها . وعلى أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى ، إلا أنه دون الأرضة تعدياً . وما أكثر ما يذهب النمل أيضاً من تلك القرى ، حتى تتم لأهلها السلامة من النوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملاً ، وليس فناؤها لأكل النمل لها ، ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملاً . فعلى قدر ما يستحيل منها يرى النقص (١) في عددها ومضرتها على الأيام .

(مثل في النمل)

قال : وبالنمل يضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مثل النمل » .
والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخر ينبو . فالكلاب تكبو ، والنمل تنبو (٢) .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسباب هلاك النمل نبات الأجنحة له . وقد قال الشاعر (٣) :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما في القاموس . ط ، س :
« ينشوا » ولا تصح إلا يتكلف . وأثبت ماقى ه .
(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . ونيس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجدر اضطرابا في رسم هاتين الكلمتين ، فرة بدتتا بالياء ، ومرة بدتتا بالتاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ (١)
وَإِذَا صَارَ النَّمْلُ كَذَلِكَ أَخْصَبَتِ الْعَصَافِيرُ ؛ لِأَنَّهَا تَصْطَادُهَا فِي حَالِ
طَيْرَانِهَا .

(وَسِيْلَةٌ لِقَتْلِ النَّمْلِ)

[قَالُوا (٢)] : وَتُقْتَلُ بِأَنْ يَصْبَّ فِي أَفْوَاهِ بِيُونِهَا الْقَطْرَانِ وَالْكَبْرِيتُ
الْأَصْفَرُ ، وَيُدَسُّ فِي أَفْوَاهِهَا (٣) الشَّعْرُ . وَقَدْ جَرَّبْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ
بِاطِلًا . انْتَهَى .

بَاب

١٢

جَمَلَةُ الْقَوْلِ فِي الْقِرْدِ وَالْخَنْزِيرِ

وَفِي تَأْوِيلِ الْمَسْخِ ، وَكَيْفَ كَانَ ، وَكَيْفَ يُمَسِّخُ النَّاسُ عَلَى خَلْقَتَيْهَا (٤)
دُونَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْعِبْرَةِ وَالْحِنَةِ ؛ وَفِي خِصَالِهَا الْمَذْمُومَةُ ، وَمَا فِيهِمَا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْمُودَةِ ؛ وَمَا الْفَضْلُ (٥) الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي النَّقْصِ ، وَفِي الْفَضْلِ ،
وَفِي الذَّمِّ وَفِي الْحَمْدِ .

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أى أفواه بيوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ في القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّمْلَ ،
والكلبَ ، والحِمارَ ، والنَّحْلَ ، والمُهددَ ، والغرابَ ، والذئبَ (١) ، والفيلَ
والخيلَ ، والبغالَ ، والحَميرَ ، والبقرَ ، والبعوضَ ، والمعزَ ، والضأنَ ،
والبقرةَ ، والنعجةَ ، والحوتَ ، والنُّونَ (٢) . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً
في الذلَّةِ والضعفِ ، وفي الوهنِ ، وفي البَداءِ ، والجهلِ .

(هَوَانُ شَأْنِ الْقَرْدِ وَالْخَنزِيرِ)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ
فَأَّا فَوْقَهَا ﴾ ، فقلَّ لها كما ترى وحقرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جلَّ
وعلا ، لم يمسخ أحداً من حشُو أعدائه وعظائمهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ . إنَّما قرَّع
الطالب في هذا الموضوع (٣) بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضعفِ

(١) س : « للذب » صوابه في ط ، ه . وليس في القرآن الكريم ذكر للذب ،
وإنما هو « الذئب » ورد في قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمي يونس عليه السلام : ذا النون في قوله تعالى :
« وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِبًا » لأن النون كان قد التقمه في اليم ، انظر مفردات
الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد في القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل
ذكر الإبل ، والبعبان ، والجراد ، والحية ، والسليوى ، والضفادع ، والغنم ،
والقراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيء أضعف منه ، وهو الذباب . ثم مع ذلك لم نجدَه جَلَّ وعلا .
ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا ذُبَابًا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فدلَّ بوهن بيته
على وهن خلقه ، فكان هذا القول دليلًا على التصغير والتقليل . وإنما لم
يقُل : إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي عَنْكَبُوتًا .

وقال تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتَرُّ كُهُ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان في ذلك دليلٌ على ذمِّ طباعه ، والإخبار عن تسرُّعه
وبذائه . وعن جهله في تدبيره ، وترُّكه وأخذَه . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ أَحَدًا
مِنْ أَعْدَائِي كَلْبًا .

وذكر الذرَّة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلًا على أنه من الغايات في الصغر
والقِلَّة ، وفي خِفَّة الوزن وقلة الرجحان . ولم يذكر أَنَّهُ مَسَخَ أَحَدًا مِنْ
أَعْدَائِهِ ذَرَّةً .

وذكر الحمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلًا
في الجهل والغفلة ، وفي قِلَّة المعرفة وغِلظ الطبيعة . ولم يقل إِنِّي مَسَخْتُ
أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِي حِمَارًا .

وكذلك جميع ما خلق وذكَّر من أصناف الحيوان بالذمِّ والحمد . فأما
غير ذلك مما ذكر من أصناف الحيوان ^(١) ، فإنه لم يذكره ^(٢) بدم ولا
نقص ، بل قد ذكر أكثرهن ^(٣) بالأمر المحموده ، حتَّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مهمل : « بالذم والحمد » ساقط من س .

(٢) س : « يذكر » .

(٣) س : « أكثرها » .

القرود فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلم يكن لها في قلوب
النَّاسِ حال . و [لو]^(١) لم يكن جعل لها في صدور^(٢) العامة والخاصة من
القُبْح والتَّشويه ، ونذالة النَّفْس ، ما لم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما
خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمنا أنَّ العُقربَ أشدُّ عداوةً وأذىً ، وأفسدُ ، وأنَّ الأفعى والتَّعْبَانِ
وعامةُ الأحناس^(٣) ، أبغضُ إليهم وأقتلَ لهم ، وأنَّ الأسدَّ أشدُّ صولةً ، وأنهم
عن دفعهم له أعجز ، وبغضهم له على حسب قوته عليهم ، وعجزهم عنه ،
وعلى حسب سوء أثره فيهم . ولم تره تعالى مسخَّ أحدًا من أعدائه على صورة
شيء من هذه الأصناف . ولو كان الاستبدال والاستثقال والاستسقاط أراد ،
لكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدَانَ أولى وأحقَّ^(٤) . ولو كان التَّحْقِيرَ
والتَّصْغِيرَ أراد ، لكانت الصُّوَابَةُ والجُرْجِسَةُ^(٥) أولى بذلك . ولو كان إلى
الاستصغار ذهبَ لكان الذُّرُّ والقملُ والذَّبَابُ أولى بذلك . والدليل على قولنا
قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعَهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وليس أن النَّاسَ رأوا شيطاناً قطُّ على صورة ،
ولكنَّ لما كان الله [تعالى] قد جعل^(٦) في طِبَاعِ جميع الأمم استقباحَ
جميعِ صُورِ الشَّيَاطِينِ ، واستسماجه وكرهته ، وأجرى على ألسنة جميعهم
ضربَ المثل في ذلك - رجس بالأيحاش والتَّنْفِيرِ ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناس : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفي الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هي في س : « إذا
كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البموض الصغار . في الأصل : « المرجسة »
صوابه ما أثبت .

(٦) في الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفريع^(١) ، إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخريين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم^(٢) .

وهذا التأويل أشبهُ مِن قولِ مَنْ زَعَمَ مِنَ المفسرين ، أَنَّ رَعُوسَ الشَّيَاطِينِ نَبَاتٌ يَنْبِتُ بِالْيَمِينِ^(٣) .

وقال الله عزَّ وجلَّ لَنَبِيِّهِ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رِجْسٌ ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ^(٤) ، ولم يذكر في هذه الآية التي أحصى فيها أصناف الحرام ، وأباح ما وراء ذلك - القرْدَ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثيرٍ منهم يحتمل المعارضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أَنَّ في الخنزير معنىً متقدِّماً^(٥) سوى المسوخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل للعذرة ، مع الخلاف الشديد

(١) في الأصل : « والتفريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) من ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازي في تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذي مال إليه أكثر المفسرين . وما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضرباً من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « المسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) ط ، ه : « متقدِّماً » تصحيحه من س .

واللواط المفرط^(١) والأخلاق السمجة ، ما ليس في القرد الذي هو شريكه
في المسخ - لما ذكره دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير في القرآن ، دون القرد)

وقد زعم ناسٌ أنَّ العربَ لم تكنْ تأكلُ القُرودَ . وكان من تنصَّر^(٢)
من كبار القبائل وملوكها يأكلُ الخنزيرَ ، فأظهر لذلك تحريمه ؛ إذ كان
هناك عالمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوكِ والسُّوقِ ،
يأكلونه أشدَّ الأكل ، ويرغبون في لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم
القرد ينهَى عن نفسه . ويكفي الطبايعَ في^(٣) الزَّجْرِ عنه غنْثُه^(٤) . ولحم
الخنزير مما يُستطابُ ويُتواصَفُ ، وسبيلُ لحم القردِ كسبيلِ لحم الكلب
يل هو شرٌّ منه وأخبث . وقد قال الشاعر^(٥) للأسديّ الذي ليمَ بأكل لحم
الكلب^(٦) :

يا فقعسىُّ لمْ أكلتَه بله لو خافك اللهُ عليه حرَّمة
فما أكلت لحمه ولا دمه

وليس يريد بقوله : « لو خافك اللهُ عليه » أن اللهُ يخافُه على شيءٍ
أو يخافه^(٧) من شيء . ولكنَّهُ لما كان الكلبُ عنده مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواط المفرط » : وإتما هو « اللواط المفرط » كما في س .

(٢) ط : « تنصَّر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفي الأصل : « غنثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق في (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامة الناس بأكله لحم الكلب ، وفي الأصل : « لم يأكل لحم الكلب »

وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » في الموضعين . وأثبت ما في س .

وَلَا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إِلَّا الْمَضْطَرُّ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الْكَلْبُ عَلَى
أَكْلِ لَحْمِهِ ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي لَمْ يَخَفْ ذَلِكَ فَيَحْرِمُهُ . وهذا مما لا تقف
الأعرابُ عليه ، وَلَا تَتَّبَعِ الْوَهْمُ مَوَاضِعَهُ ؛ لِأَنَّ هَذَا بَابٌ ^(١) يَدْخُلُ فِي بَابِ
«الَّذِينَ» ، فَمَا يُعْرَفُ بِالنَّظَرِ .

(ما قيل في جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجراء ^(٢) الكلاب نامس ، ويستطيونها فيما يزعمون .
ويقولون : إن جرو الكلب أسمنُ شئاً صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ،
كأنه يشبهه بفرخ الحمام ما دام فرخاً وناهما ، إلى أن يستحکم ويشدَّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السنانير . والذين يأكلونها صنفان من الناس :
أحدهما الفتى المغرور ، الذي يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل
سنوراً أسوداً بهيماً لم يعمل فيه السحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلة ،
وقد غسل ذلك وعصره ، أذهب الماء زهومتته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ
بمستقنرٍ ما استطابه . ولعلته أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطعام ^(٣) فوق
الذي هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشرط ، ودبر هذا التدبير ، ولم ينكره ،
عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

(١) ط : « في باب » ، والوجه حذف « في » كما في س ، ه .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصنف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ما ينصبون المصائد^(١) للسنانير ،
التي يُلقَّون منها في حمامهم^(٢) . وربما صادف غيظُ أحدهم وحنقه وغبه
عليه ، أن [يكون] السنور مفرط السمن ، فيدع قتله ويدبَّحُه . فإذا فعل
ذلك مرةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقرَّر^(٣) الرجلُ من أكل
الضبِّ والورل والأرنب ، فما هو إلا أن يأكله مرةً لبعض التجربة ، أو لبعض
الحاجة ، حتى^(٤) صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال^(٥) إلى ١٥
بأن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً
أطيبَ منه . والأعراب إنما^(٦) يأكلون الحياتِ على شبيهِ بهذا الترتيب
ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطباءِ والفلاسفة ، أن الحياتِ والأفاعى تؤكل نيئةً^(٧)
ومطبوخة ، ومشوية ، وأنها^(٨) تغذو غذاءً حسناً .

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصائد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيبهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتدبر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تقدّر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضاً . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكاه الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنه دخل على رؤبة ، وعنده جرذانٌ قد شواهنٌ ، فإذا هو يأكلهن ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنَّ خيرٌ من اليرابيع والضباب وأطيب ؛ لأنها عندكم تأكلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولُ الحياتِ^(١) في الصدور من جهة السموم ، لكانت من جهة التقدر^(٢) أسهلَ أمراً من الجرذان .

(أكل الذبان والزناير)

وناسٌ من السفالة^(٣) يأكلون الذبان . وأهلُ خراسانَ يُعجبونَ بأخذ البز ماورد^(٤) من فراخ الزناير ، ويعافون أذنانَ الجرادِ الأعرابيِّ السمين . وليسَ بين رِيحِ الجرادِ إذا كانت مشويةً وبينَ رِيحِ العقاربِ مشويةً فرق . والطعمُ تبعٌ للرائحة^(٥) : خبيثها خبيثها ، وطيبها لطيبها . وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويةً ونبيئةً ، أنها كالجراد^(٦) السمان .

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، ه .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج في شرق إفريقيا . وفي الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة في (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) في الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتي واضحاً في (٥ : ٣٥٦)

حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابي السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّهُ خدمتهُ في طلبِ فراخِ الزَّنابيرِ ليأْكها .
وفراخُها ضربٌ من الذَّبَّانِ .

(أكل لحوم البراذين)

فأمَّا لحوم البراذين فقد كثر علينا وفيينا ، حتى أنسنا به . وزعم بعضهم
أنه لم يأكلَ أطيَّبَ من رأسِ برِّذونٍ وسُرَّتِه . فأمَّا السُّرَّةُ والمعرَّقةُ (١) فإنهم
يزاجمون بها الجداءَ والدجاجَ . ويقدمون الأسرامَ المحشوةَ .

(أكل السراطين ونحوها)

ومن أصحابنا من يأكل السراطينَ أكلاً ذريعاً . فأمَّا الرِّقُّ (٢) والكوسج (٣)
فهو من أعجب طعام البحريين . وأهل البحر يأكلون البلبل (٤) وهو اللحم
الذي في جوف الأصداف .

والأعرابيُّ إذا وجد أسوداً سانحاً (٥) ، رأى فيه مالا يرى صاحب
الكسمير في كسميره (٦) .

(١) المعرقة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو في الماء شر
من الأسد في البر ، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضي .
ويسمى بالقرش في سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير
منه . وذكر الأب أنستاس في مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias
اليونانية . انظر معجم المملوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما في س ، ه .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتي في حواشي (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرني كم شئت^(١) من الناس ، أنه رأى أصحابَ الجبنِ الرطبِ^(٢) بالأهوازِ وقرها ، يأخذون^(٣) القطعةَ الضخمةَ من الجبنِ الرطبِ^(٤) ، وفيها ككواء الزنابير^(٥) ، وقد تولدَ فيها الديدان ، فينفضها وسطَ راحته ، ثمَّ يَمَحُّها^(٦) في فيه ، كما يَمَحُّ السويقَ والسكرَ ، أو ما هو أطيبُ منه .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النَّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

(١) وردت هذه العبارة أيضاً في ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها في ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لا يحمى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلا ، هو لغة رديئة حكاه ابن صفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر معنى اللبيب .

(٢) في الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق في (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتقد من الجبن ، الذي يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء في القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويحفظونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، ه : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهي الخرق في الحائط ، أو الثقب في البيت .

(٦) قح السويق ونحوه ، من باب سمع : استفه .

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿١٦﴾

وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ في المُثَلَّةِ والشَّنْعَةِ ، مِمَّنْ (١)
جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير (٢) والسنانير مما يعايش الناس .
وكلها لا تقبل الآداب . وإنَّ الفُهْودَ وهي وحشيةٌ تقبل كلها ، كما تقبلُ
البوازي ، والشواهين ، والصقورة (٣) ، والزُرَّاقُ ، واليُؤيُؤُ ، والعُقَابُ ، وعنَّاقِ
الأرض (٤) ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّاتِ . ثمَّ يفضلُها الفهدُ بِحِصْلَةٍ غريبةِ
وذلك أنَّ كبارها ومسائها أقبلُ للآدابِ ، وإن تقادمتْ في الوحشِ (٥) ،
من أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآدابِ ؛ لأنَّ الصغيرَ إذ أدبَ

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحجرة ، وحر - بضمين وبضمة - وحرور ، وجرات ،
ومحموراء . جاء في ط : « كالحماير » وهو تحزيف ، صوابه ما أثبت من
ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صادهما ،
وصقر بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجالحظ يميل
إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عنَّاق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغر من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ،
وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شيء حتى الطير ، ويسمى أيضاً
التففة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإنجليزية : Caracal . وفي الأصل :
« عنَّاق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباحث الفكر ، نسختي الخطية : « الوحش » والعبارة تنجبه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خبياً مؤاكلاً^(١) ، والمسِنَّ الوحشيَّ يخلُص لك كله ، حتى يصير أصيداً وأنفع . وصغارُ سباعِ الطَّيرِ وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهلياً فإنه لا يقبل الأدبَ على حال ، حتى كآتهُ - وإن كان بهيمةً - في طباع ذئب .

وذلك أنَّ أعرابياً أخذَ جرَّو ذئبَ وكان التقطه التقاطاً ، فقال : أخذتهُ وهو لا يعرف أبويه ولا عملهُما ، وهو غرٌّ لم يصد شيئاً ، فهو إذا ربَّناه وألَّفناه ، أنفعُ لنا من الكلب . فلما شبَّ عدا على شاة له فقتلها وأكل لحمها ، فقال الأعرابيُّ :

أَكَلتَ شُوَيْهِي وَرَبَّيتَ فِينَا فَنَ أدْرَاكُ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبٌ^(٢)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وحشيين [كانا^(٣)] ثم من أشدَّ الوحش توحشاً ، وألزمها للقفار ، وأبعدها من العمران . والذئب أغدر من الخنزير والخنوص^(٤) ، وهما بهيمتان .

(١) الحب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حيباً » ، ه : « جبناً » ، صوابه في س . وانظر ما سيأتي في (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية في (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميري . والشعر فيه :

بقرت شويهي وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضروري ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأما ضرره وإفساده ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ يُتَمَمَّى لَهُ الْأَسَدُ ؟ ! وذلك أن الخنازير^(١) إذا كانت بقرب ضياع قومٍ هلكت تلك الضياع ، وفسدت تلك الغلّات . وربما طلب الخنزير^(٢) بعضَ العروقِ المدفونةِ في الأرض فيخرّب مائةَ جريبٍ^(٣) ، ونابه ليس يغلبه معول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاءُ تمنّوا أن يصير في جنبهم^(٤) أسد . ولربّما صار في ضياعهم الأسد فلا يهيجونه ، ولا يؤذونه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زبيةً^(٥) منعهه أشدَّ المنع ؛ إذ كان ربّما حمى جانبهم من الخنازير فقط . فما ظنك بإفسادها ، وما ظنك بهيمةٍ يُتَمَمَّى أن يكون بدلها^(٦) أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنزير بالسّلاح ، وبالآلاتِ والأدوات التي تقتل بها ، فربّما قتل الرّجلَ منهم ، أو عقروه العقرَ الذي لا يندمل ؛ لأنّه لا يضرب بنابه شيئاً إلا قطعَه ، كائناً ما كان . فلو قتلوا في كلِّ يومٍ منها مائةً وقتلت في كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان في ذلك عوض .

(١) ط ، ه : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، ه : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال في الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .

(٤) الجنبية ، بالفتح : الناحية . س ، ه : « جنبهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

والخنزير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة^(١) ؛ لأنها تطلب أحرها
وأرطبها وأنتنها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرف أوقات
الصُّبْحِ والفجر ، وقيل^(٢) ذلك وبعده ؛ لبروز^(٣) الناس للغائط . فيعرف
من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصُّبْحِ ، أنه قد أسحر^(٤) وأصبح ،
بأصواتها ومرورها ، ووقع أرجلها فى^(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرزات .
ولذلك ضربوا المثل ببكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بجذر الغراب
وروغان الثعلب .

على أن الثعلب ليس بأروغ من الخنزير ، ولا أكد للفارس ،
ولا أشد إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأما قُبْحُ وجهه فلو أن القُبْحَ والإفلاس ، والغدر والكذب ، تجسدت
ثم تصوّرت^(٦) لما زادت على قُبْحِ الخنزير . وكل ذلك بعض الأسباب
التي مسخ لها الإنسان خنزيراً .

وأن القرد لسميح الوجه ، قبيح كل شيء^(٧) . وكفالك به أنه للمثل
المضروب - ولسكنه فى وجه آخر مليح . فليلحه^(٨) يعترض على قبحه

(١) الجلالة من الحيوان : التي تأكل الجلة والعذرة .

(٢) الواو ليست بالأصل ، وأثبتها من مباحج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .

(٣) كذا فى ط ، هـ ومباحج الفكر . وفى س : « لخروج » .

(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ :

« أسحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباحج الفكر .

(٥) فى الأصل : « إلى » ، وصوابه فى مباحج الفكر .

(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلاً عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور »

س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .

(٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شيء » .

(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحه ، يقال : ملح ملحاً وملاحه .

فيمارجه ويُصلح منه . والخزيرُ أقبح منه ؛ لأنه ضربٌ مُصمّتٌ بهم ،
فصار أسمعَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثني بعضُ أهل العلم ، مَن طال ثواؤه في أرض الجزيرة ، وكان
صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التبيين^(١) ، معترضاً للأُمور ، يجبُ
أن يُفَضِّيَ إلى حقائقها ، وتثبّت أعيانها بعلمها ، وتمييز^(٢) أجناسها ، وتعرّف
مقاديرِ قواها ، وتصرّف أعمالها ، وتنقلّ حالاتها ؛ وكان يعرفُ للعلم قدره ،
وللبیان فضله .

قال : ربّما رأيت الخنزيرَ الذّكرَ وقد أُلجأه أكثرُ من عشرينَ خنزيراً
إلى مَضِيقٍ ، وإلى زاوية ، فينزون عليه واحداً واحداً^(٣) ، حتى يبلغ آخرهم .
وخبّرني هذا الرَّجل وغيره من أهل النَّظرِ وأصحابِ الفكرِ ، أنّهم رأوا
مثلَ ذلك من^(٤) الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ في طبعه ، وإمّا أن
يكون له في أعينها من الامتحنسان شبيهةً بالذي يعترى عيونَ بعضِ الرجالِ
في الغلمان ، والأحداثِ الشَّبَابِ .

وقد يكون هذا بين الغرائقِ والكرّاءِ . والتسافدُ بين الذّكرِ
والأنثى . والسافدُ والسفودُ إذا كانا من جميعِ الذكورة ، كثيرٌ في جميعِ أصنافِ

(١) في الأصل : « التبيين » ، وهو تحريفٌ يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبين » بمعنى
التفهم والاكتهان .

(٢) في الأصل : « وتمييز » .

(٣) بدله في مباحث الفكرِ ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٣٠٠) : « ثم ينزو عليه
الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « في » .

الحيوان ، إلا أنه في جميع الخنازير والحمير أفضى . وأما^(١) تسافد الحمام الذكور والأُنثى للذكر^(٢) ، فأكثر من أن يكون فيه تنازع .

(معارف في الخنزير)

وباب آخر مما ذكر صاحب المنطق ، فزعم أن من الخنازير ماله ظلف واحد^(٣) ، وليس لشيء من ذوات الأنياب في نابه من القوة والذرب ما للخنزير الذكر ، وللجمل ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقى أسنانه^(٤) ، وكذلك الحافر والخف .

قال : والخنزير لا يلقى أسنانه ألبتة .

(من لم يشغر)

ويقال : إنَّ عبد الصمِّد بن علي^(٥) لم يشغر قط^(٦) ، وأنه دخل قبره

١٨

بأسنان الصبّا .

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « الذكر للأُنثى والأُنثى للذكر » .

(٣) يعني ظلّفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء في (٧ : ٢٤٠) : « وفي الخنازير ما ليس ظلّفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « والإنسان لا يلقى أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمِّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ،

ولى الجزيرة لأبي جعفر المنصور ، وكان أقدم بني هاشم في عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال شغرت ، بالبناء للمجهول ، وأشغرت ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر

المقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أن أسنان الذئب مخلوقة في الفك ، ممطولة^(١) في نفس العظم . وذلك مما توصف به أسنان الحية . قال الشاعر :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى الرَّأْسِ وَأَشْدَاقِ رَحِيَّاتِ^(٢)
وَالشَّاعِرُ يمدحُ الشَّيْءَ فَيَشْدُدُّ أَمْرَهُ ، وَيَقْوَى شَأْنَهُ ، وَرَبَّمَا زَادَ فِيهِ ،
وَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ فِي الذُّئْبِ مَا قَالَ ، هَذَا أَرَادَ .

ولا يشكُّون أن الضبع كذلك .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمد^(٣) مرق لحم الحيوان السمين ، مثل الخنزير والفرس ،
وأما ما كان كثير الثرب^(٤) ففرقته تجمد^(٥) ، مثل مرق لحم المعزى .

(١) المطال : أصله السبك والطبع . ط ، ه : « ممطولة » وصوابها من س
ومما سبق في (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت في (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد في هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى
الدم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى في ص ٩٤ . وهذه الكلمة
محرقة في الأصل ، فهى في ط ، س « يجمل » وفي ه : « يجمد » . وكتب
في هامشة س : « خ يجمد خ تجمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) في الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذكر يقاتل في زمن الهيج ، فلا يدعُ خنزيراً إلا قتلته ، ويدنو من الشجرة ويدلك جلده ، ثم يذهب إلى الطين والحماة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذكورة عن الإناث ، وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا ، وكذلك الثيران والكباشُ والتيوس في أقطيعها ، وهي قبل ذلك الزمان ^(١) متسالة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل في تلك الحالة ^(٢) لا يدعُ جملاً ولا إنساناً يدنو من هجمته ^(٣) .
والجمل خاصةً يكره قرب الفرس ، ويقاتله أبدا .
ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب . والأسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأن بعضها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كل واحد بلبؤته . وإذا كان للذئبة الأثني جراء ^(٤) ساءت أخلاقها وصعبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها في ذلك الزمان ، والفيالون يحمونها التزو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هيج لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله ، وأرسلوه في الفيلة الوحشية . فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس ؛ لمكان الألفعة .

(١) أي زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاسِ أَنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ریحاً في زمانٍ هيئتها ، فلا يباعدون الذُّكُورَةَ عنها ، وإذا اعترأها ذلك ركضتُ ركضاً شديداً ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ في الشَّمالِ والجنوبِ .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناثِ الخنازيرِ . فإذا^(١) كان زمنُ هياجِ الخنازيرِ ، تطأطئُ رءوسها ، وتحركُ أذنانها تحريكاً متتابعاً ، وتتغيرُ أصواتها إذا طلبتِ السِّفادَ . وإذا طلبتِ الخنزيرةُ السِّفادَ بالت بولاً متتابعاً .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنوصاً^(٢) . وإذا وضعت أجراً كثيرةً لم تقوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل من نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذُّكُورَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامح ، وترخي أذنانها . فإذا فعلت ذلك^(٣) تكنتى بنزوةٍ واحدة .

١٩

ويُعلَفُ الذُّكُورُ الشَّعيرَ في أوان النَّزْوِ ، ويصلح للأنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر ، والشاة في خمسة ، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر ، والحافر كله في سنة .

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك . وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنتى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر . وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر ، ولكن أولادهما لا تجيء كما يريدون . وأجود الأنزؤ أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة^(١) بكرا ولدت جراء ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثم ذكر [غير^(٢)] الطيبات فقال : ﴿ حَرَّمَ عَلَیْكُمْ الْمِیْتَةَ وَالدَّمَ وَحُمَّ الْخِنزِیرِ وَمَا أَهَلَ لِغَیْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفِقَةَ وَالْمُوقُوذَةَ وَالْمُتَرَدِّیَةَ وَالنَّطِیْحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّیْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النُّصَبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكَ فِسْقٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

(١) ط : « الخنزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مارفع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فاتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فاتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور .

ثم قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْحِنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ^(١) أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتٍ ﴾ تحتل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيبٌ ، يريدون العُدوبة . وإذا قالوا للبرِّ والشَّعيرِ والأرز طيبٌ ، فإنما يريدون أنه وسطٌ ، وأنه فوق الدُّون . ويقولون : فمٌ طيبٌ الرِّيحُ ، وكذلك البرُّ ، يريدون أنه سليم من اللُّتُنِ ، ليس أن هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً مُتنتة . ويقولون : حلالٌ طيبٌ ، وهذا لا يحل [لك ^(٢)] ، ولا يطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كقطن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة في قراءة حفص ، مجرورة في القراءات الأربعة التي سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه في معصية الله .
(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز في الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، في أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله في (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره في ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو في ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول للشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسٌ المَغْنِيُّ لبعض^(١) ولدِ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ^(٢) : لَقَدْ شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمَّكَ الْمُبَارَكَةَ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ . يَرِيدُ الطَّهَارَةَ . وَلَوْ قَالَ : شَهِدْتُ
زِفَافَ أُمَّكَ الطَّيِّبَةَ إِلَى أَبِيكَ الْمُبَارَكِ ، لَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَكَ طَيِّبٌ إِنَّمَا
يَدُلُّ عَلَى قَدْرٍ مَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :

وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدِ الْأُزْرِ^(٤)

وَقَدْ يَخْلُو الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ فَيَقُولُ : وَجَدْتَهَا طَيِّبَةً . يَرِيدُ طَيِّبَةَ الْكَوْمِ^(٥)
لذِيذَةِ نَفْسِ الْوَطءِ . وَإِذَا قَالُوا : فَلَانَ طَيِّبَ الْخُلُقِ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الظَّرْفَ
وَالْمَلْحَ^(٦) .

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ
طَيِّبَةٍ ﴾ ، يَرِيدُ رِيحًا لَيْسَتْ بِالضَّعِيفَةِ وَلَا الْقَوِيَّةِ .

- (١) طويس هذا ، هو الذي يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه - كما يقولون -
ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج
يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
يدخل في الإيقاع . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .
- (٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينما أسن ، أنا أو أنت
يا طويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتي . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول
الجواب في البيان : « بأبي أنت وأمي ، لقد . . . إلخ .
- (٣) هو الحرنق بنت هفان ، من مرثية لها ترقى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبيعي ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيط ، ومن قتل معهم من قومهم .
الخرزانة (٢ : ٣٠٦ بولات) .
- (٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معتزك *

- والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاي للشر . وهو ما ستر النصف الأسفل من
الإنسان . والمعنى أنهم أعفأ . ط : « الأرز » ، صوابه في س ، ه .
- (٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطاء .
- (٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلاَّ عن طيبِ نفسٍ منه . وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِنْ طِبَّنَا لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذ^(١) كانت طيبةً الهواءِ والفواكهِ ، خصيبةً .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفي هذا دليلٌ على أن التأويلَ في امرأةِ نوحٍ وامرأةِ لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حين سمعوا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوْحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أنه لم يعنِ الحيانة في الفرج :

وقد يقع اسمُ الحيانة على ضروب : أو لها المالُ ، ثمَّ يشتقُّ من الحيانة على المال الغشُّ في النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أن يوجِّه الخبرَ إذا نزل في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وحرَم الرُّسُل ، على أسمعِ الوجوه ، إذا كان للخبر مذهبٌ في السَّلامة ، أو في القُصُور على أدنى العيوب^(٢) . وقد علمنا أن الحيانة لا تنخطى إلى الفرج حتى^(٣) تبتدىء بالمال . وقد

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفي الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، ه : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون
نساؤهم زواني ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عز وجل : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ وقال :
﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ
زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ
خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال :
﴿ وَظَلَمْنَا عَلَيْكُمُ الْعِمَامَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقولته : طيب ، يقع في مواضع كثيرة ، وقد فصلنا بعض
ذلك (١) في هذا الباب .

ثم رجع بنا القول إلى موضعنا من ذكر الخنزير

ثم قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
٢١
ألا تراه قد ذكر أصناف ما حرّم ولم يذكرها بأكثر من التحريم ، فلما
ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيْتة
أو ذكر الذابح عليه اسم الله ، أنه رِجْسٌ (١) . ولا نعلم لهذا الوجه إلا الذي
خصه الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيم شأن العقاب ونزول الغضب ، وكان
ذلك القول ليس مما يضر الخنزير ، وفيه الزجر عن محارمه ، والتخويف

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رِجْسٌ » .

من مواضع عذابه . و [إن قيل ^(١)] : ينبغي أن يكون مسخ صورة القرد ،
فهلاً ذكره في التحريم مع أصناف ما حرم ، ثم خصه أيضاً أنه من بينها
رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إن العرب لم تكن تأكل القروء ،
ولا تلتبسُ صيدها للأكل . وكلُّ من تنصّر من ملوك الروم والحبشة
والصين ، وكلُّ من تمجّس من ملكٍ أو سوقة ، فإثمهم كانوا يرون للحم
الخنزير ^(٢) فضيلة ، وأن لحومها مما تقوم إليه النفوس ، وتنازع إليه
الشهوات . وكان في طباع الناس من التكره للحوم القردة ، والتقدّر ^(٣)
منها ما يُغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذ كان بينهما هذا الفرق ، ولو
ذكر ذلك وألحق القرد بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على
وجه التوكيد لما جعله الله تعالى في طبائعهم من التكره والتقدّر ، ولا ^(٤)
غير ذلك .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ
مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ^(٥) ﴾ .

(١) زيادة يقتضيهما الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، ه : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم
شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم .
والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية .
لاتصاله بالمصمص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت
مسرودة في س ، ه إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك^(١) كما ترى عن التحريم أنه يكون من وجوه : فمنها ما يكون كالكذب والظلم والغشم^(٢) والغدر ؛ وهذه أمور لا تحل على وجه من الوجوه . ومنها ما يحرم في العقل من ذبح الإنسان الطفل . وجعل في العقول التبيين^(٣) بأن خالق الحيوان أو المالك له ، والقادر على تعويضه ، يباح^(٤) ذلك في السماع على السنة رسله .

وهذا مما يحرم بعينه وبداته ، لأنه^(٥) حرم لعله قد يجوز دفعها . والظلم نفسه هو الحرام ، ولم يحرم لعله غير نفسه . وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنه ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنه عقاب امتحاناً واختياراً ، كمنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيل لهم : اذبحوا بقرة ؛ فإني أريد أن أضرب بها القنيل ثم أحبيهما جميعا . ولو اعترضوا من جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلما ذهبوا مذهب التلكو والتعلل^(٦) ، ثم التعرض ، والتعنت^(٧) في طريق التعنت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض^(٨) .

(١) كذا على الصواب في س ، ه . وفي ط : « أنباناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) في الأصل : « التبيين » وانظر التبيين ١ ص ٥١ .

(٤) س ، ه : « أن يباح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) في الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلكو : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكي » ه : « التلطي »

صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف = .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكون إنمَّا يريدون صرف العذاب ، ويجوز أن يكون إنمَّا يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكون (١) على قول من قال : لا أستطيع النظرَ إلى فلانٍ ، على معنى الاستقبال (٢) .

وباب آخر من التحريم ، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلُ التَّوْرَةُ ﴾ (٣) .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد (٤) :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ خِتْلَكُمْ (٥) كَمْشَى خِنْزِيرَةٍ إِلَىٰ عَذْرَةٍ (٦)

= انظر الآيات ٦٧ - ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادىء بدءه لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ماسبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كالحوم الإبل وأبائها .

(٤) هو أبو الشمقم الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، هـ : « خلتكم » ، وصوابه « حلتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر (١) :

نَعْمَ جَارُ الخنزيرةِ المَرْضِيعِ الغَرِّ ثَى إِذَا مَا غدا ، أَبُو كلثوم (٢)
طاوياً قد أَضابَ عندَ صديقٍ منْ ثريدٍ مُلَبَّبِ المَأدومِ (٣)
ثمَّ أَنحَى بِجَعْرِهِ حاجِبَ الشَّمِّ س فَالْتَقَى كالمِغْلَفِ المَهْدومِ

(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن (٤) : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمي : أَيُّكُمْ
يشتمه ؟ فقالوا : ما أحدٌ يُقدِّمُ عليه ! قال : فأنا أَشتمُهُ ويرضَى وَيَضْحَكُ !
قال : فقام إليه فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قَرَبَ اللهُ دارَكَ
ولا حياً مَزَارَكَ ! يا كَلْبُ ! فجعل جريرٌ يَنْتَفِخُ ، ثمَّ قالَ لَهُ : رَضِيتَ في
شرفِكَ وَفَضْلِكَ وَعَفَاكَ أَنْ تهاجِيَ القردَ العاجزَ (٥) ؟ ! يعنى الفرزدق . فضحك .
فحدَّثَ صديقٌ لى أبا الصَّلَعِ السَّنْدِيِّ (٦) بهذا الحديث ، قال : فشِعِرَى
أعجبٌ من هذا ؛ لأننى شتَمْتُ البُخْلَاءَ ، فشتمت نفسى بأشدَّ ممَّا شتمتهم .
فقال : وما هو ؟ قال قولى :

لَا تَرَى بَيْتَ هِجَايَ أَبْدأُ يُسْمَعُ مِنِّي
الهِجَا أَرْفَعُ مِّنْ قَدْرِهِ يَصْغُرُ عَنِّي (٧)

- (١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق في (١ : ٢٣٦) .
- (٢) الغرّي ، بالغيين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الغرّي » صوابه في ط ،
س والبيان (٣ : ٣١١) .
- (٣) في الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالآدم بالضم ، وهو
ما يخلط به الخبز .
- (٤) هو أبو الحسن المدائني الأخباري الراوية .
- (٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما في س ، هـ .
- (٦) ذكره ابن النديم في الشعراء المقلين ١٦٤ لبيسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزباني في المعجم
٣١١ باسم « أبو الصلغ » في حرف الضاد المعجمة . هـ : « الهندي » .
- (٧) س : « ينقص غنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحداً يسخر بالناس ، ويدعى أنه يرقى من
الضرس إذا ضرب على صاحبه . فكان إذا أتاه من يشتكى ضرسه قال له
إذا رقاہ : إياك أن تذكر إذا صرت إلى فراشك القرد ؛ فإنك إن ذكرته
بطلت الرقية ! فكان - إذا أوى إلى فراشه - أول شيء يخطر على باله
ذكر القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوجع ، فيغدو إلى الذي رقاہ ٢٣
فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بت وجعا ! فيقول : لعلك
ذكرت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : من ثم لم تنتفع بالرقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعض ظرفاء الكوفيين :

فإن يشرب أبو فروخ أشرب وإن كانت معتقة عقارا (١)

وإن يأكل أبو فروخ آكل وإن كانت خنايصاً صغاراً (٢)

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثاني برواية أخرى .
والمقار ، بالضم : الخمر ؛ لماعتها ، أى ملازمتها المدن ، أو لمعناها شارها
عن المشي .

(٢) الخنايص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان في عيون الأخبار
(٣ : ١٦) . والثاني منهما في اللسان (فرخ) .

(قردي يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية^(١) :

فَمَنْ مَبْلِغُ الْقِرْدِ الَّذِي سَبَقْتُ بِهِ جِيَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَانُ
تَعَلَّقَ أبا قَيْسٍ بِهَا إِنْ أَطَعْتَنِي فَلَيْسَ عَلَيْهَا إِنْ هَلَكْتَ ضَمَانُ^(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجرداني أن بشاراً الأعمى ، لم يجزَع من هجاءٍ قطَّ كجزَعِهِ مِنْ

بَيْتِ حَمَادِ عَجْرِدٍ ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَيَا أَفْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، ه وأمالى الزجاجي ٤٦

والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفي مروج الذهب (٣ :

٧٧) أن القائل بمض شعراء الشام ، وكذا في مباحج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة

فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر

به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت

الفرسان في طلبه فنجوا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية فليس علينا إن هلكت ضمان

فقلت من الشخص الذي سبقته به جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرود هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتي

عن نهاية الأرب : « وفي القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛

حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الخمر والمسابقة عليها .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما في المخصص . بها : أي بالأتان .

(شعر في الهجاء)

وقال بُشَيْرُ بن أبي جَدِيْمَةَ العَبَسِيِّ (١) :

أَتَخَطِرُ لِلْأَشْرَافِ حَذِيْمُ كَبْرَةٌ وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلخَطَرَانِ (٢)
أَبِي قِصْرُ الأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْمْ قُرُودٍ وَسَطُ كُلِّ مَكَانِ
لَقَدْ سَمِنَتْ قِرْدَانُكُمْ آلَ حَذِيْمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانِ (٣)

الأصمعي (٤) عن أبي الأشهب (٥) عن أبي السليل قال : ما أبالي أخنزيراً

رأيتُ يُجْرُ بِرِجْلِهِ (٦) ، أو مثل (٧) عبيد ينادى : يالَ فُلَانِ !

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جديمة بن الحكم بن مروان بن زنياع بن جديمة العبيسي ، ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية في حاسته (٢ : ١٨٢) . وفي الأصل : « بشر بن المهدي » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقييل حذيم : أتعدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قروداً لنفسهم . والقرد لا ذنب له يخطره به . ورواية الجماسة : « أتخطر للأشراف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أي سمئت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابي رواية أبي تمام . التبريزي (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعي » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعى عن أبي ظبيان^(١) قال : الخوز^(٢) هم البناة^(٣) الذين بنوا الصرح^(٤) واسمهم مشتق من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك^(٥)] ، فجعلت العرب خوك^(٦) خوزاً^(٧) . إلى هذا ذهب .

(تناسل المسخ)

و [قد] قال الناسُ في المسخ بأقوايلَ مختلفة : فمنهم من زعم أن المسخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يكون موعظةً وعبرةً ، فقطعوا على ذلك^(٨) الشهادة . ومنهم من زعم أنه يبقى ويتناسل ، حتى جعل الضبَّ والجري^(٩) ، والأرانب ، والكلاب وغير ذلك ، من أولاد تلك الأمم التي مُسخت في هذه الصور . وكذلك قولهم في الحيات .

وقالوا في الوزغ : إن أباهما^(١٠) ، لما صنع في نار إبراهيم وبيت المقدس ما صنع^(١١) ، أسمه الله وأبرصه ، فقيل : « سام أبرص » . فهذا الذى

(١) لم أشر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها في ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من هـ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله في المعجم : « الفعلة » . ط ، هـ : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) في الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمى استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) في الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) في الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .

(١٠) س ؛ هـ : « أباهم » . وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبي في سر العربية فصلا لذلك ، عنوانه : (فصل في إجراء غير بنى آدم مجراهم في الإخبار عنه) .

(١١) في سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان في بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى^(١) هو من ولده ؛ حتى صار في قتله الأجر العظيم ، ليس على أن الذي يقتله كالذي يقتل الأسد والذئب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا في سهيل^(٢) ، وفي الزهرة^(٣) ، وفي هاروت وماروت^(٤) ، وفي قيرى وعيرى أبوى ذى القرنين^(٥) ، وجرهم^(٦) ، ما قالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده . وكذا رووا أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . السعيرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذلك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . وما يشبه هذه الخرافة ما زعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذلك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسبحها الله شهاباً . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلاً بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصي والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ في شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء ، أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآني فيما أنهما ملكان أنزلا لتعلم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعملانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فمحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاء بالبلاء الموحدة في فقه اللغة بدون اختلاف في النسخ ، وثمار القلوب

٢٢٦ وكذا في الجزء الأول من نسخة كوبريل . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨)

وفي رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمشناة التحتية . وفي ط :

« قيرى وعيرى » و ه : « قيرى وعيرى » و س (قيرى — مهمل — وعيرى)

أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو

أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨)

وثمار القلوب . جاء في الأصل بعده : « وفي أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة

كما ظهر لك . وجاء في ط ، ه : « ذوى القرنين » تحريف صوابه في س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول في المسخ)

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي نَفْسِ الْمَسْخِ فَإِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ : فَأَمَّا الدُّهْرِيَّةُ ٢٤
فَهُمْ فِي ذَلِكَ صَنِيفَانِ : فَهَنِمَ مَنْ جَحَدَ الْمَسْخَ وَأَقْرَبَ بِالْحَسْفِ (١) وَالرَّيْحِ
وَالطُّوفَانِ ، وَجَعَلَ الْحَسْفَ كَالزَّلَازِلِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَقْرَأُ مِنَ الْقَذْفِ بِمَا كَانَ
مِنَ الْبَرَدِ الْكِبَارِ (٢) ؛ فَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَإِنَّهَا لَا تَجِيءُ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ . وَقَالَ :
لَسْتُ أُجَوِّزُ إِلَّا مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ فِي الْعَالَمِ . فَأَنْكَرَ
الْمَسْخَ الْبَيْتَةَ .

(أثر البيئته)

وقال الصنّف الآخر لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي
فيفسد ماؤهم (٣) وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك في طباعهم (٤) على الأيام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رقيقة من جرهم
فنزّلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم ونعم الرمي ونطق بلسانهم ثم خطب
إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هي بنت مضاض بن عمرو الجرهمي .
والزعم الذي أشار إليه الجاحظ هو قوطم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى
الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١) :
١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدمي - في زعمهم -
« العليان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبي .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى في شأن قارون : « فخسفنا
به وبداره الأرض » .

(٢) أي أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبيراً . فأما سقوط الحجارة
من السماء للتعذيب فهو يتكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء في القرآن الكريم
على أنه عقاب لعقوب لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها
حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم
حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذريات ٢٣ .
في الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماؤهم » ، وصوابه في س .

(٤) س : « طباعهم » .

كما عمل ذلك في طباع الزنج ، وطباع الصقالبة^(١) ، وطباع بلاد أجوج ومأجوج^(٢) . وقد رأينا العرب وكانوا أعراباً حين نزلوا خراسان ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني ، وترى طباع بلاد الترك كيف تطبع الإبل والدواب وجميع ماشيتهم : من سبع وبهيمة ، على طبائعهم . وترى جراد البقول والرياحين وديدانها خضراً ، وراها^(٣) في غير الخضرة على غير ذلك . وترى القملة في رأس الشاب الأسود الشعر سوداء ، وراها في رأس الشيخ الأبيض الشعر بيضاء ، وراها في رأس الأشمط شمطاء ، وفي لون الجمل الأورق^(٤) . فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء . فإن نصل خضابه صار فيها شكلة من بين بيض وحمر .

وقد نرى حرّة بنى سليم^(٥) ، وما اشتملت عليه من إنسان وسبع ، وبهيمة وطائر ، وحشرة فتراها كلها سوداء .

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسمودية في التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذي بناه الإسكندر ، وبين المسمودية طبائعهم بأنهم في عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وراها » .

(٤) الشمت محرّكة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً في غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا في س ، هـ . وفي التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشبهة نحو الشمت . والأورق من الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفي الأصل : « شكلة » محرف .

(٦) الحرّة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار : وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرّة في عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرّة ، في رسائل الجاحظ ٧٨ سامي وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبرنا من لا يُحصَى من النَّاسِ أنَّهم قد أدركوا رجلاً من نبطِ
بَيْسان^(١) ، ولم أذنباً إلا تكن كأذنب التماسيح والأسد والبقر والحيل
وإلا كأذنب السَّلاحف والجُرذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ^(٢) طوالٌ
كالأذنب .

وربما رأينا الملاح النَّبْطِيَّ في بعض الجعفرِيَّات^(٣) على وجهه شبهُ
القِرْد . وربما رأينا الرَّجُلَ من المَغربِ فلا نجد بينه وبين المِسخ ،
إلا القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماء الحَبِيثُ ، والتربةُ
الرديَّةُ ، ناساً في صفة هؤلاء المَغربِيِّين^(٤) والأنباط ، ويكونون جُهالاً ،
فلا يرتحلون ؛ ضنَّانَةً^(٥) بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك
عليهم زاد في تلك الشعور ، وفي تلك الأذنب ، وفي تلك الألوان الشُّقر ،
وفي تلك الصُّور المناسبة للقروء .

قالوا : ولم نعرف ، ولم يثبت عندنا بالخبر الذي لا يعارض ، أنَّ الموضع
الذي قلب صور قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذي نقل صور قوم إلى صور
القروء . وقد يجوز أن تكون هذه الصور انقلبت في مهبِّ الريح الشمالي ، والأخرى

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر في معجم ما استعجم ١٢٨٣

في رسم (بيسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع صجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملائن ،
أو فوق الجدول .

(٤) ط ، ه : « المشوهين » . وأثبت ما في س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنَّانة بالفتح : مصدر ضن يضمن ، بالفتح والكسر : يخجل .

في مهبط الجنوب^(١) . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسنا ننكر المسخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنه إن كان على
مجرى الطبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ
لقولكم .

قال أبو إسحاق^(٢) : الذي قلتُم ليس بمُحالٍ ، ولا يُستكر أن يحدث
في العالم برهاناتٌ ، وذلك المسخ كان على مجرى ما أعطوا من سائر الأعاجيب ،
والدلائل والآيات . ونحن إنمّا عرفنا ذلك من قبَلهم . ولولا ذلك لسكان الذي
قلتُم غير ممتنع . ولو كان ذلك المسخ في هذا الموضع على ما ذكرتم ،
ثمّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دعا به نبيٌّ ، لسكان ذلك أعظم الحجّة .

فأما أبو بكر الأصم^(٣) ، وهشام بن الحكم^(٤) ، فإنّهما [كانا^(٥)]
يقولان بالقلب ، ويقولان : إنّه إذا جاز أن يقلب الله خردلةً من غير أن
يزيد فيها جسماً وطولاً^(٦) [أو عرضاً^(٧)] جاز أن يقلب ابن آدم قرداً من غير
أن ينقص من جسمه طولاً أو عرضاً^(٨) .

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) . وانظر أيضاً
الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في
طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير
عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان
(٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولاً » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولاً جسماً أو عرضاً » هـ : « من جسم طولاً أو عرضاً » .

وأما أبو إسحاق فقد كان - لولا ما صحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنه ^(١) قد كان ، وأنه قد كان حُجَّةً وبرهاناً في وقته - لكان لا ينكر مذهبهم في هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميع من قال بالطَّبائع ولم يذهب مذهب جهم ^(٢) ،
وحفص الفرد ^(٣) .

وقال ابن العنسي ^(٤) يذكر القرد :

غَهْلًا غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حَدِيمٍ تَوَائِرُهَا فِي نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول في تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون ^(٥) في تحريم الخنزير عن مسألة ؛ فمنهم من أراد الطَّعْنَ ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم من أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة المفتيا ؛ إذ ^(٦) كان قوله خلاف قولنا .

قالوا : إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾
فذكر اللَّحْمَ دُونَ الشَّحْمِ ، ودُونَ الرَّأْسِ ، ودُونَ الْمَخِّ ، ودُونَ الْعَصَبِ ،

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء في عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) القرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفي الأصل : « القردى » ، وفي لسان الميزان ٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم في غير ما موضع . قال ابن النديم : « من الحجيرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا في س . وفي ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) في الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يتطلب التفريع الآتي .

(٦) في الأصل : « إذا » .

نودون سائرِ أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر الميتة بأسرها ، وكذلك (١) اللحم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالهما بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك في الخنزير ؛ لأنَّه ذكر اللحم من بين جميع أجزائه . وليس بين ذِكْر اللَّحْمِ والعظم فرق ، ولا بين اللَّحْمِ والشَّحْمِ فرق . وقد كان ينبغي في قياسكم هذا لو قال : حرِّمْتِ عَلَیْكُمْ الميتةَ واللَّحْمَ وشَحْمَ الخنزير ، أن تحرموا الشحم ، وإنَّما ذكر (٢) اللحم ، فلم تحرمتم الشحم ؛ وما بالكم تحرمون الشحم عند ذكر غير الشحم ! فهلا حرَّمتم اللحم بالكتاب ، وحرَّمتم ما سواه بالخبر الذي لا يُدْفَعُ ! ؟ فإن بقيت خصلة أو خصلتان مما لم تُصیبوا ذِكره في كتابٍ منزَّل ، وفي أثرٍ لا يدفع ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنَّ للناس عاداتٍ ، وكلاماً (٣) يعرف كلُّ شيءٍ بموضعه ، وإنَّما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لو كيله : اشتر لي بهذا الدينار لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فباتيه باللحم فيه الشحم والعظم ، والعرق والعصب والغضروف ، والفؤاد والطَّحال ، والرَّثَّة ، وبعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحمٌ ، والسَّمَكُ أيضاً لحمٌ . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِنِئًا تَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فإن كان الرَّسُولُ ذهب إلى المستعمل من ذلك ، وترك بعض ما يقع عليه اسم لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه . فإذا قال حرمت عليكم لحماً فكأنه قال : لحم الشاة والبقرة

(١) في الأصل : « فكذاك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » هـ : « وكلاماً ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنّ رجلاً قال : أكلت لحماً - وإنما أكل رأساً أو كبداً
أو سمكاً - لم يكن كاذباً . وللتّاس أن يضعوا كلامهم حيث أحبّوا ، إذا كان
لهم مجازٌ ؛ إلّا في المعاملات .

فإن قلت : فما تقول في الجلد ؟ فليس للخنزير جلد ، كما أنّه ليس
للإنسان جلدٌ إلّا بقطع ما ظهر لك منه بما تحته ، وإنّما الجلد ما يُسلخُ
ويُدْحَسُ (١) فيتبرأ ممّا كان به مُلتزقاً (٢) ولم يكن مُلتصفاً ، كفروق ما بين جلد
المُوصلة والعرقين (٣) .

فإن سألت عن الشّعْر ، وعن جلد المنخنة والموقوذة والمردية والنظيحة
وما أكل السبع (٤) ، فإنّي أزعّم أنّ جلده لا يُدْبَغ ولا يَنْتَفِعُ به إلّا
الأساكفة ، والقول في ذلك أنّه كلّهُ محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى :
﴿ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ ﴾ ، وكقوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ
إِنِّي فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

والعربُ تقول للرجل الصانع نجّاراً ، وإن كان لا يعمل بالثقب والمنشار
ونحوه ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسميه خبّازاً إذا كان يطبخ ويعجن .
وتسمّى العيرَ لطيمة (٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلّا واحد . وتقول :
هذه ظعنُ فلانٍ ؛ للهودج إذا كانت فيها امرأة واحدة . ويقال : هؤلاء
بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) هـ : « ملتصفاً » ، وهما سيان .

(٣) هـ : « والعرقين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات في ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها :

واللطيمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذي إليه يُقصد ، وصار في أعظم الأجزاء
قَدْرًا ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاء في اسمه . ولو كان الشحم معتزلاً من اللحم
ومفرداً في جميع الشحام ، كشحوم الكلى^(١) والثروب ، لم يجز ذلك .
وإذا تسكملت على المفردات لم يكن المخ لحمًا ، ولا الدماغ ، ولا العظم ،
ولا الشحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا ما أشبه ذلك . فلما قال :
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَاللَّحْمُ الْخَنزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
المشبهة باللحم تدخل في باب العموم في اسم اللحم ، كان القول واقعاً ٢٧
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبْحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا فَالْهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَامِ^(٢)
لَحْمٌ نَضِيجٌ لَا يُعْنَى طَابِخًا يُؤْتَى بِهِ مِنْ قَبْلِ كُلِّ طَعَامٍ^(٣)

(مسألة الهدهد)

وإذ قد ذكرنا بعض الكلام ، والمسائل في بعض الكلام ، فسندكر
شأن الهدهد والمسألة في ذلك . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَكَيْفَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾
يعنى الهدهد . فقال لسليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له - والعقوبة لا تكون

(١) في الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهي جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهمله : طعام القدوة ، بالضم ، وهي أول النهار .
والهام : الرموس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفي هـ ، س : « لا يعنى » بالياء .

(٤) في الأصل : « أولا يأتيني » .

إلا على المعصية لبشرى آدمى لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصية لله إلا ممن يعرف الله ، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى فترك ما يجب عليه من المعرفة - وفي قوله لسليمان : ﴿ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثم قال بعد أن عرف فصل^(١) ما بين الملوك والسوقة ، وما بين النساء والرجال ، وعرف عظيم^(٢) عرشها ، وكثرة ما أوتيت^(٣) في ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعرف^(٤) السجود للشمس وأنكر المعاصي . ثم قال : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٥) ، ويتعجب من سجدتهم لغير الله . ثم علم أن الله يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السر والعلانية . ثم قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من المميزين المستدلين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(١) ثم قال : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) في الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) في ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من ه ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أى الهدى .

(٥) قرأ حفص وعلى والكسائي بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحفة على الغيب

وَأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونِي^(١) بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِبَهْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢﴾ وَذَلِكَ أَنهَا قَالَتْ : ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِبَهْدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣﴾ ، [ثم^(٢)] قال سليمان للهدهد : ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤﴾] و [قال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلِنَّا بِشُكْرِهِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٥﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتسكليف والثواب ، والولاية^(٣) ، ودخول الجنة بالطاعة ، ودخول النار بالمعصية ؛ لأن المعرفة تُوجب الأمر والنهي ، والأمر والنهي يوجبان الطاعة والمعصية ، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة ، فينبغي للهداهد أن يكون فيها العدو والولي ، والكافر والمسلم ، والزنديق والدهري^(٤) . وإذا

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلًا لا وقفًا ، والمكي وحزة بإثباتها وصلًا ووقفًا ؛ إلا أن حزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلًا ووقفًا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدوم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكْمُ الجنس حُكْمًا واحدًا لزم^(١) الجميع ذلك . وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرّة ، والملمة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام - وجميع هذه الأمم ، تُقدّمها عليه في المعرفة - فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدّمة عليه ، في عقول هذه الأمة والأنبياء . وقد رأينا العلماء يتعجّبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهليّة ومن قولهم في الذئب والغراب^(٢) ، ويتعجّبون من الرواية في طوق الحمام؛ فإنّ الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام^(٣) .

وهذا القول الذي تؤمنون به في الهدهد ، من هذا النوع^(٤) .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى هَدِيدًا مِنْ عُرْضِ الْمَدَاهِدِ^(٥) ، فلم يوقع قوله على الهداهد جملة ، ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامّة ، وليكنّه قال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدِيدَ ﴾ فأدخل في الاسم الألف واللام ، فجعله معرفة فدلّ بذلك القصد على أنّه ذلك الهدهد بعينه . وكذلك غراب^(٦) نوح ، [وكذلك] حمارٌ عُزَيْرٌ ، وكذلك ذئب أهبان بن أوس^(٧) ؛ فقد كان لله فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهر الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للاتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفي القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثاني ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثاني .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام في (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عملَ أجره النَّاس ، كما لا يستطيع أجرهُ النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأعمالِ المجانينِ والعُقلاءِ عرفنا مقدارهما من صحّةِ أذهانهما وفسادها^(١) ، وباختلافِ أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفنا مقدارهما في الضعف^(٢) والقوّة ، وفي الجهلِ والمعرفة . وبمثل ذلك فصلنا^(٣) بين الجهادِ والحيوان ، والعالمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجهلَ منه^(٤) . ولو كان عند السَّبَاعِ والبَهائمِ ما عند الحكماءِ والأدباءِ ، والوزراءِ والخلفاءِ ٢٩ والأممِ^(٥) والأنبياءِ ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لا يخطئُ فيه إلا المانيّةُ^(٦) وأصحابُ الجهالاتِ فقط . فأمّا عوامٌ

(١) في الأصل : « وفسادهما » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحّة أذهانهم » .

(٢) ط ، ه : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فصلنا » بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » وفي تفسير أبي عبيدة . س : « والأمة » ، وهذه محرفة عن « الأمة » .

(٦) المانيّة : أتباع ماني ، متنبئٌ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنها في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سمة صدر ، فنزحوا إليهم في أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعنى بهم ، وكان يرمى بالفزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فأنهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (مئاني) وهي نسبة شاذة ، و (مانوي) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشذوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « هتاني » نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مغتايح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلاً عن خواصهم ، فهم يعلمون من ذلك مثل ما نعلم . وإنما يتفاضل
بالبیان والحفظ ، وينسق المحفوظ (١) . فأمَّا المعرفة فنحن فيها سواء . ولم
نعرف العقل وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدارَ معارف الحيوان إلا بما
يظهر منها (٢) . وبذلك الأدلة عرفنا فرق ما بين الحي والميت ، وبين
الجهاد والحيوان .

فإن قال الخصم : ما نعرف كلام الذئب ، ولا معرفة الغراب ، ولا علم
الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأن عيسى عليه السلام خلق من غير ذكرٍ
وإنما خلق من أنثى ؛ وأن آدمَ وحواءَ خلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأن
عيسى تكلم في المهد ، وأن يحيى بن زكريا نطق بالحكمة في الصبا ، وأن
عقياً ألحح ، وأن عاقراً ولدت (٣) ؛ وبأشياء كثيرة خرجت خارجة من
نسق العادة (٤) . فالسبب الذي به عرفنا أنه قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ
من المعرفة ، دون ما توهمتم وفوق ما مع الهدهد . ومتى سألتونا عن الحجّة
فالسبيل واحدة . ونحن نقر بأن من دخل الجنة من الجنين والأطفال
يدخلون عقلاء كاملين ، من غير تجاربٍ وتمرينٍ وترتيب . فسألتكم
عما ألهم الهدهد ، هي المسألة عما ألهم الطفل في الجنة .

(١) كذا في هـ . وفي ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أي من المعرفة . وفي الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولده له يحيى ، وكانت
امراته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقراً » .
وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت يا ويلتى ألد وأنا عجوز وهذا
بعلى شيخا » .

(٤) كذا في س . وفي ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ :

« وبأشياء كثيرة خارجة من . . الخ .

فإن قال قائل : فإن [كان^(١)] ذلك القول كله ، الذي كان من الهدهد ،
 إنما كان على الإلهام والتسخير ، ولم يكن ذلك عن معرفة منه ، فلم قال
 ﴿لَاعْدَبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعد الرجل ابنه
 - وهو بعد لم يجر عليه الأحكام - بالضرب الوجيع ، إن هو لم يأت السوق
 أو يحفظ سورة كذا وكذا ؛ فلا يعنفه أحد على ذلك الوعيد . ويكذب
 فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًا فيضربه لأنه ضربه . وهو في ذلك
 قد حسن خطه ، وجاد حسابه ، وشدا من النحو [والعروض^(٢)] والفرائض^(٣)
 شدوا حسنا ، ونفع أهله ، وتعلم أعمالاً ، وتكلم بكلام ، [و^(٤)] أجاب في الفتيا
 بكلام فوق معاني الهدهد في اللطافة والغموض . وهو في ذلك لم يكمل
 لاحتمال الفرض^(٥) والولاية والعداوة .

فإن قال : فهل يجوز لأحد أن يقول لابنه : إن أنت لم تأت السوق
 ذبحتك ؛ وهو جاد ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وإنما جاز ذلك في الهدهد لأن
 سليمان - ومن هو دون سليمان من جميع العالم - له أن يذبح الهدهد والحمام
 والدبب ، والعناق^(٦) والجدى . والذبح سبيل من سبل منياهم . فلو ذبحه
 سليمان لم يكن في ذلك إلا بقدر التقديم والتأخير ، وإلا بقدر صرف^(٧)
 ما بين أن يموت حتف أنه ، أو يموت بالذبح . ولعل صرف ما بينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ه . وفي ط : « العرائض » ، صوابه في س .

(٤) ليست بالأصل . وهي ضرورية .

(٥) ط : « الغرض » ، صوابه في س ، ه .

(٦) العناق ، كسحاب : الأثني من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، ه : « ضرب » ، صوابه في س .

لا يكون إلا بمقدار ألم عشرين دَرَّةً^(١) . ولعلَّ نثف جناحه يَنَى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهدَ بعينه حقاً ما دلت عليه الآية ، ولم نجز ذلك في جميع الهداهد ، ولم نَكُنْ^(٢) كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكَّبَ^(٣) عصفوراً من العصافير ضرباً من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير^(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنَّا لو تأوَّلنا للذبيح على مثالِ تأويلِ قولنا في ذبح إبراهيم إسماعيل^(٥) عليهما السلام - وإنما كان ذلك ذبحاً في المعنى لغيره^(٦) - أو على معنى قول

(١) أي عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها في سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) في الأصل : « ولم يجز ذلك في جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركيب » ، ولا تصحح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأي وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عيس ، وكان له ضلع كبيرة في حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا بن دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسي : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : يا ابن أخي ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لا يطاقون : عبد ملك ، ونذل شيع ، وأمة ورثت ، وقيبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغاني (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والسكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميداني (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدعى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفسير في الذبيح منها ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوي في تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس في القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفي سفر التكوين ، الأصحاح الثاني والعشرين ، ما ينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأي مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو السكيش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلا على السكيش . س : « ذبحا في العين » ، صوابه في ط ، هـ .

القائل : أمّا أنا فقد ذبحته وضربت عنقه ، ولكن السيف خانني . أو على قوهم : المسك الدبيح^(١) ، أو على قوهم : فجئت وقد ذبحني العطش - لكان ذلك مجازاً .

ولو أن صبيّاً من صبياننا سُئل ، قبل أن يبلغَ فرضَ البلوغِ بساعة ، [وكان^(٢)] رأى مَلَكة سبياً^(٣) في جميع حالاتها ، لما كان بعيداً ولا ممنوعاً أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلَكةً ، ورأيتهَا تسجُدُ للشمس من دون الله ، ورأيتهَا تُطِيعُ الشَّيْطَانَ وتُعصِي الرَّحْمَنَ . ولا سبياً إن كانَ من صبيان الخلفاء والوزراء ، أو من صبيان الأعراب .
والدليل على أن ذلك الهدهد كان مسخراً وميسراً ، مُضِيهِ إلى اليمن ، ورجوعه من ساعته .

ولم يكن من الطير القواطع فرجع إلى وكره . والدليل على ذلك أن سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كل ما ذكرت ، وأنت لم تعلم حين مضيت بطالاً هاربا من العمل ، أتكدي أم تنجح ، أو ترى أعجوبة أو لا تراها . ولكنّه توعدّه على ظاهر الرأى ، ونافره القول ؛ ليُظهر الآية والأعجوبة .

(طعن الدهرية في ملك سليمان)

ثمّ طعن في ملك سليمان ومَلَكة سبياً ، ناسٌ من الدهريّة، وقالوا^(٤) : زعمتم أن سليمان سأل ربه [فقال] : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يُنْبِغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾

(١) أى الذى شقت فأرته . وفأرة المسك : نافجته ، أى وعازه .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) ليست فى س . وبدلها فى ه : « سبياً » ، محرقة عما أثبت من ط .

(٤) فى الأصل : « وقال » .

وأنَّ الله تعالى أعطاه ذلك ، فدلَّكه على الجنِّ فضلاً عن الإنس ، وعلمه منطلق الطَّير ، وسخرَّ له الرِّيح ، فكانت الجنُّ له خوَّلاً ، والرِّياحُ له مسخرةً ثمَّ زعمتم - وهو إمَّا بالشَّام وإمَّا بسوَادِ العِراق - أنَّه لا يعرف باليمن مَلَكةً هذه صفتها . وملوكنا اليومَ دونَ سليمانَ في القُدرة ، لا يخفى عليهم صاحب الخَزَر ، ولا صاحبُ الروم ، ولا صاحبُ الترك ، ولا صاحبُ الثُّبوة . وكيف يجهل سليمانَ موضِعَ هذه المَلَكة ، مع قُربِ دارِها واتِّصالِ بلادها ! وليس دونها بحارٌّ ولا أوعارٌ ؛ والطريقُ نهجٌ للخَفِّ والحافرِ والقدمِ (١) . فكيف والجنُّ والإنسُ طوعُ يمينه . ولو كان ، حينَ خبَّره الهدهُدُ بمكانها ، أضربَ عنها صفحاً ، لكان لقائلٍ أن يقول : ما أتاه الهدهُدُ إلَّا بأمرٍ يعرفه . فهذا وما أشبهه دليلٌ على فساد أخباركم .

٣١

قلنا : إنَّ الدُّنيا إذا خلاها الله وتديَّرَ أهلها ، ومجاريَ أمورِها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن نزعمُ أنَّ يعقوبَ بنَ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ كانَ أئبَةَ أهلِ زمانِهِ ؛ لأنَّه نبيُّ ابنِ نبيِّ . وكان يوسفُ وزيرَ ملكِ مصرَ من النَّبأةِ بالموضعِ الذي لا يدفَعُ (٢) ، وله البرُّدُ (٣) ، وإليه يرجع جوابُ الأخبارِ ، ثمَّ لم يعرفَ يعقوبُ مكانَ يوسفَ ، ولا يوسفُ مكانَ يعقوبَ عليهما السلام - دهرًا من الدُّهور ، مع النَّبأةِ ، والقُدرةِ ، واتِّصالِ الدارِ .

وكذلك القولُ في موسى بنِ عمرانَ ومنَ كانَ معه في التَّيهِ (٤) ، فقد

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، ه : « الخف » صوابه في س .

(٢) النَّبأة : الشبهة . ط ، ه : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص في س « والملك النَّبأة في الموضع الذي لا يدفع » . وليس بشيء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسرارة من أرض الشام » .

كانوا أُمَّةً من الأمم يَتَكَسَّبُونَ^(١) أربعين عاماً ، في مقدارِ فراسخٍ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وما كانت بلادُ التَّيِّهِ إلا من ملاءبهم ومُنْتَزَهاتهم^(٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك^(٣)] العسكرِ^(٤) الأدلاءَ والجمالين^(٥) ، والمسكارين^(٦) ، والفيوج^(٧) ، والرُّسلَ ، والتَّجارَ : ولكنَّ اللهَ صَرَفَ أوهامهم ، ورفع ذلك الفصل^(٨) من صدورهم .

وكذلك القول في الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، فَتَقُولُ^(٩) : لَأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ كَلِمَا أَرَادَ مَرِيدٌ^(١٠) مِنْهُمْ أَنْ يَصْعَدَ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ رُجِمَ صَاحِبُهُ^(١١) ، وَأَنَّهُ كَذَلِكَ مِنْذُ كَانَ لَمْ يَصِلْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَى اسْتِرَاقِ السَّمْعِ^(١٢) ، كَانَ مَحَالاً أَنْ يَرُومَ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ الذُّكْرِ وَالْعِيَانِ .

(١) تكسب : ذهب في ضلاله . ومثله تسكب بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسمون » والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون في الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليلكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ - ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفي (٦ : ٢٦٨) : « الحارين » .

(٦) المسكارين : جمع مكار . والمسكارى : من يكثرى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفي آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع في شئيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « بيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوج » ، صوابه في هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت ما في س .

(٩) ط ، هـ : « فتقول » بالتاء ، صوابه في س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنا] قد علمنا أن إبليس لا يزال عاصياً إلى يوم البعث .
ولو كان إبليس في حال المعصية ذاكراً لإخبار الله تعالى (١) أنه لا يزال عاصياً
وهو يعلم أن خبره صدق ، كان محالاً أن تدعوه نفسه إلى الإيمان ، ويطمع
في ذلك ، مع تصديقه بأنه لا يختار الإيمان أبداً .

ومن المحال أن يجمع بين وجود (١) الاستطاعة وعدم الدواعي
وجواز الفعل .

ولو أن رجلاً علم يقيناً أنه لا يخرج من بيته يومه ذلك ، كان محالاً أن
تدعوه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنه لا يفعل . ولكن إبليس لما كان
مصروف القلب عن ذكر ذلك الخبر (٣) ، دخل في حدّ المستطيعين .

ومثل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بشره الله بالظفر وتمام
الأمر (٤) بشر أصحابه بالنصر ، ونزول الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين
في كل حال ، لم يكن عليهم من المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة (٥)
لم يؤجروا . ولكن الله تعالى بنظره إليهم رفع (٦) ذلك في كثير من الحالات

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكراً لأخبار
الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالياء .

(٣) أي عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى
ما كان في وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ - ١٢٦ من سورة
آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالذال .

عن أوهامهم ؛ ليحملوا^(١) مشقة القتال ، وهم لا يعلمون : أيغلبون أم يُغلبون
أو يقتلون أم يقتلون .

ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة ٣٢
للقرآن ، بعد أن تحدّاهم الرسولُ بنظمه . ولذلك لم نجد أحداً طمّح فيه .
ولو طمّح فيه لتكلفه ، ولو تكاف بعضهم ذلك فجاء بأمر^(٢) فيه أدنى شبهة
لعظمت القضية^(٣) على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ،
ولآلتى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطلبوا المحاكمة والتراضى ببعض العرب ،
ولكثر القيلُ والقيلُ .

فقد رأيت أصحابَ مُسَيْلِمَةَ^(٤) ، وأصحاب ابن النواحة^(٥) إنما تعلّقوا
بما ألف لهم مُسَيْلِمَةَ من ذلك الكلام ، الذى يعلم كلُّ من سمعه أنه إنما
عدا على القرآن فسلبه ، وأخذ بفضه ، وتعاطى أن يُقارنه . فكان لله ذلك
التدبيرُ ، الذى لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

فإن كان الدهرىُّ يريدُ من أصحاب العباداتِ والرُّسلِ ، ما يريد من

(١) س : « ليحملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل
الهجرة ، وصنع أسجاعاً ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله :
« والشمس وضحاها . فى ضوئها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها لينغشاها .
فأدركها حتى أتاها . وأظفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « يا ضفدع نقي نقي .
كم تنقين . لالمساء تكدرين . ولا الشرب تمنين » . وكان قد قوى أمره فى
اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش
لمقارنته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير
من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهْرِيُّ الصَّرْفِ ، الذي لا يُقَرُّ إلا بما أوجده العيان ، وما يجري مجرى العيان - فقد ظلم .

وقد علم الدهريُّ [أننا نعتقد (١)] أن لنا ربًّا يَخْتَرع الأجسامَ اختراعاً وأنه حتى لا حياة ، وعالمٌ لا يعلم (٢) ، وأنه شيءٌ لا ينقسم ، وليس بذي طول ولا عرض ولا عمق ، وأن الأنبياء تحيى (٣) الموتى . وهذا كله عند الدهريِّ مستنكر ، وإنما كان يكون له علينا سبيل (٤) لو لم يكن الذي ذكرنا جائزاً في القياس ، واحتجنا إلى تثبيت الربوبية وتصديق الرسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكان كونه غير مستنكر ، ولا محالٍ ، ولا ظلم ، ولا عيب ، فلم يبق له إلا أن يسألنا عن الأصل الذي دعا إلى التوحيد ، وإلى تثبيت الرسل .

وفي كتابنا المنزل الذي يدلُّنا على أنه صدق ، نظمهُ البديع الذي لا يقدر على مثله العباد ، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به .

وفيه مسطور أن سليمان بن داودَ غبرَ حيناً - وهو ميت - معتمداً على عصاه ، في الموضع الذي لا يُحجَب عنه إنسيٌّ ولا جنيٌّ ، والشياطين منهم المسكودُ بالعمل الشديد (٥) ، ومنهم المحبوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

-
- (١) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إلى مثلها .
(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أي صفة أزلية .
(٣) ط ، هـ : « تحيى » صوابه في س .
(٤) بدله في س : « وإنما كان يكون له علة » .
(٥) المسكود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ما أثبت من س .

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ (١) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ . وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كَذَلِكَ حِينًا وَهُوَ تَجَاهَ أَعْيُنِهِمْ (٢) ، فَلَهُمْ عَرَفُوا سَجِيَّةَ وَجْهِ الْمَوْتَى ، وَلَا هُوَ إِذْ كَانَ مَيِّتًا سَقَطَ سُقُوطَ الْمَوْتَى . وَثَبَتَ قَائِمًا مَعْتَمِدًا (٣) عَلَى عَصَاهُ ، وَعَصَاهُ ثَابِتَةٌ قَائِمَةٌ فِي يَدِهِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةً مَوْتَانًا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وَنَحْنُ دُونَ الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ فِي صِدْقِ الْحَسَنِ ، ٣٣ وَنُفُودِ الْبَصْرِ ، وَلَوْ كُنَّا مِنْ بَعْضِ الْمَوْتَى بِهَذَا الْمَكَانِ ، لَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ وَكَانَ أَدْنَى ذَلِكَ أَنْ نَنْظُرَ وَنَرْتَابَ . وَمَتَى ارْتَابَ قَوْمٌ وَظَنُّوا وَمَاجُوا (٤) وَتَكَلَّمُوا وَشَاوَرُوا ، لَقِنُوا وَثَبَّتُوا (٥) . وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانُوا فِي الْعَذَابِ وَرَأَوْا تَبَاشِيرَ الْفَرَجِ .

(١) الجوابي : جمع جابية ، وهو الخوض الجامع . وإثبات الباء في آخر الكلمة وصلا ووفقا لقراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووفقا لقراءة الباقرين . وهذه القراءة الأخيرة هي ما في س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط .

و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص

عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفَةُ (١) التي يُلقِيها اللهُ تعالى على قلبٍ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا (٢)]
 أَنَّ اللهُ يَقْدِرُ على أَنْ يَشْغَلَ الأَوْهَامَ كيف شاء ، ويذَكِّرُ بما يَشَاءُ ، وَيُنَسِّيَ
 ما يَشَاءُ ، لما اجتمع أهلُ داره وقصره ، وسُورِهِ وَرَبِّضِهِ (٣) ، وَخَاصَّتِهِ ، ومن
 يَخْدُمُهُ من الجنِّ وَالإِنْسِ وَالشَّيَاطِينِ ، على الإِطْبَاقِ بِأَنَّهُ حَيٌّ . كذلك
 كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يَشْعُرُوا به كانوا على ما لم
 يزلوا عليه . فعلمنا أَنَّ الجنَّ وَالشَّيَاطِينِ كانت تُوهِمُ الأَغْيَابِ وَالْعَوَامَّ ،
 وَالْحَشَوَةَ (٤) وَالسَّفَلَةَ ، أَنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيبِ - وَالشَّيَاطِينِ لا تعلم
 ذلك - فأراد اللهُ أَنْ يَكْشِفَ من أَمْرِهِم لِلجَّهَالِ ما كان كَشَفَهُ للعلماءِ . فهذا
 وأشباهه من الأُمُورِ نَحْنُ إلى الإِقْرَارِ به مضطرونَّ (٥) بِالْحَجَجِ الاضطراريَّةِ
 فليس لخصومنا حيلةٌ إِلاَّ أَنْ يُوَاقِفُونَا (٦) ، وَيَنْظُرُوا في العلةِ التي اضطرتنا
 إلى هذا القولِ ؛ فَإِنْ كانت صحيحةً فالصَّحِيحُ لا يُوجِبُ إِلاَّ الصَّحِيحَ . وإن
 كانت سقيمةً عَلِمْنَا أنَّما أُتِينَا من تأويلنا (٧) .

وأما قوله : ﴿لَأَعَدِّبَنَّهٗ﴾ فَإِنَّ التَّعْذِيبَ يَكُونُ بِالْحَبْسِ ، كما قال اللهُ

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س :

« الصدقة » صوابها في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الريض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل في الأرض . أراد به البون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يوافقونا ، بتقديم القاف ، من الموافقة ، وهي أن يقف المرء مع غيره في خصومة

ومجادلة . وفي الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشيء .

(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفي الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام .

ط ، ه : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفي س أيضاً « علم »

مكان « علمنا » و « أفاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عزَّ وجلَّ : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ .
ولمَّا كانوا مُحْيِسِينَ (١) .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذبتى ! وقد عذبتنى (٢) !
ومن العذاب ما يكون طويلاً ، ومنه ما يكون قصيراً الوقت . ولو خسف الله
تعالى بقومٍ في أقلِّ من عُشر ساعة (٣) لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم
أحلَّ الله عذابه ونقمته ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسد ، وما أكثرَ ما يلحقُ
بصاحب (٤) السِّيفِ والرَّمحِ ، فيضربه بِنَابهِ ، فيقطعُ كلَّ ما لقيه من جسده :
من عظمٍ وعصبٍ ، حتى يقتله . وربَّما احتال أن ينبطح (٥) على وجهه على
الأرض ، فلا يغني ذلك عنه شيئاً .

وليس لشيءٍ من الحيوان كاحتمال بدنِّه لوقوع السهام ، ونفوذها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أزوَّغ من ثعلب ، إذا أرادته الفارس . وإذا (٦) عدا أطمعَ
في نفسه كلَّ شيء ، وإذا طولب أعياء الخيل العتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنسلُّ

(١) الخيس ، هو من قولهم : إبل نخيسة : لا تشرح . ط : « محبوسين » وهى

صحيحة بمعنى « محبوسين » . س ، هـ : « محبوسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتنى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنَّ الحَنزِيرَةَ تَضَعُ عِشْرِينَ حِنُونًا ، وهو مع كَثْرَةِ إنسَالِهِ - من
أَقْوَى الفُحُولِ عَلَى السَّفَادِ ، وَمَعَ القُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ هُوَ أَطْوَلُهَا مُكْتَأً فِي سَفَادِهِ ،
فَهُوَ بِذَلِكَ أَجْمَعُ لِلْفُحُولَةِ (١) .

وإذا كَانَ الكَلْبُ وَالذَّنْبُ موصُوفَيْنِ بِشِدَّةِ القَلْبِ ؛ لِطُولِ الخَطْمِ (٢) ،

فَالْحَنزِيرُ أَوْلَى بِذَلِكَ .

وَالفِيلُ نَابٌ عَجِيبٌ ، وَلِكِنَّهُ لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ النَّابُ مَبْلَغًا (٣) ،
وَلِئِمَّا يَسْتَعِينُ بِخَرْطُومِهِ ، وَخَرْطُومُهُ هُوَ أَنْفُهُ ، وَالخَطْمُ غَيْرُ الخَرْطُومِ .

(مَا قِيلَ فِي طَيْبِ لَحْمِهِ وَإِهَالَتِهِ)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهو طيب لحمه ولحم أولاده (٤) . وإذا
أرادوا وصف اختلاف (٥) ودك الكركي (٦) في مرق طيبخ ، قالوا : كأنَّ
إِهَالَتَهُ إِهَالَةَ خَنزِيرٍ (٧) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْرَعُ إِلَيْهَا (٨) الجُمُودِ . وَسْرَعَةُ جُمُودِ إِهَالَةٍ

(١) فِي الأَصْلِ : « أَجْمَعُ الفُحُولَةَ » وَلَا تَصِحُّ . وَفِي ط ، هُ زِيَادَةٌ : « هَذَا » فِي
أَخْرَ الجُمْلَةَ وَلَا وَجْهَ لَهَا كَمَا فِي س .

(٢) سَبَقَ مِثْلَ هَذَا الكَلَامِ فِي (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لَقَصْرُ عُنُقِهِ لَا يَبْلُغُ البَابَ يَقْصُرُ عَنْهُ وَلَا يَبْلُغُ » الخ . وَأَثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ
س ، ه .

(٤) بَدَلَ هَذِهِ العِبَارَةِ فِي هُ : « وَلَهُ طَيْبُ لَحْمِهِ » فَقَطْ . وَجُمْلَةُ « وَلَهُ طَيْبٌ » سَاقِطَةٌ
مِنْ س .

(٥) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي هُ . وَفِي ط ، س : « اِخْتِلَافٌ » .

(٦) الكَرْكِيُّ ، بِالضَّمِّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ أَبْتَرُ الذَّنْبِ طَوِيلُ العُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ :
Grane . قَالَ الدَّمِيرِيُّ : « وَلِلْمَلُوكِ مِصْرٌ وَأَمْرَاتُهَا فِي صَيْدِهِ تَغَالُ لَا يَدْرِكُ حِدَهُ ،
وَإِنْفَاقُ مَالٍ لَا يَسْتِطَاعُ حِصْرَهُ وَعَدَهُ » . ط : « الكَرْكِيُّ » ، صَوَابُهُ فِي
س ، ه .

(٧) الإِهَالَةُ ، بِالكَسْرِ : الشَّحْمُ . وَالوَدَكُ : الدَّمُ . هُ : « أَهَالَهُ إِهَالَ
خَنزِيرٍ » ، مَحْرُوفٌ .

(٨) س : « إِلَيْهِ » مَحْرُوفٌ .

الماعز في الشتاء عيب . وللضأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للاتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحتيجَ إلى صِلَتِهِ في بعض الأمراض لم يلتجِمْ بِهِ إِلَّا عَظْمُ الْخِنْزِيرِ .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُربَ فصاح لم يكن السَّامِعُ يَفْصِلُ بَيْنَ صَوْتِهِ وَبَيْنَ صَوْتِ صَبِيٍّ مَضْرُوبٍ (١) .

(طيب لحمه)

وفي إطباقِ جميع الأُممِ على شهوةِ أكله واستطابَةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أن له في ذلك ما ليس لغيره .

(زعم المجوس في المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أن المنخنقة والموقوذة والمتردية (٢) ، وكل ما اعتبط ولم يمت حتف أنفه (٣) ، فهو أطيب لحمًا وأحلى ؛ لأنَّ دمه فيه ، والدم حلوٌ

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى في (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ما سبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، ه : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ما أثبت . وبه في س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمَ . وإنما عافَهَ مَنْ عافَهَ من طَرِيقِ العادةِ والِدَيانةِ ، لا من طَرِيقِ الاستقذارِ
والزُّهْدِ الذي يَكُونُ في أصلِ الطَبِيعَةِ .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجَرِيَّ والضَّبَّابَ^(١) على مثل ذلك ، وشَغِفَ بِهِ
آخرون .

وقد كانت العربُ في الجاهليَّةِ^(٢) تأكل دمَ الفِصْدِ^(٣) ، وتفضِّلُ
طَعْمَهُ ، وتُخْبِرُ عَمَّا يورثُ من القوَّةِ .

قال : وأيُّ شَيْءٍ أَحْسَنُ من الدَّمِ ، وهل اللَّحْمُ إلا دَمٌ استحالَ كما
يستحيل اللَّحْمُ شَحْمًا؟! ولكنَّ الناسَ إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج
وكيف يخرج ، كانَ ذَلِكَ كاسِراً لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِهِ .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّارِ في حَسَنِها^(٤) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ في الأَرْضِ جِسْمٌ لم يصبغ
أَحْسَنَ مِنْهُ^(٥) . وَلَوْلا معرفتُهُمْ بِقتلِها وإحراقِها وإتلافِها ، والألمِ والحرقَةِ
المولدين^(٦) عنها ، لتضاعفَ ذَلِكَ الحَسَنُ^(٧) عِنْدَهُمْ . ولأنَّهم لَيَرَوْنَهَا

(١) الجرى ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق

الكلام عليه في (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه في س ، ه .

(٣) وذلك بأن يعضوا الدم ، بعد فصدته في الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا في ط ، هـ ، وفي . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « الحسن » ، محرف .

في الشتاء بغير العيون التي يرونها بها في الصيف . ليس ذلك إلا بقدر ما حدث من الاستغناء عنها .

وكذلك جلاء السيف ؛ فإن الإنسان يستحسن قد السيف وخرطه ، وطبعه وبريقه . وإذا ذكر صنيعه والذى هبى له ، بدا له في أكثر ذلك (١) ، وتبدل في عينه ، وشغله ذلك عن تأمل محاسنه .

ولولا علم الناس بعداوة الحيات (٢) لهم ، وأنها وحشية لا تأنس ولا تقبل أدباً ، ولا ترعى حق تربية ، ثم رأوا شيئاً من هذه الحيات (٢) البيض ، المنقشة الظهور - لما بيئتها ونوموها إلا في المهد ، مع صبيانهم .

(رد على من طعن في تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة (٣) : تحريم الأغذية إنما يكون من طريق

العبادة والمحنة ، وليس أن جوهر شيء من المأكول (٤) يوجب ذلك . ٣٥
وإنما قلنا : إننا وجدنا الله تعالى قد مسخ عبادة من عباده في صور الخنزير [دون بقية (٥) الأجناس ، فعلمنا أنه لم يفعل ذلك إلا للأمور اجتمعت في الخنزير (٦)] . فكان المسخ على صورته أبلغ من التنكيل . لم نقل إلا هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما في س ، ه .

(٣) هذا البحث الآتى متعلق بما سبق في ص ٧٤ - ٧٧ ساسى وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتلى المعارضة بعدها من أول المجلد الثانى منها .

(٥) ه : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ وَيَطْرَبُ ، وَيَقْعَى وَيَحْكِي ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه
ويضعه في فيه ، وله أصابعُ وأظفار ، وينتقِ (١) الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّدِيدَ ،
وَيَلْقَنُ بالتَّلْقِينِ الكثير ، وإذا سقط في الماء غرِق ولم يَسْبِحْ ؛ كالإنسانِ قبل
أن يتعلَّم السَّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذي اعترى القردُ من ذلك - دون جميع
الحيوانِ عِلَّةً - إلا هذه المعاني التي ذكرتها (٢) ، من مناسبة الإنسانِ
من قبْلِها .

ويُحْكِي عنه من شدَّة الزَّواج ، والغيرةِ على الأزواج ، ما لا يحكي مثله
إلا عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرسُ ، إلا أنها
لا تزوج . والجملُ يَغَارُ ويحمي عانتَه الدَّهرُ كُلَّهُ (٣) ، ويضربُ فيها كضربه
لو أصابَ أتاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزوج ولا تغار .

واجتمع في القرد الزَّواج والغيرة ، وهما خصلتان كريمتان ، واجتماعهما
من مفاخر الإنسان على سائر الحيوان . ونحن لم نرَ وجهَ شيءٍ غير الإنسان أشبهَ
صورةً وشبهاً ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبهَ فماً ووجهاً بالإنسان ، من
القرد . وربما (٤) رأينا وجهَ بعضِ الحمير (٥) إذا كان ذا حُطْمٍ ، فلا نجدُ
بَيْنَهُ وبين القردِ إلا اليسيرَ .

(١) أصله من قولهم : نقي العظم نقياً : استخراج نقيه . والنقي بالسكسر : مخ العظام
وشحمها . فالعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمير الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، ه .

(٥) لعل المراد بالحمير هنا الروس . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم

روسيا . معنى ذلك : الحمير » . في الأصل : « بعض وجه الحمير » .

(أمثال في القرد)

وتقول (١) الناس : « أْكَيْسُ من قِشَّة (٢) » ، و « أَمْلَحُ مِنْ رَبَّاح (٣) »
ولم يقل أحد : أْكَيْس من خَنْزِيرٍ ، وَأَمْلَحُ من خَنْوِص . وهو قول العامة :
« القرد قَبِيحٌ وَلسكنه مَلِيح » .

(كَفَّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاسُ في الضَّبِّ : إنه مِسْخٌ . وقالوا : انظُرْ إلى كَفِّه وأصابعه .
فكفَّ القرد وأصابعه (٤) أَشْبَهُ وأصنَعُ . فقَدِّمَتِ القردَ على الخنزير من
هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأما القولُ في لحمه ، فإننا لم نزعم أن الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذي
مُسَخ ، ولا هو من نسله ، ولم ندعْ لحمه من جهة الاستقذار لشهوته في العَدْرَةِ ،
ونحن نجد الشَّهْوَط والجُرِّيَّ (٥) ، والدَّجَاج ، والجَرَادَ ، يشار كُنْه في ذلك ،
ولكن للخصال التي عددنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسَخ
الأعداء (٦) على صورته في خلقته .

(١) س : «ويقول» .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأثني .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجري : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام

في (١ : ٢٣٥) .

(٦) أي أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابي)

قال : وقلت مرّةً لعبيد الكلابيَّ - وأظهرَ من حُبِّ الإبل والشَّعْفِ بها ما دعاني إلى أن قلتَ لهُ - : أبينها وبينكم قرابةً (١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُوُولَةٌ . إني والله ما أعني البَحَّاتِيَّ ، ولكني أعني العَرَّابَ ، التي هي أعرب ! قلتَ لهُ : مَسَخَكَ اللهُ تعالى بعيرًا ! قال : اللهُ لا يمسُخُ الإنسانَ على صُورَةٍ كريمٍ ، وإنما يمسُخه على صورةٍ لثيمٍ ، مثل الخنزير ثم القرد (٢) .
فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ (٣) تكلم على فِطْرَتِهِ .

(قول في آية)

وقد تكلم المخالفون في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤) .
وقد طعنَ ناسٌ في تأويل هذه الآية ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجيء (٥) في كلِّ هلالٍ فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت في رأس السنته فرق .

(١) س : « أبينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، ه : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : للرجل الجافي .

(٤) هذه القرية هي أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر ، أي قريبة منه .
« يعدون في السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم »
أي يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبتت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » :
ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب في س . وفي ط ، ه : « يجيء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البصرة والأبلة ، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة [من السنة] السمكُ الأسبور (١) ، فيعرفون وقت مجيئه وينتظرونه ، ويعرفون وقت انقطاعه ومجيئ غيره ، فلا يمكث بهم الحال إلا قليلاً حتى يُقبِلَ السمك من ذلك البحر ، في ذلك الأوان ، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة ، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس . ومعلوم عندهم أنه يكون في أحد الزمانين أسمن ، وهو الجواف (٢) ، ثم يأتيهم الأسبور (٣) ، على حساب مجيء الأسبور (٤) والجواف . فأما الأسبور فهو يقطع إليهم من بلاد الزنج . وذلك معروف عند البحرين . وأن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة (٥) . وربما اصطادوا منها شيئاً في الطريق في وقت قطعها المعروف (٦) ، وفي وقت رجوعها . ومع ذلك أصناف من

(١) سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) . وفي الأصل : « الأسبور » محرف .

(٢) في الأصل : « الجواف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق في (٣ : ٢٥٩) .

(٣) في الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، ه : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف .

وانظر لأشبه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السّمك كالإزْبِيان^(١) ، والرَّقَّ^(٢) ، والكَوْسُج^(٣) ، والبرد^(٤) ،
والْبَرَسْتُوج^(٥) . وكلُّ ذلك معرُوفُ الزَّمانِ ، متوقَّعُ المخرَجِ .
وفي السّمكِ أوبدٌ وقواطعُ ، وفيها سيّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبّهُ يُصابُ .
ولذلك صاروا يتكلمونَ بِخُمْسَةِ السّنةِ^(٦) ، يهدونها^(٧) ، سوى ما تعلقوا به
من غيرها .

ثمَّ القواطعُ من اللطيرِ قد تأتينا إلى العِراقِ منهم^(٨) في ذلك الإيَّانِ
جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطَعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ في وقتها .

(١) الأريبان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف في مصر باسم « الجنبرى » ،
كما في معجم المعلوم . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ ص ٦)
وفي الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .
(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم
« القرش » أيضا في سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من
السمك الذى يقطع إلى البصرة كما في (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه
الكلية مضطربة في الأصل : فهى في ط : « الكرونوح » و س :
« الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفي الأصل : « يهدونها » بالذال المهملة ،
ولا وجه له .

(٨) جعل لغبر العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . في القرآن : « يأبىء النمل ادخلوا
مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يشى على بطنه » ، « لا الشمس
ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ، « إني
رأيت أحده عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المترض)

قُلْنَا لَهُلْوَآءِ الْقَوْمِ : لَقَدْ أَصَبْتُمْ فِي بَعْضِ مَا وَصَفْتُمْ ، وَأَخْطَأْتُمْ فِي بَعْضٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
 لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ ، وَيَوْمُ السَّبْتِ يَدُورُ مَعَ الْأَسَابِيعِ ، وَالْأَسَابِيعُ تَدُورُ مَعَ شَهْرِ
 الْقَمَرِ ^(١) . وَهَذَا لَا يَكُونُ مَعَ اسْتِوَاءٍ مِنَ الزَّمَانِ . وَقَدْ يَكُونُ السَّبْتُ فِي الشِّتَاءِ
 وَالصَّيْفِ وَالخَرِيفِ ، وَفِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ أَزْمَانِ قَوَاطِعِ
 السَّمَكِ ^(٢) وَهَيْجِ الْحَيَوَانِ وَطَلْبِ السَّفَادِ ، وَأَزْمَانِ الْفَلَاحَةِ ، وَأَوْقَاتِ
 الْجَزْرِ وَالْمَدِّ ، وَفِي سَبِيلِ الْأَنْوَاءِ ، وَالشَّجَرِ كَيْفَ يَنْفُضُ ^(٣) الْوَرَقَ وَالنَّمْرَ ؛
 وَالْحَيَاتِ كَيْفَ تَسْلُخُ ^(٤) ، وَالْأَيَّامِ كَيْفَ تَلْقَى قَرُونَهَا ^(٥) وَالطَّيْرِ كَيْفَ
 تَنْطِقُ وَمَتَى تَسْكُتُ .

ولو قال لنا قائل : إني نسي ^(٦) [و^(٦)] قُلْنَا لَهُ : وما آيتك ؟ وما علامتك ؟ ٣٧
 فقال : إذا كان في آخر تشرين الآخر أقبل إليكم الأسبور ^(٧) ، من جهة
 البحر - ضحكوا منه وسخروا به . ولو قال : إذا كان يوم الجمعة
 أو يوم الأحد أقبل إليكم الأسبور ^(٧) ، حتى لا يزال يصنع ذلك في كل

(١) ط : « القمرية » ، صوابه في س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٤) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه في س .
 وقد سبق مثله في (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابي نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من
 جلدها . جاء في س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س
 وموضعها في ط ، ه بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعي الملائم .

(٥) الأيل ينصل قرنه في كل سنة كما سبق في (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٧) في الأصل : « الأسبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة - علمنا اضطراباً إذا عايننا الذي ذكّر على نسقه أنه صادق ، وأنه لم يعلم ذلك إلا من قبيل خالق ذلك ^(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرّنا بعجيب ما نرى من مطالع النجوم ، ومن تناهي المدّ والجزر على قدر امتلاء القمر ونقصانه ، وزيادته ومحاقه ^(٢) ، واستسارته ^(٣) . وكلُّ شيء يأتي على هذا النسق من المجارى ، فإنّما الآيّة فيه لله وحده على وحدانيّته .

فإذا قال قائل لأهل شريعة ^(٤) ولأهل مُرسى ، من أصحاب بحرٍ أو نهرٍ أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدولٍ : تأتاكم الحيتان في كلِّ سبت . أو قال : في كلِّ رمضان . ورمضانٌ متحوّلٌ الأزمان في الشتاء والصيف ، والربيع والخريف . والسبت يتحوّل في جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانت تلك الأعجوبة ^(٥) فيه دالّة على توحيد الله تعالى ، وعلى صدق صاحب الخبر ، وأنه رسولٌ ذلك المسخر لذلك الصنّف . وكان ^(٦) ذلك المحيئ خارجاً من النسق القائم ، والعادة المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بيّنٌ . والحمد لله .

(١) بدله في ط ، هـ : « السمك » .

(٢) المحاق ، ماثقة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليالٍ من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غلوة ولا عشية .

(٣) استسار القمر : أن يخفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسارته ليلة تسع وعشرين . في ط ، هـ : « إسراره » س : « استاراه » ، والوجه ما أثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة في ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضع الذي ذَكَرَ أَنَّهُ مَسَخَ نَاسًا خَنَازِيرَ قَدْ ذَكَرَ الْقُرُودَ (١) . ولم يذكرهُ أَنَّهُ مَسَخَ قَوْمًا خَنَازِيرَ ، ولم يَمَسَخْ مِنْهُمْ قُرُودًا (٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسَخُ على صورة القِرْدَةِ (٣) أَشْنَعُ ؛ إذ كان المسخ على صورتها (٤) أَعْظَمَ (٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذي قد ذكر أَنَّهُ قد مسخ ناساً قُرُودًا فقد كان مسخَ ناساً خَنَازِيرَ . فلم يدعْ ذِكْرَ الخَنَازِيرِ وَذَكَرَ القُرُودَ (٦) إِلَّا والقُرُودُ في هذا الباب أَوْجَعُ وَأشْنَعُ وَأَعْظَمُ في العُقُوبَةِ ، وأدُلُّ على شِدَّةِ السَّخْطَةِ (٧) . هذا قول بعضهم .

-
- (١) س : « قُرُودًا » ، وفي ط ، هـ زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .
(٢) أي أَنَّهُ عند ذكره مسخ قوم خَنَازِيرَ قرنه أيضاً بالمسَخِ بالقُرُودِ ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة : « قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَكَرَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ » .
وفي الأصل : « ولم يذكر أَنَّهُ مسخ قوما قُرُودًا ولم يمسخ منهم خَنَازِيرَ » . وأصلحته بما ترى .
(٣) في الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .
(٤) في الأصل : « على صورتها » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .
(٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتي .
(٦) أي وحدها ؛ إذا قال في سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمت الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير .
(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطاً ، بالضم ، والتحرريك ، وبضمين ، وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السَّبَاع الحَظْم ، والحِرطوم - وقد يقال ذلك للخزير - والفِنْطِيسَة (١) ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابي : « كَأَنَّ فَنَاطِيسَهَا كِرَاكِرُ الْإِبِلِ (٢) » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكون خِزِيرٌ ولا أَيْلٌ بحريًّا . وذكر أَنَّ خَنَازِيرَ بعضِ البُلْدَانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضٍ نهاؤُنْدَ حِجَارٌ ؛ لشدَّةِ بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِجَارَ صَرِدٌ .

وقال : في أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شيءٌ من الخُلْدِ (٣) ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتًا . وفي الجزيرة التي تسمى صِقْلِيَّة (٤) لا يَكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذي يسمَّى أقرشان (٥) .

٣٨

(١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفي اللسان : « وروى عن الأصمعي : إنه لمنيع الفنطيسة والفرنطيسة والأرنبة ، أى هو منبع الحوزة حى الأنف . أبو سعيد : فنطيسته وفرطيسته : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « قناتيسها » ، وفى س : « فناتيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أصقلية » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أقرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسخ)

وأهل الكتابين^(١) يُنكرون أن يكون الله تعالى مسخَّ النَّاسِ قروداً
وخنزير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجْرًا^(٢) . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جنبنا التكلفَ ، وأعذنا من الخطلِ ، واحمنا من العُجْبِ بما
يكونُ منَّا ، والثقة بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(احتمال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوْحُ الكاتب
ورجالٌ من بني العنبرِ ، أن عندهم في رمال بلعبرٍ حيةٌ تصيدُ العَصَافيرِ
وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ
بلعبرِ ، وامتنعت الأرضُ على الخافي والمنتعلِ ، ورَوِضَ الجندبِ^(٣) ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) التي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ - ٢٦ : « فأمطر الرب
على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل
الدائرة ، وجميع سكان المدن ونيات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت
عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم ويفتح الدال : ضرب من الجراد صغير :
Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع
الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحية ذنبها في الرمل ، ثم انتصبت كأنها رمحٌ مركز ، أو عودٌ ثابت^(١) ، فيجىء الطائر الصغير أو الجراد ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره ، وقع على رأس الحية ، على أنها عود . فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جراداً أو جعلاً أو بعض مالا يُشبعها مثله ، ابتلعت^(٢) وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقع على رأسها طائراً يُشبعها مثله أكلته وانصرفت . وأن ذلك دائماً ما منع الرمل جانب^(٣) في الصيف والقيظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أن الطائر لا يشك أن الحية عود ، وأنه سيقوم له مقام الجذل للحرباء^(٤) ، إلى أن يسكن الحر ووهج الرمل .

وفي هذا الحديث من العجب أن تكون هذه الحية تهدي لمثل هذه الحيلة . وفيه جهل الطائر بفرق ما بين الحيوان والعود . وفيه قلة أكثرات الحية بالرمل الذي عاد كالجمر^(٥) ، وصلاح أن يكون ملة وموضعا للخبزة^(٦) ، ثم [أن^(٧)] يشتمل ذلك الرمل على ثلث الحية ساعات من النهار ، والرمل على هذه الصفة . فهذه أعجوبة من أعاجيب مافي الحيات .

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والحرباء : بالسكسر : دويبة من العطاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الراى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها تنوماً فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينصج .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالُ من الصَّقَالِبَةِ ، خصيانُ وفحول ، أَنَّ الحَيَّةَ فى بلادهم تأتى البقرة^(١) [المحفلة^(٢)] فتنطوى على فخذِها^(٣) ورُكبتِها إلى عراقِها ، ثم تُشخص صدرها نحو أخلافِ ضرعِها ، حتى تلتقم الخلف ؛ فلا تستطيع البقرة^(٤) [مع قوتها^(٥)] أَنْ تترَمِّمَ^(٥) . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقرة إما أن تموت^(٦) ، وإما أن يصيبها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تعسرُ مداواته^(٧) .

والحیة تُعجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى^(٨) الإناء غير مخمَّر^(٩)

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أيما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، ه : « المحفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخذى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) ترمم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خر الإناء : غطاه .

٣٩ كَرَعَتْ فِيهِ (١) ، وَرُبَّمَا حَجَّتْ فِيهِ مَا صَارَ فِي جَوْفِهَا ، فَيَصِيبُ شَارِبَ ذَلِكَ اللَّبَنِ أَذَى وَمَكْرُوهٌ كَثِيرٌ .

وَيَقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ مُحْتَضِرٌ (٢) . وَقَدْ ذَهَبَ نَاسٌ إِلَى الْعِمَّارِ ، عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الثُّوبَ الْمُعْضَفَرَ مُحْتَضِرٌ (٣) . فَظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَعْنَى فِي اللَّبَنِ إِنَّمَا رَجَعَ إِلَى الْحَيَاتِ .

(مَا تَعْجَبُ بِهِ الْحَيَاتُ)

وَالْحَيَّةُ تَعْجَبُ بِاللَّفَّاحِ (٤) وَالْبَطِيخِ (٥) ، وَبِالْحَرْفِ (٦) ، وَانْخَرَدَلِ الْمُرْخُوفِ (٧) ، وَتَكَرَّرَ رِيحَ السَّدَابِ (٨) وَالشَّيْحِ ، كَمَا تَكَرَّرَ الْوَزْغُ رِيحَ الزَّعْفَرَانِ .

(١) كَرَعٌ فِي الْمَاءِ أَوْ فِي الْإِنَاءِ ، كَنَعَ وَسَمِعَ ، كَرَعَا وَكَرَعُوا : تَنَاوَلَهُ بِفِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ بِكَفِيهِ وَلَا بِإِنَاءٍ .

(٢) مُحْتَضِرٌ ، بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ الْمَفْتُوحَةِ : تَحْضُرُهُ الْجَنُّ فَيَا يَزْعُمُونَ ؛ قَالُوا : وَلِذَلِكَ يَسْرَعُ إِلَيْهِ الْفَسَادُ . وَفِي الْأَصْلِ : « مُحْتَضِرٌ » بِالْمُهْمَلَةِ . وَلَيْسَ صَوَابًا .

(٣) ط : « مُحْتَضِرٌ » س : « مُحْتَضِرٌ » . وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ هـ . وَانظُرِ التَّنْبِيهِ السَّابِقَ .

(٤) الْفَفَّاحُ بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ : نَبْتٌ عَرِيضُ الْوَرَقِ ؛ وَلَهُ ثَمَرٌ فِي حَجْمِ الْتَفَّاحِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْفَرُ شَدِيدُ الْعَفْوَصَةِ وَالْقَبْضِ ، فَإِذَا نَضَجَ مَالَ إِلَى حَلَاوَةٍ مَا . وَيُسَمَّى بِالشَّامِ تَفَّاحُ الْجَنِّ . وَأَصْلُهُ يَتَكُونُ كَصُورَةِ الْإِنْسَانِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالسَّرْيَانِيَةِ : « يَبْرُوحَا » أَيْ يَنْقُصُهُ الرُّوحُ : وَيُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ : « هَزَارُ كَشَاي » أَيْ يَحُلُّ أَلْفَ عَقْدَةٍ .

(٥) لَا يَزَالُ هَذَا الزَّعْمُ بَاقِيًا فِي مِصْرَ ، وَالْعَامَّةُ عِنْدَنَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَظُوا الْبَطِيخَ الْمَشْقُوقَ مِنْ أَذَى الْحَيَاتِ وَالْهُوَامِ ، غَيَّبُوا نَصْلَ السَّكِينِ فِي جَوْفِهِ ، فَيَعْمَسُهُ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْهُوَامِ فَيَا يَرُونَ .

(٦) الْحَرْفُ ، بِالضَّمِّ : هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَبِّ الرَّشَادِ .

(٧) الْمُرْخُوفُ ، بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ : الَّذِي وَضِعَ عَلَيْهِ الْمَسَاءُ فَاسْتَرَخَى . وَهَذِهِ السَّكَلَةُ مُحَرَّفَةٌ فِي أَصْلِهَا ، فَهِيَ فِي ط ، هـ : « الْمَزْخَرَفُ » وَفِي س : « الْمَرْخُوفُ » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٨) هـ : « السَّدَابُ » بِالْمُهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ . وَانظُرِ لِلْعَقْدِ (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية ، إلا والحية أقوى بدنًا منه أضعافا . ومن قوتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها ، أو في صدع إلى صدرها ، لم يستطع أقوى الناس وهو قابض على ذنبا بكلتا^(١) يديه أن يخرجها ؛ لشدة اعتمادها ، وتعاون أجزاءها . وليست بذات^(٢) قوائم لها أظفار أو مخالب أو أظلاف^(٣) ، تُنْشِبُهَا في الأرض ، [و^(٤)] تنشب بها^(٥) ، وتعتمد عليها . وربما انقطعت في يدي^(٦) الجاذب لها ، مع أنها لدنة ملساء علكة^(٧) فيحتاج الرفيق^(٨) في أمرها عند ذلك ، أن يُرسلها من يديه بعض الإرسال ، ثم ينشطها^(٩) كالختطف والخنلس ، وربما انقطع ذنبا في يد الجاذب لها . فأما أذنا الأفاعي فإنها تنبت .

-
- (١) كذا على الصواب في س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر أنزمتا الألف .
وفى ط ، هـ : « بكتى » ، وهو خطأ .
(٢) في الأصل : « بذي » ، ووجه ما أثبت .
(٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه في س .
(٤) الزيادة من س ، هـ .
(٥) س : « تنبت فيها » .
(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .
(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام مالك وعلك ، ككتف : متين الممضفة . ط ، هـ : « من أنها » ، وإذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملابسها تقتضى انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .
(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .
(٩) نشط الشيء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب ^(١) ما فيها من هذا الباب ، أن نابها يُقَطَّع بالكاز ^(٢) ،
فينبت حتى يتمَّ نباته في أقلَّ من ثلاث ليال :

(نزع عين الخطاف)

والخُطَّافُ في هذا البابُ خلافُ الخنزير ، لأنَّ الخطاف ^(٣) إذا قُلِّعتْ
إحدى عينيه رجعت . وعينُ البردُونِ يركبها البياضُ ، فيذهب في أيامٍ
يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتملُ له بأن يُدخَلَ في فيها مُحمَّضُ أترج ^(٤) ، ويطبق
لحيها ^(٥) الأعلى على الأسفل ، فلا تقتل بَعْضُها أياماً صالحةً .
والمغناطيس الجاذب ^(٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثوم ^(٧) ،
لم يجذب الحديد .

-
- (١) س : « أعجيب » .
(٢) الكاز ، بالزاي : هو المقص بالفارسية . ط : « بالسكار » صوابه في س ،
ه ومعجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .
(٣) س : « الخنزير » صوابه في ط ، ه . وسيأتي في ص ١٤٣ : « فإن
نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .
(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه في (٣ : ٥٨١) . وحاصله : شحمه .
(٥) اللحي ، بالفتح : العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، ه : « لحيها »
بالثنية ، صوابه الإفراد كما في س .
(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر
التون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفي الأصل أيضا : « الجاذبة »
صوابه ما أثبت .
(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب
في ط ، ه . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت
بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدورُ عينها في رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرقت ببيضها^(١) تحطّم في جوفها ، فترمى بفراخها أولاداً ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثله .

وفى الأفاعى من العجب أنّها تُذبح حتى يُفرى منها كلُّ ودج ، فتبقى كذلك أياماً لا تموت . وأمّرت^(٢) الحاوى فقبض على خرزة^(٣) عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضاً رقيقاً^(٤) . فافتح بينها بقدر سمّ الإبرة حتى بردت ميّته^(٥) . وزعم أنه^(٦) قد ذبح غيرها من الحيات فعاشت على شبيهه بذلك ، ثمّ إنّهُ فصل تلك الخرزة على مثال ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرع من الطّرف .

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج ببيضها . ط : « طرقت ببيضها » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، ه : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . ه : « فصلا رقيقاً » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شَيْءٍ مَمْسُوحِ الْبَدَنِ (١) ، لَيْسَ بِذِي أَيْدٍ وَلَا أَرْجُلٍ (٢) ، فَإِنَّهُ
يَكُونُ شَدِيدَ الْبَدَنِ ، كَالسَّمَكَةِ (٣) وَالْحَيَّةِ .

(حديث في سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب (٤) قال : باعني حَوَاءٌ ثَلَاثِينَ أَفْعَى بَدِينَارِينَ ،
وأهدى إليَّ خَمْسًا اصْطَادَهَا مِنْ قُبَالَةِ الْقَلْبِ (٥) ، فِي تِلْكَ الصَّحَارَى عَلَى
شَاطِئِ دَجْلَةَ . قَالَ : وَأَرَدْتُهَا لِلتَّرْيَاقِ . [قَالَ] : فَقَالَ لِي حِينَ جَاءَنِي بِهَا :
قُلْ لِي : مَنْ يِعَالِجُهَا ؟ [قَالَ] : فَقُلْتُ لَهُ : فَلَانِ الصَّيْدَلَانِيَّ . فَقَالَ : لَيْسَ
عَنْ هَذَا سَأَلْتُكَ ، قُلْ لِي : مَنْ يَذْبَحُهَا وَيَسْلُخُهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا الصَّيْدَلَانِيُّ
بِعَيْنِهِ . قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِهِ ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ أَخْطَأَ
مَوْضِعَ الْمَفْصِلِ مِنْ قَفَاهُ (٦) ، وَحَرَكَتَهُ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ (٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالخاء المهملة ، وقد فسره بما

سأقي . وفي الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما في س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسك » .

(٤) س : « أحد بنى غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده

اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » في الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه في س ، هـ .

(٧) س : « يحسن » .

ولا يدري كيف يتغفله ، فينقره نقرَةً^(١) لم يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكني
سَأَتَطَوَّعُ لَكَ بِأَنْ أَعْمَلَ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه
[إلى (٢)] الجؤنة^(٣) ، فَيُغْفَلُ^(٤) الواحدة فيقبض على قفاها بأسرع من
الطَّرْفِ^(٥) ، ثم يذبجها . فإذا ذبجها سال من أفواها لعابُ أبيض ، فيقول :
هذا هو السم الذي يقتل ! قال : فجالت يده جؤنة . وقطرت من ذلك اللعاب
قطرة على طرف قيصر الصيدلاني . قال : فَتَفَشَّى^(٦) ذلك القاطرُ ح
صار في قدر الدرهم العظيم . ثم إنَّ الحوَاء امتحن ذلك الموضع فتهاقت

(١) النقر ، بالقاف : أصله الطير ، واستعماله في الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد
في ص ١٠٩ ، وكذا في أثناء قصة رواها الجهمشيارى (في كتاب الوزراء
والكتاب) بشأن حية مر بهارجل فقالت له : أدخلني في كلك حتى أدفأ ثم أخرج .
فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجي ! فقالت : إنى ما دخلت في هذا المدخل قط
فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواقه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل
أولئك بالقاف . انظر الجهمشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف في الأفاصي :
نكر ينكر ، بالنون ثم الكاف بعدها زاي معجمة ، كما سيأتى في ص ٢٥٣ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجؤنة ، بضم الجيم : سلية (تصغير سلة) منقشة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون
مع البطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحؤنة » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وهل ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال
تغفلة واستغفلة : تحيئت غفلة . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين .
س : « في أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفي اللسان : « تفشى الخبر : إذا كتب على كاغذ
رقيق فتشى فيه » . ط ، س : « فتششى » بالعين بدل الفاء ، ووجهه
ما أثبت من هـ .

في يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحَةً (١) [تجول] في الطست ويكدم (٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثه بالحديث ، فقال لي : وددت أني رأيت موضع القطرة من (٣) قبيص الصيدلاني ! قال : فوالله ما رمت (٤) حتى مرّ معي إلى الصيدلاني ، فأرّيته موضعه .
وأصحابنا يزعمون أنّ لعاب الأفاعى لا يعمل في الدّم . إلا أنّ أحمد بن المنثى زعم أنّ من الأفاعى جنساً لا يضّر الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أيّ الخبرين أبعد : أخبر ابن غالب في تفسير الثوب ، أو خبر ابن المنثى في سلامة الفروج على الأفعى ؟

(ما تضىء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنّ العيون التي تضىء بالليل كأنها مصابيح ، عيون الأسد والنور ، والسنانير والأفاعى ، فبينما نحن عنده إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعى من سجستان ، ويعمل الترياقات ، ويبيعها أحياءً ومقتولة (٥) ، فقال له : حدّثهم بالذي حدّثتني به من عين الأفعى . قال : نعم ، كنت في منزلي نائماً في ظلمة . وقد كنت جمعت رعوس أفاع (٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، ه .

(٢) يكدم : يمض . ط : « يكدم » بدون واو قباهما .

(٣) س ، ه : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر اللراء من « رمت » : أي ما برحت .

(٥) في الأصل : « معمولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنَّ عِنْدِي ، لِأُرْمِيَ بِهَا ، وَأَغْفَلْتُ تَحْتَ السَّرِيرِ رَأْسًا وَاحِدًا ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي
تَجَاهَ السَّرِيرِ فِي الظُّلْمَةِ فَرَأَيْتُ ضِيَاءً إِلَّا أَنَّهُ ضَيْلٌ ضَعِيفٌ رَقِيقٌ ، فَقَاتَ :
عَيْنُ غُولٍ أَوْ بَعْضِ أَوْلَادِ السَّعَالِيِّ ، وَذَهَبَتْ نَفْسِي فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْمَعَانِي ،
فَقَمْتُ فَقَدَحْتُ نَارًا ، وَأَخَذْتُ الْمَصْبَاحَ مَعِي ، وَمَضَيْتُ نَحْوَ السَّرِيرِ فَلَمْ أَجِدْ
تَحْتَهُ إِلَّا رَأْسَ أَفْعَى (١) ، فَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ وَنَمْتُ (٢) وَفَتَحْتُ عَيْنِي ، فَإِذَا
ذَلِكَ الضُّوءُ عَلَى حَالِهِ ، فَهَضَمْتُ فَصَنَعْتُ كَصَنِيعِي الْأَوَّلِ ، حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ
مِرَارًا . قَالَ : فَقَلْتُ آخِرَ مَرَّةٍ : مَا أَرَى (٣) شَيْئًا إِلَّا الرَّأْسَ أَفْعَى ، فَلَوْ نَحَيْتُهُ ! ٤١
فَنَحَيْتُهُ وَأَطْفَأْتُ السَّرَاجَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنَامِي ، فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَلَمْ أَرَ الضُّوءَ ،
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنْ عَيْنِ الْأَفْعَى ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِذَا الْأَمْرُ حَقٌّ ، وَإِذَا هُوَ
مَشْهُورٌ فِي أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(قُوَّةُ بَدَنِ الْحَيَّةِ وَعِلَّةُ ذَلِكَ)

قَالَ : وَرَبَّمَا قَبِضَ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْأَسْرَ وَالْقُوَّةَ الْقَبِضَةَ عَلَى قِفَا الْحَيَّةِ
فَتَلْتَفُّ عَلَيْهِ فَتَصْرَعُهُ . وَفِي صُعودِهَا وَفِي سَعْيِهَا خَلْفَ الرَّجُلِ الشَّدِيدِ
الْحَضْرَ ، أَوْ عِنْدَ هَرَبِهَا حَتَّى تَفُوتَ وَتَسْبِقَ ، وَليستْ بِذَاتِ قُوَّاتٍ ، وَإِنَّمَا

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فن جعلها وصفا لم يصرف كما
لا يصرف أحر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنيا وأفكلا . المخصص
(١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسي . وقال غيره : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » .
المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمتا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، ه : « لا أرى » .

تنسابُ على بطنها . وفي تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفي حرَكةِ الكلِّ^(١) من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنِها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربما كان في البَضعةِ أو في الشيء الذي ابتلعته عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شجرةٍ ، أو حَجْرًا شاخصاً^(٢) فتنطوى عليه انطواءً شديداً فيتحطم^(٣) ذلك العَظْمُ حتَّى يصير رُفَاتًا .
ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ في الماء ، إن صارت في الماء ، بعد أن كانت بريةً ، وتعيشُ في البرِّ بعد أن طال مُكثُها في الماء وصارت مائيةً .

قال : وإنما أتتها هذه القُوَّةُ ، واشتدَّت فِقْرُ ظهرِها هذه الشدَّةُ ؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أن لها من الأضلاعِ عددَ أيامِ الشهر . وهي مع ذلك أطولُ الحيوانِ عمراً .

(موت الحية)

ويزعمون أن الحيةَ لا تموتُ حتفَ أنفِها ، وإنما تموتُ بعَرَضٍ يعرِضُ لها . ومع ذلك فإنه ليس في الحيوانِ شيءٌ هو أصبرُ على جوعٍ من حيةٍ ، لأنها إن كانت شابةً فدَخَلتْ في حائطِ صخر ، فتنبَّهوا موضعَ مدخلِها بوتيدٍ أو بحجر^(٤) ، ثمَّ هدموا هذا الحائط ، وجدوها هناك منطوية

(١) أى كل أجزاءها . ط ، ه : « حركتها الكل » صوابه في س . والواد التي قبل « في » ساقطة من ط .

(٢) شاخصاً : مرتقماً . س : « حجر شاخص » صوابه في ط ، ه .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهي حَيَّةٌ . فالشَّابَةُ تُذكَرُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ هَذِهِ الْعَلَّةِ (١) . فَإِنَّ هَرِمَتْ صَغُرَتْ
فِي بَدَنِهَا ، وَأَقْنَعَهَا النَّسِيمُ ، وَلَمْ تَشْتَهَ الطَّعْمَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ : - وَهُوَ
جَاهِلِيٌّ (٢) - :

فَابْعَثْ لَهُ مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ (٣) مُسَيِّمَةً مِنْ حَنْشِ أَعْمَى أَصَمِّ
قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِدَمِّ فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمًّا (٤)
وهذا (٥) القولُ لهذا المعنى . وفي هذا الوجه يقول الشاعر (٦) :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنْ (٧) الْكِبَرِ صِلِّ صَفَاً مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ (٨)

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفي ط ، س :

« تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله في ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتي في (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : ما يلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرهما
فيما سيأتي .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهمله ،
صوابه في س وفي ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابه محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتي في ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما في ديوان الماعاني

(٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحامدة ابن الشجري

٢٧٣ - ٢٧٤ . وفي مجموعة الماعاني ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة ، ونسبت

إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب في المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص

أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لا يثبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه في س ، هـ .

يقول : قد قصر حتى ما يمكن انطواؤه . في نهاية الأرب : « لانطوى » ، وفي

ديوان الماعاني : « لا يظوى » ، وفي حامدة ابن الشجري : « ما يظوى » ،

وهذه مصحفة .

طويلة الإطراق من غير خَصْرٍ^(١) كأنما قد ذهبت بها الفِكر^(٢)

جاء بها الطوفان أيامَ زَخْرٍ^(٣)

(صَبْرُهَا عَلَى فَمَدِّ الطَّعْمِ)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانت مَوْصُوفَةً بِالشَّرِّهِ وَالنَّهَمِ ، وَسُرْعَةِ

الابتلاع ، فلها في الصَّبْرِ في أَيَّامِ الشِّتَاءِ مَا لَيْسَ لِلزَّهِيدِ^(٤) . ثُمَّ هِيَ بَعْدَ

[مِمَّا^(٥)] يَصِيرُ بِهَا الْحَالُ إِلَى أَنْ تَسْتَغِيَّ عَنِ الطَّعْمِ^(٦) .

(النَّهْمُ وَالشَّعَابِينُ)

ثُمَّ قَدْ يَزْعَمُونَ أَنَّ مِمَصْرَ دَوِيْبَةً يُقَالُ لَهَا النَّهْمُ^(٧) يَتَّخِذُهَا النَّاطُورُ^(٨)

إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنَ الشَّعَابِينِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الدَّأْبَةَ تَنْقَبِضُ وَتَنْضَمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، ه : « الأطراف » بالفاء . ومثله في ديوان المعاني ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لوجه له ، والصواب المشيت من س وحاسة ابن الشجرى . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهى في ط : « تفر » وفي س ، ه : « نفر » وفي أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها في ديوان المعاني وحاسة ابن الشجرى . والرواية في ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهى مؤنثة .

(٢) كذا في ط ، ه . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاي المعجمة : كثير ماؤه وعظمت أمواجه . ه : « ذخر » محرف .

(٤) في التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليل الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، ه .

(٦) ط : « الطم » صوابه في س ، ه .

(٧) النهس ، بالكسر : حيوان أكرد اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفًا في مصر ، يراه الفلاحون في بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار في حوانيتهم . والعامية يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النهس ، وفلان عس ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثاني أنه ألمى حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حانظ النخل والشجر ، قيل إنه دخیل . وقال الأصمعي : هو الناطور =

وتتصاعل^(١) وتستدقّ ، حتى كأنها قديدة^(٢) أو قطعة حبل ، فإذا عضها
 الثعبان وانطوى عليها زفرت^(٣) ، وأخذت بنفسها وزحرت^(٤) جوفها فانتفخ .
 فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قطعاً من شدة الزحرة^(٥) .
 وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

والثعابين إحدى القواتل . ويزعمون أنها ثلاثة أجناس لا ينجح فيها
 رقية ولا حيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهندية^(٥) . ويقال : إن ما سواها
 فإنما يقتل مع ما يمدّها من الفزع ؛ فقد يفعل الفزع وحده ؛ فكيف إذا
 قارن سُمّها^(٦) ؟ ! [وسُمّها]^(٧) إن لم يقتل أمرض .

= والنبت يعملون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل .
 قلت : ذلك معناها التفصيلي الاشتقائي ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبتية ، فهو يريد
 أن النبت ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة .
 انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتصاعل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة
 في ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهي واحدة القد ، كما في القاموس . والقد : سيور
 تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والحامل ، كما في اللسان .
 ط ، هـ : « فريدة » صوابه في س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان
 من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما في القاموس . س : « زحرت » ، وكتبت النقطة العليا
 بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيهه : « زجرت » بالجم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) في العبارة نفس وتشويه . وانظر ما نقل الديرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع في المسموم)

ويزعمون أن رجلاً قال (١) تحت شجرة ، فتدلّت عليه حيةٌ منها
فعضّت رأسه ، فانتبه محمراً الوجه ، فحك رأسه ، وتدلّفت (٢) ، فلم يرَ شيئاً ،
فوضع رأسه ينام ، وأقام مدةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له (٣) بعضُ من
كان رأى تدليهاً عليه ثمّ نقلصها عنه وهروبها منه (٤) : هل علمتَ من أيّ
شيءٍ كان انتباهك تحت الشجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ،
فإنّ الحيةَ القلانيّةَ نزلت عليك حتى عضّت رأسك ، فلما جلست [فزعا]
تقلّصت عنك وتراجعت . ففزع فزعةً وصرّخ صرخةً كانت فيها نفسه .
وكأنهم توهّموا أنه لما فزع واضطرب ، وقد كان ذلك السّمُّ مغموراً
ممنوعاً فزال مانعُهُ ، وأوغله ذلك الفزع ، حين (٥) تفتّحت منافسه ، إلى
موضع الصّميم والدّماغ وعمقِ البدن ، فأحلّ موضعُ العقْد الذي انعقدت
عليه أجزاءه وأخلّطه .

وأنشد الأصمعيّ :

نَكِبْتُهُ نَهَشَهُ بِمَنْبِذٍ (٦)

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام في القائلة ، وهي نصف النهار .

(٢) ط ، ه : « ويلتفت » ، وأثبت ما في س والدميري .

(٣) بدل هذه العبارة في س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفي ط ، ه : « من كافٍ رأى حاله » الخ .

(٥) في الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، ه : « ونكشة » .

وَأَنْشَدَ لِأَبِي دُوَادِ الْإِيَادِيَّ :

فَاتَانِي تَفْحِيمُ كَعْبٍ لِي الْمَذِي طَقَ إِنْ النَّسْكِثَةَ الْإِفْحَامَ (١)

(أثر الفزع في فعل السم)

قال : فالفزع إما أن يكون يُوصِلُ السمَّ إلى المقاتِلِ ، وإمَّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرجلين على نزع وتِد . فهم (٢) لا يجزمون على أن الحيَّة من القوائل البتَّة (٣) ، إلا أن تقتلَ إذا عضَّت النَّائمَ والمغشىَّ عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذي لا يعقلُ ، وحتى تجرَّبَ عليه الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبي عبد الله أحمد بن أبي دُوَادِ ، وكان عنده سلمويه (٤) وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع الترياق من نهشة

(١) التفحيم : أن يجعله يقحم أى يدخل في الأمر فجأة بلا روية . في الأصل : « تفحيم » صوابه في الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبادوداد شئاً عنه . الشعراء ١٨٩ . وفي الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيسة : المطة الصعبة ، ط ، هـ : « النكيسة » صوابه في س والشعراء . والإفحام بمعنى التفحيم ، ط ، هـ : « الإفحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتاً من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه في س ، هـ .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت . س : « لا يجزمون أن الحيَّة تلغ ، ومزوى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) في الأصل : « وكان أخذ داود عنده سلمويه » ، والليكلة الغانية والغالفة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأفعى فأُدْرِكَتْ قبل أن تنقلب (١) نفع الترياق ، وإن لم تُدْرَكْ لم ينفع ؛ لأنهم إن قَلَّوا من الترياقِ قتلَهُ السُّمُّ ، ٤٣ وإن كثروا مِنْهُ قتلَهُ الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإنَّ ابنَ العَجُوزِ (٢) خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا (٣) ليست تنقلب لِجِجِّ السَّمِّ وإفراغِهِ ، ولكنَّ الأفعى في نابها عَصَلٌ (٤) ، وإذا عَضَّتِ استفرغت إدخال النَّابِ كَلَّهُ ، وهو أَحَجَنُ عَصَلٌ (٥) ، فيه مشابهة من الشَّصِّ (٦) ، فإذا انقلبتُ كان أسهلَ لزرعه وسلِّه . فأما لصبِّ السَّمِّ وإفراغه فلا . قال : والله لعَلَّهُ ما قلت ! [قلتُ] : ما أسرَعَ ما شككتَ ! !

ثمَّ قلتُ له : فكأنَّما (٧) وضعوا الترياق واجتلبوا الأفاعى وضنوا (٨) وعزموا على أنه لا ينفع إلا بدرك الأفعى قبل أن تنقلب ! وكيف صار الترياق بعد الانقلاب لا يكون إلا في إحدى منزلتين : إما أن يقتل بكثرتة ، وإمَّا ألا ينفع بقلته ! فكأنَّ الترياق ليس نفعه إلا [في (٩)] المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلة ولا ناقصة ! ولكني أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جيِّداً قوياً ، وعُوجِل فسُقِيَ المقدارَ الأوسط ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الصَّمِيمَ ، ويغوصَ في العمق (١٠) . وعلى هذا وُضِعَ ، وهم كانوا أحمز

(١) س : « تقلب » .

(٢) في ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وهو أحد الحوَّاثين .

(٣) س : « بأن الأفعى » .

(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحرريك : الاعوجاج . س ، هـ : « عضل » مصحف .

(٥) س : « أعضل » ، بالصاد المهملة كما في هـ ، ط .

(٦) هذه العبارة ليست في هـ ، وفي ط ، س : « النقص » . وجهه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فإنما » .

(٨) كذا .

(٩) ليست بالأصل .

(١٠) أى عمق البدن ، كما مر في ١٢٢ س ١١ . وفي الأصل : « العميق » .

وأخذق من أن يتكلفوا شيئاً ، ومقداره من النفع لا يُوصَل إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إنَّ سقى الترياقِ بعدَ النهشِ بساعةٍ أو ساعتين مَوْتُ المنهوشِ .

ثم قلتُ له : وما علمك ؟ وبأى سببٍ أيقنتَ^(١) أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلا مخالطة جوهراً ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أولسنا قد نجدُ من الإنسان مَنْ يَعَضُّ صاحِبَهُ فيقتلهُ ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟ ! وقد تقرُّون أنَّ الهنديةَ والشعبانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطة^(٢) الرِّيقِ والدم ، وإمَّا بمخالطة اللسنِّ والدم ، من غير أن تدَّعوا أنَّ أسنانهما مجوِّفة^(٣) . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التجاربِ أنَّ الحيةَ تُضربُ بِقُصْبَةٍ^(٤) فتكون أشدَّ عليها من العصا وقد يضرُّ الرجلُ على جسده بقضبان اللوزِ وقضبان الرُّمان ، وقضبان اللوزِ أعلك^(٥) وألدن ، ولكنها أسلمُ^(٦) ، وقضبان الرُّمانِ أخفُّ وأسخفُّ ولكنها أعطب .

وقد يبطأ الإنسان على عَظْمٍ حيةٍ أو إبرةَ عَقْرَبٍ ، وهما مَيْتَتان ، فيلتي الجهد . وقد يُخرَجُ السُّكَّينُ من الكِبرِ وهو مُحْمِيٌّ ، فيخْمَسُ في اللبنِ

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بمصية » : تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك — كسكتف : متين المضغفة .

وألدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما في هـ .

فتى خالط الدم قام مقام السم ، من غير أن يكون مَجَّ في الدم رطوبة غليظة أو رقيقة .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها - وهو رِخْوٌ - الأورام حتى يفرقها ويُحصِّبها (١) من غير أن يكون نفذَ إليها شيءٌ منه ، وليس إلا الملاقاة .

قلت : (٢) ولعلَّ قوَى قد انفصلت من أنياب الأفاعى إلى دماء الناس .

وقد رَوَوْا أنه قيل لجالينوس : إنَّ هاهنا رجلاً يرقى العقاربَ فتموتُ ، أو

٤٤ تنحلُّ فلا تعمل ، فراه يرقىها ويتفل عليها ، فدعا به بمحضرة جماعةٍ وهو على

الرَّبِيقِ ، ودعا بغدائه فتعدى معه ، ثمَّ دَعَى له بالعقاربِ فتفل عليها ، فلم

يَجِدْ لعبه يصنعُ شيئاً إلا أن يكون ريقاً . وهو حَدِيثٌ يدورُ بين أهل

الطبِّ ، وأنت طيب . فلم أَرَهُ في يومه ذلك قال شيئاً إلاَّ من طريق

الخرز والحُدس ، والبلاغات .

(السَّموم)

وسمومُ الحياتِ ذواتِ الأنياب ، والعقاربِ ذواتِ الإبر ، إنما تَعْمَلُ

في الدَّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومُ ذواتِ الشعرِ والقُرُونِ والجُمِّ ،

إنما تَعْمَلُ في العصبِ ، ومنها ما يعملُ في الدمِ .

(١) ط : « حتى يفرقها » س : « حتى يفرقها » صوابه في هـ . ويحصبها :

يحملها تنحصر أى تنقبض وتتضائل وتسكن . هـ : « يحصبها » بالخاء المعجمة ، وهى صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) في الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير

المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من يحض

الأشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(شرب المسموم للابن)

وحدثني بعض أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماي^(١) وإمَّا بباري^(٢) وهما بلاد حياتٍ وأفاعٍ^(٣) ، ونحن في عرسٍ ، إذ أدخلوا الحيدرَ العروسَ^(٤) فأبطنوا عليه شيئاً ، فأغنى وتلوتُ على ذراعه أفعى^(٥) ، فذهبَ ينفذها وحجمتُ على ذراعه - وقد يقال ذلك إذا كانت العضة في صورةٍ شرطِ الحجام - فصرخَ وجاءوا يتعادون^(٦) فوجدوها فقتلوا ، وسقوه في تلك الليلةِ لبنَ أربعينَ عنزاً ، كُلِّمًا استقرَّ في جِفه فَعَبَّ من ذلك اللبنِ قاءً فيخرجُ منه كأمثالِ طلعِ^(٧) الفُحالِ الأبيض^(٨) ، فيه طرائقُ من دَسَمٍ تملؤه خضرةٌ ، حتى استوفى ذلك اللبنُ كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم أنفسَهُ معه ! قال : فغبراً أياماً بأسوأِ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجبُ من سرعةِ استحالةِ اللبنِ وجُوده .

(١) « برماي » .

(٢) « بباري » .

(٣) في الأصل : « أفاعي » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام

في الكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفُحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(ا) كنفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحياتُ البريئةُ إذا هرمتْ نَسِمَتِ النَّسِيمَ فَكَتَفَتْ بِهِ (١) ،
وكذلك الضبابُ إذا هرمت .

قال : ولا يكون ذلك للسائبة من حيات الغياض (٢) وشطوط
الأنهار ، ومنافع (٣) المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيات المائية ، إما أن تكون بريئة أو جبليَّة ، فاكنتسحتها
السُّيولُ واحتملتها في كثيرٍ من أصناف الحشرات والدوابِّ والسباع ،
فتوالدت تلك الحيات وتلاقحت هناك . وإما أن تكون كانت أمهاتها
وآبائوها في حيات الماء . وكيف دارت الأمور فإن الحيات في أصل الطبع
مائية . وهي تعيش في النَّدى ، وفي الماء ، وفي البرِّ وفي البحر ، وفي الصَّخر
والرَّمْل . ومن طباعها أن ترقِّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ،
والآخر للبعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم في المياه والغياض :

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهي مجتمع الصخر في مغيض ماء . هـ : « الغيات »
محرف .

(٣) منافع ، بالقاف : جمع منفع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط :
« منافع » ، صوابه في س ، هـ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شَيْءٍ فِي الْمَاءِ تَمَّا يَعِيشُ السَّمَكُ ، مِمَّا أَشْبَهَ الْحَيَّاتِ
كَالْمَارْمَاهِي^(١) وَالْأَنْكَلِيس^(٢) فَإِنَّهَا^(٣) كُلُّهَا عَلَى ضَرْبَيْنِ : فَأَحَدُهُمَا مِنْ
أَوْلَادِ الْحَيَّاتِ ، انْقَلَبَتْ بِمَا عَرَضَ لَهَا مِنْ طَبَاعِ الْبُلْدِ وَالْمَاءِ . وَالْآخَرُ مِنْ نَسْلِ
سَمَكٍ وَحَيَّاتٍ تَلَقَّحَتْ^(٤) ؛ إِذْ^(٥) كَانَ [طِبَاعُ^(٦)] السَّمَكِ قَرِيباً مِنْ ٤٥
طَبَاعِ تِلْكَ الْحَيَّاتِ . وَالْحَيَّاتُ فِي الْأَصْلِ مَائِيَّةٌ ، وَكُلُّهَا كَانَتْ حَيَّاتٍ .

(١) المارماهي : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسي وضبطت راؤه بالسكسر في معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ماهي » صوابه في س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقه وجدت الديميري يقول إنها نوع واحد . انظر رسمي (الأنكليس ، والجرى) فيه . وقال داود في التذكرة : « مارماهي هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يوناني معرب كما في معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الديميري ، بفتح الهمزة واللام وبسكسرها ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) في الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما في س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قراية بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهل البصرة أن مُشَان^(١) الكوفة قريب^(٢) من بُرْنَى^(٣)

البصرة ، قلبته البلدة .

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل^(٤) هو نخل المقل^(٥) ، واسكنه

انقلب لطباع البلدة . وأشباه ذلك كثير .

ويزعمون أن الفيلة مائة الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها .

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيّب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناها أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الحراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) في الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالنضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء في المخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلقط أبدا حتى لا يبقى عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « مسان » وفي س : « قربنا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندي ، تعريب « نارگیل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم

في القاموس واللسان . ط : « النارجيلي » ، صوابه في س ، ه .

(٥) المقل ، بالنضم : حل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم ^(١) مما لا يجتزى بالنسيم ^(٢) ، فإنه من الحيوان الذي يفتح فاه للنسيم ؛ ليبرد جوفه من اللهيب ^(٣) الذي يعترى السباع ؛ ولأن ذلك يمدّ قوّته ، ويقطع عنه برودته ^(٤) ولطافته الرقيق . فإن كان ذا سحر ^(٥) [إذا عدا ^(٦)] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربما جاع الأسد ففعل فعل الذئب ، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر ؛ لأن الأسد شديد التهم ، رغب حريص شره ؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً . والذئب وإن كان أقفر ^(٧) منزلاً ، وأقلّ خصباً ، وأكثر كدّاً ^(٨) وإخفاقاً ، فلا بدّ له من شيء يُلقيه في جوفه ، فإذا لم يجد شيئاً استعار النسيم .

(١) ط ، س : « عنده » صوابه في ه .

(٢) في الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهث » .

(٤) س : « يبرده » .

(٥) السحر ، بالضم : الجوع والحر . وفي الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(٧) كذا على الصواب في ط ، ه ومباهج الفكر والدميري وثمار القلوب ٣١٠ وفي س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا في الأصل ومباهج الفكر والدميري . والكد : الشدة في العمل ، والإلحاح في محاولة الشيء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجامعين)

والنَّاسُ إِذَا جَاعُوا وَاشْتَدَّ جَوْعُهُمْ شَدُّوا عَلَى بَطُونِهِمُ الْعِثْمَ . فَإِنْ اسْتَقَلُّوا ، وَإِلَّا شَدُّوا الْحَجَرَ (١) .

(شعر في الذئب)

وَأَنْشَدَ (٢) :

كَسِيدِ الْغَضَى الْعَادِي أَضَلَّ جِرَاءَهُ (٣)

عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلِ الرِّيحِ يَلْحَبُ (٤)

كَأَنَّهُ يَجْمَعُ اسْتِدْنَحَالَ الرِّيحِ وَالنَّسِيمِ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَ جِرَائِهِ .

وَقَالَ الرَّاجِزُ (٥) :

يَسْتَنْخَبُ (٦) الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ (٧)

(١) روى ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . الخ - نال الجذب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه في س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما وارك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئب . العادي ، بالبدال : الذي يعدو . أضل جرائه : فقد أولاده ، والجراه ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذائك تصحيفان .

(٤) الثرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحَب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد بيني العكلي ، كما أسلفت في الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستبخر » صوابه في س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفي اللسان : (نخر ، قرع) « يستمخر » وقال : « استمخرها : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدية : حددها .

(شمّ الظلم)

والظلم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثر من غلوة ،
ويبعد عن رئاله^(١) فيشمُّ ريحها من مكان بعيد .

وأشدني يحيى بن نجيم^(٢) بن زمعة قال :

أشمُّ من هيقي وأهدى من جملي^(٣)

وأشدني عمرو بن كركرة^(٤) :

ما زال يشتمُّ اشتمامَ الهيق

قال وإنما جعله ذئب غضى لأنهم يقولون : ذئبُ الحمر^(٥) أخيب .

ويقولون : شيطان الحماطة^(٦) . يريدون الحية .

(بعض ضروب الحيات)

وكلُّ حيةٍ خفيفةِ الجسمِ فهي شيطان^(٧) . والشَّقالُ لا تنشط من

أرضٍ إلى أرض ، وتثقل عما تبلغه المستطيلات الخفاف . وقال طرفة :

تلاعبُ مثنى حَصْرَمِيٍّ كأنه تَعَمَّجُ شَيْطَانِ بَدَى خِرُوعِ قَفْرِ^(٨)

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) في الأصل : « الحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم في (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه في س ، ه .

(٥) الحمر ، بالتحريك : ما وارك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلي ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ في (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .

(٨) ط : « خصرمي » ، صوابه في س ، ه . تمعج : تلو . ط ، ه : « تمعج »

صوابه في س . وقد سبق البيت في (١ : ١٥٣) وسيماد في (٦ : ١٩٢) .

الكَرْمَانِي عَنْ أَنَسٍ - وَلَا أُدْرِي مَنْ أَنَسٌ هَذَا - فِي صِفَةِ نَاقَةٍ :

شَنَاحِيَّةٌ فِيهَا شَنَاحٌ كَأَنَّهَا

حَبَابٌ بِكَفِّ الشَّوْءِ مِنْ أَسْطَعِ حَشْرِ (١)

وَالْحَبَابُ : الْحَيَّةُ الذَّكَرُ .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وَكَمَا يَقُولُونَ : ذُئِبَ الْحَمْرُ ، يَقُولُونَ : أَرْنَبُ الْخَلَّةِ (٢) ، وَتَيْسُ الرَّبِيلِ (٣)

وَضَبُّ السَّحَا (٤) . وَالسَّحَا (٤) بَقْلَةٌ تَحْسُنُ حَالَهُ (٥) مَنْ أَكَلَهَا . ٤٦

وَكذَلِكَ يَقُولُونَ : « مَا هُوَ إِلَّا قُنْفُذٌ بُرْقَةٌ (٦) » لِأَنَّهُ يَكُونُ أَخْبَثَ لَهُ :

وَذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى قَدْرِ طَبَائِعِ الْبُلْدَانِ وَالْأَغْذِيَّةِ الْعَامِلَةِ فِي طَبَائِعِ الْحَيَوَانَ .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه في س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الخلة » بالخاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتييس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والرئيل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفتطرت بورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في (٦ : ١٢٣) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كتييس الرئيل ينفض رأسه أذاة به من صوائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض تبت^(١) لم يزل صاحكا مسروراً ، من غير عجب^(٢) حتى يخرج منها .
ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقد قوته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حولاً فتفقد عقله^(٣) ذو فِرَاسَة وجد النقصان فيه بيننا . كما يقال في حُمى خيبر^(٤) ، وطحال البحرين^(٥) ، ودماء ميل الجزيرة^(٦) ، [وجرب الزنج^(٧)] . وقال الشماخ^(٨) .

- (١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصيني .
- (٢) العجب : ما يتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام في معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت في نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر في وجوههم » !
- (٣) ط ، هـ : « قوته » ، صوابه في س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سفة نقص عقله » .
- (٤) خيبر ، هي الولاية التي كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيبر » أيضاً ، كما ورد في شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما في معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد في الأمثال : « به الورى . وحي خيبرى » . أمثال الميداني (١ : ٩٥) وفي العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاماً صحياً كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صحتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .
- (٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :
ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما في بطنه وهو جائع
- (٦) هذه الجزيرة هي المسماة « جزيرة أقور » ، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام وتشتمل على ديار بكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والركة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .
- (٧) هذه الزيادة من هـ . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث في ذلك حديثاً طويلاً . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتي في ١٣٩ في الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جرباً ما أقام بها » .
- (٨) س : « شماخ » .

كَأَنَّ نَطَاةَ خَيْبَرَ زَوَّدَتْهُ بَكُورَ الْوَرْدِ رِيَّةَ الْقَلُوعِ (١)

وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ بِهِ إِذْ جِئْتَهُ (٢) خَيْبَرِيَّةٌ يَعُودُ عَلَيْهِ وَرُدُّهَا وَقَلَّهَا (٣)

وقال آخر :

كَأَنَّ حَمَّى خَيْبَرَ تَمْلُهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جحفة (٥) ، وفي مهبة (٦) ، وفي أصول النخل

حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السلولي في دماميل الجزيرة :

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : هين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطاة »
صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشاخر ٥٧ . زودته : أعطته
زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريئة القلوع : بطيئة
الانكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريئه » ، صوابه في المعجم
والديوان . وقيل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم قتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابها
ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ . وعنى بالخيرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قللاها » :
كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملاها » . والملا ، بالضم :
حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه في الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم
أصحابه فقال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، أو أشد ، وصحبها ،
وبارك لنا في صاعها ومدنها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهبة : موضع قريب من الجحفة .

أُتِيحَ لَهُ مِنْ شُرْطَةِ الْحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظٌ الْقَصِيرَى لِحْمِهِ مُتَكَاوسٌ^(١)
 تَرَاهُ إِذَا يَمْضِي يَحْكُ كَأَنَّمَا بِهِ مِنْ دَمَائِيلِ الْجَزِيرَةِ نَاحِسٌ^(٢)
 فَحَدَّثَنِي أَبُو زَفَرٍ الضَّرَّارِيُّ^(٣) قَالَ : مَاتَ ضِرَارُ بْنُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ
 سَنَةً بِالْأَمَائِلِ . قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ ! قَالَ : كَلَّا إِنَّمَا احْتَمَلَهَا
 مِنَ الْجَزِيرَةِ .

وكذلك القولُ في طواعين الشام . قال أحدُ بني المغيرة^(٤) ، فيمن مات
 منهم بِطَوَاعِينِ الشَّامِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِطَعْنِ الرَّمَّاحِ أَيَّامَ تِلْكَ الْمَغَازِي ذُو
 مَنْ يَنْزِلِ الشَّامَ وَيَعْرَسُ بِهِ^(٥) فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبٌ
 أَفْنَى بَنِي رَيْطَةَ فَرَسَانِهِمْ عِشْرِينَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبٌ^(٦)
 وَمَنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ لِمْثَلِ هَذَا عَجِبَ الْعَاجِبُ^(٧)
 طَعْنٌ وَطَاعُونَ مِنْ أَيْهَاهُمْ ذَلِكَ مَا خَطُّ لَنَا الْكَاتِبُ

(١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل :
 « سوطه » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى . والقصيرى
 بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القصيرى » س :
 « القصير » صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » .
 متكأوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متفأوس » س . « متفأوس »
 تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية
 المعجم : « أهد إذا يمشى يحيك » . الأهد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط :
 « كما نما » صوابه في س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضاررى » صوابه في س ، هـ . وبدله في ثمار القلوب ٤٣٨ : « أبو زرع » فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بني ريطه . لم يقصص لهم شارب : أى إنهم في
 مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفي س :

« عجب عجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقوطم يوم أيوم ، وليل أليل ،
 وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حرز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولما قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ بنَ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، عَلَى
عَمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَوَائِجِ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى مَكَانَهُ بِالشَّامِ ،
وَعَرَفَ سِنَّتَهُ وَسِمَّتَهُ وَعَقْلَهُ ، وَلِسَانَهُ ، وَصَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنْ أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ - مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكَ طَوَاعِينَ الشَّامِ ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تُغْنِمَ أَهْلَكَ أَكْثَرَ مِنْكَ (١) ، فَالْحَقَّ
بِهِمْ ؛ فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَسْبِقُكَ إِلَيْهِمْ (٢) . ثُمَّ قَدِمَ عَلَى هِشَامٍ ، فَكَرِهَ عَبْدُ اللَّهِ
أَنْ يَدْخُلَ مَنْزِلًا لَهُ (٣) حَتَّى يَأْتِيَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ ؛ مَخَافَةَ سُوءِ ظَنِّهِ (٤) . فَلَمَّا
أَعْلَمَهُ الْحَاجِبُ مَكَانَهُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَايَنَهُ ، كَرِهَ أَنْ يَقِيمَ بِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ .
قَالَ : إِذْ كَرَّ حَوَائِجِكَ . قَالَ : أَحْطُ رَحْلِي وَأَضَعُ ثِيَابَ سَفَرِي ، وَأَتَذَكَّرُ
حَوَائِجِي . قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَنِي فِي حَالٍ خَيْرًا لَكَ مِنْ السَّاعَةِ ! يَرِيدُ أَنْ
الْقُلُوبُ أَرْقُ مَا تَكُونُ إِذَا تَلَقَّتِ الْعَيُونَ عَنْ بَعْدِ عَهْدٍ . وَليْسَ ذَلِكَ أَرَادَ (٥) .

(١) فِي تِمَارِ القُلُوبِ : « وَإِنَّكَ لَمْ يَغْنَمْ أَهْلَكَ خَيْرًا مِنْكَ » . وَسَبِقَ مِثْلَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ
فِي (٣ : ٤٧٢) .

(٢) تِمَارِ القُلُوبِ : « فَإِنَّ حَوَائِجَكَ سَتَتَّبِعُكَ » ، وَفِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٧٢) :
« فَإِنَّ حَوَائِجَهُمْ سَتَسْبِقُكَ » .

(٣) ط ، هـ : « مَنْزِلُهُ » .

(٤) أَيْ لِثَلَا يَظُنُّ بِهِ العِدَاءَ . وَفِي ط ، هـ : « شَرِطَتُهُ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ سِوَا وَجْهِ .

(٥) انظُرْ لِتَوْضِيحِ هَذَا مَا سَبَقَ فِي (٣ : ٤٧٢) س ١٣ ، ١٤ .

(طحال البحرين)

وانعاماً تنشد :

سَنَ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طِحَالُهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ^(١)
ونظر دُكَيْنُ الرَّاجِزُ ، إلى أبي العباس^(٢) مُحَمَّدِ بْنِ ذُوَيْبِ الْفُقَيْمِيِّ الرَّاجِزِ ،
وهو غُلَيْمٌ مَصْفَرٌّ مَطْحُولٌ^(٣) ، وهو يَمْتَحُ عَلَى بَكْرَةٍ^(٤) ويرتجز . فقال : من
هذا الْعُمَيْيُّ^(٥) ؟ فلزمته هذه النَّسْبَةُ .

(جرب الزنج)

وحدّثني يوسفُ الزَّنجِيُّ أَنَّهُ لَا بَدَأَ لِسُكْلٍ مَن قَدِمَ مِنْ شِقِّ الْعِرَاقِ إِلَى بِلَادِ
الزَّنجِ إِلَّا يَزَالُ جَرِباً ، مَا أَقَامَ بِهَا . وَإِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُرْبِ نَيْدِهَا ، أَوْ شَرَابِ
النَّارِجِيلِ ، طَمَسَ الْخُمَارُ عَلَى عَقْلِهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْتُوهِ إِلَّا
الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(١) انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٥) في قولهم : « الذئب مغبوط بما في بطنه » . الشعر
والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه في س ، وقد تقدمت ترجمته في (٢ :
١٦٦) : وفي الأغاني (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيتان له .
ومثل ذلك في العرب كثير . وفي المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذي يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العماني نسبة إلى عمان ، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهي بلاد عربية في
جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم في (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ .
وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولي
بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً » . وما يجدر ذكره أن
أصل نسبة أبي العباس إلى البصرة ، أي هو بصرى ، كما في الأغاني . وقد عقد
ابن قتيبة فصلاً لمثل هذه النسب في المعارف ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبّرني كم شئت من الغزاة ، أن من أطال الصوم بالمصيصة (١) في
أيام الصيف ، هاج به المرار . وأن كثيراً منهم قد جُنوا عن (٢)
ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبه الأهواز)

فأما قصبه (٣) الأهواز ، فإنها قلبت كل من نزلها من بني هاشم إلى
كثير من طباعهم وشمائلهم (٤) ، ولا بد للهاشمي ، قبيح الوجه كان أو حسناً ،
أو (٥) دميماً كان أو بارعاً رائعاً ، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يبين بها
من جميع قريش وجميع العرب . فلقد كادت البلدة أن تنقل ذلك فتبدله (٦) ،
ولقد تخيفته (٧) وأدخلت الضيم عليه ، ويئنت أثرها فيه ؛ فما ظنك بصنيعها
في سائر الأجناس (٨) ؟ !

ولفساد عقولهم ، ولؤم طبع بلادهم ، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة ،

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول
أصح ، وهي بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، ه : « من » .

(٣) ط ، ه : « قضية » ، صوابه في س . وقصبه الأهواز ، أي أكبر مدنها .
قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أي طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفي معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما في ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه في س ، ه .

(٨) في ثمار القلوب ٤٣٥ نقلاً عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين
أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يحبُّون من البنينَ والبناتِ ما يحبُّه أوساطُ أهلِ الأمصارِ على الثَّروةِ واليَسارِ ، وإن طال ذلك . والمالُ منبَهَةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُلُ ، من غيرهم ، المَويلَ^(١) اليسيرَ ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّينَ^(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذي كان يرضاه قبل ذلك^(٣) . وليس في الأرضِ صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم في شئٍ منه نصيبٌ وإن خَسَّ^(٤) . ولم أَرِ بها وَجَنَةً حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيبةً ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهي قتالةٌ للغرباءِ .

وعلى أنَّ حَمَّاهَا خاصَّهَ ليست للغريبِ بأسرَعٍ منها إلى القريبِ . ٤٨
ووباؤها^(٥) وحَمَّاهَا ، في وقت انكشافِ الوَباءِ وُزوعِ الحمى عن جميعِ البلدانِ .
وكلُّ محمومٍ في الأرضِ فإنَّ حَمَّاه لا تنزعُ عنه ، ولا تفارقه ، وفي بدنه منها بقيَّةٌ ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أخذَ منها عند نفسه البراءةَ ، إلى أن يعودَ إلى الخلطِ ، وأنَّ يجمعَ في جوفه النمسادَ^(٦) . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحو نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال في رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبير ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا في س . وفي ط ، ه : « ولا يرضى لولده الممثل الذي كان يرضاه قبل ذلك » ، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين .

(٤) خس : قل . وفي الأصل وكذا في معجم البلدان : « حسن » . وبعدها في المعجم « أودق أو جل » ، ويقاوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، ه : « ووباها » ،

(٦) بدله في معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع في بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاود من نزعت عنه من غير حدث ، كما تعاود أصحاب الحدّث ؛
لأنهم ليسوا يُؤْتَوْنَ من قبل النَّهْمِ^(١) ، ومن قِبَلِ الخَلْطِ والإكْثَارِ ،
وإنَّمَا يُؤْتَوْنَ من عينِ البلدة .

وكذلك جمعت سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ في جبلها الطّاعِنِ في منازلها ،
المطلِّ عليها ؛ والجَرَاراتِ^(٢) في بيوتها ومقابرها ومنابرها . ولو كان في
العالم شيءٌ هو شرٌّ من الأفعي والجَرَارة ، لما قصّرت قصبة الأهواز عن
توليدِه وتلقيحِه . وبلّيتها^(٣) أنّها من ورائها سِبَاخٌ^(٤) ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ
وفيها أنهارٌ تشقُّها مَسَائِلٌ كُنْفِهِمْ^(٥) ، ومياهٌ أمطارهم ومُتَوَضَّأَتِهِمْ^(٦)
فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَطَالَ مُقَامُهَا ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « النَّخْمِ » جمع نخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرارَات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليينه » وفي هـ : « تليينها » .
وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بلّيتها » .

(٤) سِبَاخٌ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهي الأرض تملؤها ملوحة ولا تكاد
تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباحة » محرفتان عما
أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها
مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها
وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فمزها خطأ ، لأن ياء
مفردة مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب »
وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف :
« مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله :
« وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقي : « وشذ خارجة
فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جملة بعضهم لنا » . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . في ثمار القلوب
« ميضآتهم » .

بالصَّخْرِيَّة التي فِيه (١) تلكَ الجِرَّارات . فإذا امتلأت يُبَسِّأ وحرارةً ،
وعادتُ جمرَةً واحدةً ، قذفت ما قَبِلت من ذلك عليهم .

وقد تُحدِّث [تلك] السَّبَّاخ (٢) وتلك الأنهار (٣) بُجَّاراً فاسداً ، فإذا
التقى عليهم ما تُحدِّث السَّبَّاخ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فسَدَّ الهواء . وبفساد
الهواء يفسد (٤) كلُّ شئٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثني إبراهيمُ بن عباسٍ بن محمدٍ بن منصورٍ ، عن مَشِيخَةٍ (٥) من
أهل الأهواز ، عن القوابل ، أنهم رَّبَّما قَبِلنَ (٦) الطُّفْلَ المولودَ ، فيجدنهُ
في تلك السَّاعةِ محموماً . يعرفنَ ذلك ويتحدَّثنَ به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال (٧)] : ويعرض لفراخ الحيات مثلُ الذي يعرض لفراخ
الخطاطيف ؛ فإنَّ نازعاً لو نزعَ عيونَ فراخ الخطاطيفِ ، وفراخ الحياتِ ،
لعدتُ بصيرةً (٨) .

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه في س . ط : « فيها » صوابه في س ، هـ .

(٢) مضي تفسير هذه الكلمة في الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط :
« شيخة » وهي صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنية وسدرة .

(٦) قبيلت القابلية الولد : تلقتة عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذلك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم^(١) أنَّ السُّلْحَفَاءَ والرَّقَّ ، والضَّفَدَع ، ممَّا لا بدَّ له من التنفُّس ، ولا بدَّ لها من مفارقة الماء ، وأنها تبيضُ وتكتسب الطعم وهي خارجة^(٢) من الماء ؛ وذلك لِلنَّسَبِ الَّذِي يَبْنِيهَا وَبَيْنَ الضَّبِّ^(٣) ، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بَحْرِيًّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحري)

ويزعمون أنَّ ما^(٤) كان في البرِّ من الضبِّ والورل والحرباء ، والحلكاء^(٥) ، وشحمة الأرض ، والوزغ والعطاء^(٦) مثل الذي في البحر من السُّلْحَفَاءَ والرَّقَّ ، والتَّمْسَاح ، والضَّفَدَع ؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرِّيَّةَ وإن اختلفت في أمورها ، فإنها قد تتشابه في أمور ؛ وأنَّ هذه الأجناسَ البحرية من تلك ، كسكلب الماء من كلب الأرض .

(١) نسي الجاحظ أن يذكر صاحب الزهم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما في س ، ه .

(٣) س : « وذلك النسب » الخ . ط ، ه : « التي » صوابها في س .

(٤) ط : « أمَّا » صوابه في س ، ه .

(٥) الخلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العطاء . ط فقط : « الخلكى » ، وهي صحيحة في ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من للناسخ .

(٦) العطاء ، بالفتح : جمع عطاءة ، وهي دويبة كسام أبرص . س : « والقطة » ه : « والقطا » صوابه في ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الحيةَ وسامَّ أبرص^(١) من العطاء ،
والتَّمساح ، تسكنُ في أعشمتها^(٢) الأربعةَ الأشهرَ الشديدةَ البرد^(٣) ، لا تطعم
شيئاً ؛ وأنَّ سائرَ الحياتِ تسكنُ بطنَ الأرضِ . فأما الأفاعى فإنَّها تسكنُ
في صُدوعِ الصَّخرِ .

وليس لشيءٍ من الحيوانِ من الصَّبرِ عن الطَّعمِ ما لهذه الأجناسِ . وإنَّ
الفيلَ ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طولِ العمرِ ، فإنَّ منها ما قد عاش
أربعمائةَ سنةٍ . والوجه الآخرُ : أنَّ الفيلةَ مائةٌ [وهذه الأجناسِ مائةٌ^(٤)]
وإن كان بعضها لا يسكن الماء .

(داهية الغبر)

قال : وسمعتُ يونسَ بنَ حبيبٍ^(٥) يقول : « داهية الغبر^(٦) » . قال : وقيل

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما في س ، ه . ط ، ه :
« من سام أبرص » صوابه في س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشي ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد »
وأثبت ما في ه لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) في الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته في
(١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة في أولها : الماء يغير حيناً في المستنقع ، كما يفهم من
التعليل الآتي . وفي أمثال الميداني (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ناه
بعينه تألفه الحيات » . وفي معجم البلدان : « الغبر آخر بحال سلمى بجانب جبل طيس » ،
وبه نخل ، ومياه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه في س ، ه .

ذلك لأنها ربّما سكنت بقُرب ماءٍ ، إمّا غدِيرٍ وإمّا عينٍ ، فتَحْمِي (١)
 ذلك الموضعَ . وربّما غبر ذلك الماءُ في المنقَع حيناً وقد حمتَه .
 وقال الكذّابُ الحرّمازِيُّ (٢) :

يا ابنَ المعلّى نزلتُ إحدى الكَبَرِ (٣) دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وصَمَاءُ الغَبَرِ (٤)
 قال : وسأل (٥) الحَكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بنى عبد الله
 ابنِ غطفانٍ ، قال : [أفعى (٦)] إن أيقظتها لسعتك ، وإن تركتها
 لم تضرّك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر (٧) قال : نُهَش رجلٌ من أهل البادية كثيرُ
 المال ، فأشقى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أرقيه ، فما تُعطوني (٨) ؟

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط : : « فتحس » وفي هـ : « فتنحى »
 محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً في ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية في اللسان (غبر) وكذا
 في أمثال الميداني : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يامنذر . وفي اللسان أنه
 يمدح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه في س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » في ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطوني » صوابه ، في س ، هـ . وقد حذف إحدى نوني :

« تعطوني » وهو جائز . وفي المغنى : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك والإدغام
 والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه على ثلاثين درهما^(١) ، فرقاها وسقاها أشياء ببعض الأخلاط ، فلمَّا أفاقَ قال : الرَّاقِي والمداوي : حتى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أعطيه من مالي ثلاثين درهما في نَفَثَاتِ نَفْسِهَا ، وَحَمَضِ سَقَاهُ^(٢) ! لا تُعْطُوهُ شَيْئًا !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحدَّثني بعضُ أصحابِنَا عن سُكَّرِ الشُّطْرَنْجِيِّ ، وكان أحقَّ القاصِّينَ^(٣) ، وأخذقهم بلعب الشُّطْرَنْجِ ، وسألته عن خرق كان في خرْمَةِ أنفه^(٤) فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أنه خرج إلى جَبَلٍ^(٥) يتكسَّبُ بالشُّطْرَنْجِ ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاَّ درهمٌ واحد ، وليس يدري أينجَحُ أم يُخْفِقُ ، ويَجِدُ صاحبه الذى اعتمده أم لا يجده^(٦) ؟ فورد على حَوَاءٍ وبين يديه جُورٌ عِظَامٌ^(٧) فيها حياتٌ جليلة .

والحيَّة إذا عضَّت لم تكن غايبتها النَّهشُ أو العَضُّ^(٨) ، وأن ترضى بالنَّهشِ ،

- (١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه بن س ، ه .
 (٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالخ أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه هوضة .
 ه : « وحرس سق » والكلمة الأولى في ه محرفة .
 (٣) جمع قاص للقصص . س ، ه : « العالمين » .
 (٤) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي الأصل : « الخزامة » ، وهى كسكناية : البرة تجعل في الأنف . ولا وجه لها .
 (٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطيء دجلة . وفي الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .
 (٦) ط : « ويجدو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجه » الخ صوابهما في ه .
 (٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جوتة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها في ١١٥ .
 (٨) ط : « والعض » .

ولسكنها لا تعضُّ إلا للأكل والابتلاع . وربما كانت الحيات عظاماً جدًّا ولا سمومَ لها ، ولا تعقر^(١) بالعضِّ ؛ كحيات الجولان^(٢) .

وفي البادية حية يقال لها الحفّاث^(٣) والحفّاث من الحيات تأكل الفأر وأشباهه الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكرٌ ، ونفخٌ وإظهارٌ للصّولة ؛ وليس وراء ذلك شيء^(٤) . والجاهل ربّما ماتَ من الفزعِ منها . وربما جمعت الحية السّمَّ وشدة الجرح ، والعضِّ والابتلاع ، وحطّم^(٥) العظم .

فوقف سُكّرٌ على الحوائِ وقد أخرج من جُونه أعظمَ حياتٍ في الأرض ، وادّعى نفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ الترياق ، فقال له سُكّر^(٦) : خذْ مِنِّي هذا الدرهمَ وارقي رُقيةً لانصرُّني معها حيةً أبداً ! قال : فأبى أفعل . قال : فأرسل قبل ذلك حيةً ، حتّى ترقيني بعد أن تعضني ؛ فإن أفقت علمت أن رُقيتك صحيحة . قال : فأبى أفعل ، فاخترَ أيتها شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممّا تعضُّ للأكلِ دونَ السّمِّ ، فقال : دع هذه ؛ فإن هذه إن قبضتْ على لحمك لم تفارقك حتّى تقطعك^(٧) ! قال : فأبى لا أريد غيرها . وظنَّ أنه إنّما زواها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذ أُبيت إلا هذه فاخترَ موضعاً من جسّدك حتّى أرسلها عليه . فاخترَ أنفه ، فناشده وخوفه ، فأبى إلا ذلك

(١) تعقر : تجرح . وفي ط : « تنفر » ، تحريف ما في س ، ه .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفّاث ، بجاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحنّاث » س ، ه : « الحفّاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه في س ، ه .

(٥) محرفة في الأصل ، فهي في ط ، ه : « خطم » وفي س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه في س ، ه .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أُو يردُّ عليه ذرهمهٗ . فأخذها الحوَّاء وطواها على يده ؛ كي لا يدعها تنكزُ^(١) فتقطع أنفه من أصله . ثمَّ أرساها عليه . فلما أنشبت أحدَ نَابِيَّهَا في شِقِّ أنفه صرَّخ عليه صرَّخةً جمعتُ عليه أهلَ تلكِ البَلَدَةِ ، ثمَّ غَشِي عليه ، فَأُخِذَ الحوَّاءُ فوُضِعَ في السِّجْنِ ، وقتلوا تلكَ الحَيَّاتِ ، وتركوه حتَّى أَفَاقَ كأنَّه أَجْنُ الخَلْقِ ، فَنَطَوَّعُوا بِجَمَلِهِ فحَمَلُوهُ مَعَ المِكَارِي^(٢) ، ورَدُّوه إلى البَصْرَةِ ، وبَقِيَ أَثَرُنَا بِهَا في أنفه إلى أن مات .

(ما يفتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياء من الحشرات لا تتخذ لنفسها ولا لبيضا ولا أولادها^(٣) بيوتاً ، بل تظلم كلُّ ذى جُحْرٍ جُحْرَهُ ، فتخرجهُ منه ، أو تأكله إن^(٤) ثبتَ لها .

والعربُ تقول للمُسيءِ : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ؛ لأنَّ الحَيَّةَ لا تَتَّخِذُ لِنَفْسِهَا بَيْتاً . وَكُلُّ بَيْتٍ قَصَدَتْ نَحْوَهُ هَرَبَ أَهْلِهِ مِنْهُ ، وَأَخْلَوَهُ لَهَا .

(عداوة الورل للحيات)

والورل يقوى^(٥) على الحياتِ ويأكلها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

(١) تنكز ، آخره زاي ، كما في س . وفي ط ، هـ : « تنكر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى »

صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « وليبضا وأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه في س ، هـ .

ذو جُحْرٍ منها فهي تَلْقَى مِثْلَ ذلك من الِوَرَلِ . والِوَرَلُ أَلْطَفُ جِرْمًا
من الضَّبِّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمَ مِنْ وَرَلٍ » كما يقولون : « أَظْلَمَ مِنْ
حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمَ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى
الذِّئْبَ ظَلَمَ ^(١) » .

(الورل والضبّ)

وبرائِ الِوَرَلِ أقوى من برائِ الضَّبِّ . والضَّبُّابُ تحفِرُ جِحْرَتَهَا
في الكُدَى ^(٢) . والِوَرَلُ لا يحفِرُ لنفسه بل يُخْرِجُ ^(٣) الضَّبَّ من بيته .
فتزعم الأعرابُ أَنَّهُ إِنَّمَا صار ^(٤) لا يحفر [لنفسه إبقاءً على برائته . ويمنع
الحَيَّةَ أن تحفر بيتها] أن ^(٥) أسنانها أَكَلَتْ من أسنان الفأر [ومن التي
تحفر بالأفواه والأيدي ؛ كالنمل والذرّ وما أشبه ذلك] . والحَيَّةُ ^(٦) لا ترى
أن تعانى ذلك ، وَحَفَرُ غيرها ومعاناته يكفيها .

(١) استرعاه : جملة راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس
في طبعه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كمنبة : جمع جحر . وفي الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا .
والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة .
وكتبت في الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه في س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه في س .

(٦) ط ، هـ : « فبهى » .

(شعر في ظلم الحية)

وفي ضَرْبِ المثل بظلم الحية ، يقول مضرُّ بن لقيط (١) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوَ أَخَاصِمُ حِيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسٌ (٢)
إِذَا قَلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لِأَخْرَ يَقْبِسُ (٣)
فَمَا لَكُمْ طُلْسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ

ذِقَابُ الغَضَى وَالدُّنْبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ (٤)

وجعله أطلس ؛ لأنه حين تشتدُّ ظلمة الليل فهو أخفى له ، ويكون حينئذٍ أخبث له وأضرى .

وقال حَرِيزُ بن نَشْبَةَ العَدَوِيُّ (٥) ، لِنَبِيِّ جَعْفَرِ بنِ كِلاب ، وَضَرَبَ جَوْرَ
الحيةِ وَالدُّنْبِ فِي الحُكْمِ مثلاً ، فقال :

(١) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر في حماسه ٣٨٠
إلى عامر بن لقيط الأسدي . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً في محاضرات الراغب
(١ : ١٧٤) . وفي البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدي » .

(٢) قال الجاحظ في البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئب والحيات
وبها يضرّبون المثل في الظلم — لقتضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ،
أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . في البيان : « أنى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غيرة إلى سواد . ط : « طلسى »
صوابه فى س ، ه والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا
في حماسه .

(٥) هو حريز ، بجاء مهمله وزاى ، ابن عبدة ، أحد بنى زيد بن نَشْبَةَ بنِ عدى بنِ أسامة
ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤلف ٧٢ . وفى الأصيل : « جرير »
مصنف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جدّه لا أبوه . س :
« نسة » محرفة .

كَأَنِّي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مِدْحَى أَسْقِيهِمْ طَرِقَ مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبٍ (١)
 وَلَوْ أَحْصِمُ أَفْعَى نَابُهَا لَثِقُ أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ (٢)
 لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِبَاءً ، وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبٍ (٣)
 وَلَوْ أَحْصِمُ ذَنْبًا فِي أَكِيلَتِهِ لَجَاءَنِي جَمْعُكُمْ يَسْعَى مَعَ الذَّبِيبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحية واسعة الشحو والشم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفذ نابها .
 وكذلك كل [ذى (٦)] فم واسع الشحو ؛ كشم الأسد . فإذا اجتمع له سعة
 الشحو وطول اللحين ، وكان ذا خطم وخرطوم فهو أشد له كالخنزير ،
 والذئب والكلب . ولو كان لرأس الحية عظم كان أشد لعضتها (٧) ،
 ولكنه جلد قد أطبق (٨) على عظمين رقيقين مستطيلين بفكها الأعلى
 والأسفل . ولذلك (٩) إذا أهوى الرجل بحجر أو عصا ، رأيتها تلوى رأسها

(١) ماء طروق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقتة . غير مشروب : غير
 صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم أب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عايه بالظلم والعداوة . ط ، ه :

« إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هى
 بالنون فى س . وفى ط ، ه : « باب » ، ولفه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيلى ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ه . « له خطم » صوابه فى س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . ه ، ط : « عظم » ولا تصح . وانظر

ما سبق قريبا .

(٨) كذا فى س ، ه . وفى ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه : « وكذلك » .

وتحتال في ذلك ، وتمنعه بكل حيلة ؛ لأنها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثرَ ما يكون في أعناقها تخصير^(١) ولصدورها أعباب^(٢) ، وذلك في الأفاعي أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقُّ إنما هو شيءٌ كهيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجراب ، مُنْضَمُّ الأثناء^(٣) ، مُثَقِّي^(٤) الغضون . فإذا شئتَ أن تفتحَ انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هاني : كان فتحُ فمِ الجرابِ يحتاجُ إلى ثلاثة أيدٍ^(٥) ، ولولا أن الحمالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتعاً حتى يستعينوا^(٦) بيدِ إنسان . وهذا مما يعدُّ في مجون ابن هاني .

وكذلك حُلوقُ الحياتِ وأعناقها وصدورها ، قد تراها فتراها في العينِ دقيقةً ، ولا سيما إذا أفرطت في الطول .

(شراة الحية والأسد)

وهي تتلحُّ فراخ الحمام . والحيَّةُ أنهمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلعُ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضغٍ ؛ وذلك لما فيه من فضل الشره . وكذلك الحية . وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج .

(١) تَخْصِيرٌ : أى دقة في وسطها .

(٢) جَمْعُ غَيْبٍ ، وهو اللحم المتدل تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التفضنات . ط : « ضم » ، صوابه في س ، ه . وفي ط :

« الأثناء » وفي س ، ه : « الأثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، ه : « مثقئ » .

(٥) س ، ه : « أيدى » صوابه في ط .

(٦) ط : « يستعين » صوابه في س ، ه .

(تَيْنِ أَنْطَاكِيَّةِ)

[و] بِمَا عَظَمَهَا وَزَادَ فِي فَرْعِ النَّاسِ مِنْهَا ، الَّذِي يَرُويهِ أَهْلُ الشَّامِ ،
وَأَهْلُ الْبَحْرَيْنِ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةِ (١) ؛ وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ الثَّلَاثَ الْأَعْلَى مِنْ
مِنَارَةِ مَسْجِدِ أَنْطَاكِيَّةِ أَظْهَرَ جِدَّةً مِنَ الثَّلَاثِينَ الْأَسْفَلِينَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا بِالْ
هَذَا الثَّلَاثِ الْأَعْلَى أَجَدَّ وَأَطْرَى (٢) ؟ قَالُوا : لِأَنَّ تَيْنَنَا (٣) تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا
هَذَا ، فَكَانَ ، لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، فَهَرَّعَ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي الْهَوَاءِ ، مُحَاذِيًا
لرَأْسِ هَذِهِ الْمِنَارَةِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَهُ بِذَنْبِهِ ضَرْبَةً ،
حَدَفَتْ (٤) مِنْ الْجَمِيعِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا (٥) الْمَقْدَارِ ، فَأَعَادُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ فِي الْمَنْظَرِ .

(١) أَنْطَاكِيَّةِ ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ . قَالَ يَاقُوتُ : وَليْسَ فِي قَوْلِ زُهَيْرِ :

عَلُونَ بِأَنْطَاكِيَّةِ فَوْقَ عَقْمَةٍ وَرَادَ الْحَوَاشِي لَوْنَهَا لَوْنٌ عِنْدَمِ

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

عَلُونَ بِأَنْطَاكِيَّةِ فَوْقَ عَقْمَةٍ كَجَرَمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجِنَّةِ يَثْرِبِ

دَلِيلٌ عَلَى تَشْدِيدِ الْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا لِلنَّسَبِ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَعْجَبَهَا شَيْءٌ نَسَبَتْهُ إِلَى أَنْطَاكِيَّةِ .

(٢) أَطْرَى : مِنَ الطَّرَاوَةِ ، وَهِيَ الْغَضَاضَةُ وَالْحِدَاثَةُ . هـ ، س : « أَطْرَى »

صَرَابِهِ فِي س . وَالسُّكْلَامُ بَعْدَ هَذِهِ السُّكْلَمَةِ إِلَى : « هَذِهِ الْمِنَارَةُ » سَاقِطٌ

مِنْ س .

(٣) التَيْنِ ، كَسَجِيلٍ : حِيَّةٌ عَظِيمَةٌ . ط : « تَسْمِيَتُنَا » صَوَابُهُ فِي هـ .

(٤) ط : « خَرَقَتْ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(٥) ط : « هَذِهِ » صَوَابُهُ فِي س ، هـ .

(الخلاف في التنين)

ولم يزل أهل البقاع^(١) يتدافعون أمر التنين . ومن العجب أنك تكون في مجالس وفيه عشرون رجلاً ، فيجرى ذكر التنين فينكره بعضهم . وأصحاب التثبت^(٢) يدعون العيان . والموضع قريب ، ومن يعاينه كثير . وهذا اختلاف شديد .

(قول الأعراب في الأصلة)

والأعراب تقول في الأصلة^(٣) قولاً عجيباً : تزعم أن الحية التي يقال لها الأصلة لا تمر بشيء إلا احترق . مع تهاويل كثيرة ، وأحاديث شنيعة .

(الأجدهاني)

وتزعم الفرس أن الأجدهاني^(٤) أعظم من البعير ، وأن لها سبعة رءوس ، وربما لقيت ناساً فتبتلع من كل جهة فم ورأس إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز^(٥) .

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهي أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبت » ، ووجهه ما في س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . والغويون يختلفون في تحليتها ، أي نعمتها .

(٤) افطر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان . فسألت^(١) أعرابياً عن ذلك فزعم أن ذلك حق . فقالت له : فن أي جهة الرأسين تسعى ؟ ومن أيهما تأكل وتعض ؟ فقال : فأما السعى فلا تسعى ، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالقلب ، كما يتقلب الصبيان على الرمل . وأما الأكل فإنها تتعشى بضم وتغدى بضم . وأما العض فإنها تعض برأسها معاً !! فإذا به أكذب البرية .

وهذه الأحاديث كلها ، مما يزيد في الرعب منها ، وفي تهويل أمرها^(٢) .

(فرانق الأسد)

ومثل شأن الثنين مثل أمر فرانق الأسد^(٣) ؛ فإن ذكره يجرى في المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتُه وسَمِعْتُه !

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه في س .

(٢) س : « والاستمالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفي الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب من « پَرَوَانَكُ » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المحدثين : إنَّ من أعظم ما خلق الله الحية والسرطان والسَّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإنَّ الناس لم يجدوا حيةً قطُّ ماتت حتفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها^(١) .
وذلك لأمر : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها من مسخ ، وإنَّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لي الفضل بن إسحاق ، أنه كان لأبيه [مُخَّان^(٢)] ، وأنَّ طولَ كلِّ نخٍّ تسعة عشر ذراعاً^(٣) .

(١) ط : « بالأمر الذي يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وقد أثبتنا اعتماداً على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسي معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما في س ، هـ . وفي س : « كليهما » بدل « ذراعاً » وهو خطأ . وقد أتى الملاحظ بهذا الخبر شاهداً على المبالغة والتحويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيات الجرد والزعر ، وذلك فيها من [الغالب ^(١)] .
ومنها ذوات شعر ، ومنها ذوات قرون . [وأرسطو يَنكِرُ ذلك ^(٢)]
وإنما يتخلق لها في كلِّ عام قشراً وغِلاف ، فأماً ^(٣) مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنَّ الأرمينيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقشِر من جلده
رينسلاخُ في كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فجمع ذلك فوُجد فيه ملءُ جراب
أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

وأما الذي لا أشك في أنه قد زاد في أقدارها في النفوس ، وعظَّم
من أخطارها ، وهول من أمرها ، ونبَّه على ما فيها من الآيَةِ العجيبةِ
والبرهان النسيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَمَّا ^(٤)] في قلب العصا حيةً ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل . وجاء في حياة الحيوان : « ومن أنواعها
الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الدميري . ومكانها بياض بقدر نصف سطر في س . ولم يبيض
لها في ط ، ه .

(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر في س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهولَ به القومُ وسَحَرُوا منْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، وجاءوا به من الإِفْكِ
قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ^(١)] فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ
بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿ ،
إلى قوله : ﴿ فَأَلْقُوا حِبَابَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ ^(٢) ﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حَوَّلَ العصا ثُعْبَانًا لأنهم جاءوا بحبال وعصِيٍّ
فحوَّلَها في أعين الناس كلها ^(٣) حَيَّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العصا حَيَّةً ^(٤)
على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ جَعَلُوا حِبَالَهُمْ
وعصِيَّهُمْ ذُئَابًا في أعينِ النَّاسِ ونُمُورًا ، لَجَعَلَ اللهُ عصا موسى ذئبًا أو نميرًا ،
فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ في بدن الحية .

قلنا: الدليل على باطل ماقلتم ، قولُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ
يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَآرِبٌ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿
وقال الله عزَّ وجلَّ ^(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ^(٦) ﴾

(١) هذه التكلمة ليست في س : ه . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها في ط
كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتها ، هي الآيات ١٠٤ - ١٠٧
من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هي سورة الشعراء ، وهي
الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، ه : « كأنها » وأثبت ما في س .

(٤) س ، « قلت إن العصا حية » وهو تحريف ما في ط ، ه .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ه .

(٦) هذه هي الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ

بشهاب قيس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ (١) ﴿ فقلبت (٢) العصا جَانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصَى . وقال الله (٣) : ﴿ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ . قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشَىءٍ مُّبِينٍ . قَالَ فَآتَ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ فقلبت (٤) العصا حَيَّةً كان في حالات شتى (٥) . فكان هذا ربما زاد في قدر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه أن لا يمتهه الله لديغا . وتأويل ذلك : أنه صلى الله عليه وسلم ما استعاذ بالله من أن يموت لديغا (٦) وأن تكون ميثته بأكل هذا العدو ، إلا وهو من أعداء الله ، بل من أشدّهم عداوة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، « أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبيّاً أو قتله نبيٌّ » ، كأنه كان في المعلوم (٧) أن النبي لا يقتل أحداً ،

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذي قبله نحو أحد عشر قرناً فلا يهتياً أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلبت » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى في الآية من ط . وهما مثبتتان في هـ . والآيات هي ٢٩ - ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف في ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا في ط . وفي س ، هـ : « العلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلا في أشرار^(١) الخلق . ويدلُّ على ذلك الذى اتَّفَقَ من قتل أبيِّ بن خلفٍ بيده^(٢) ، والنَّضْر بن الحارث^(٣) ، وعقبة بن أبي مُعيط^(٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاصي^(٥) - صبراً^(٦) .

(١) أشرار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجد لها فيهما في مادة (شرر) ورأيتهما في شعر صخر أخى الحنساء (الخزائن ١ : ٣٩٣ سلفية) : * والله لا أمّحها شرارها *

(٢) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول في الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنأ منه تناول رسول الله الحرية من الحارث بن الصمة ، وطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً - أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافرأ فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحتري ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هي من أروع آيات البيان العربي ، رواها ابن هشام في السيرة ٥٣٩ وأبو تمام في الحماسة (١ : ٤٠١) والبحتري في حماسته ٤٣٤ والجاحظ في البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمأنت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما في حماسة البحتري والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبي معيط - بهيمة التصغير - كان من أسر يوم بدر من المشركين ، قتل في أثناء فقول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبي الأفلح الأنصاري . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قلدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٧٧ : ٢) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبي المغيرة » ، صوابه في س ، هـ كما في السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . وما ينبغي =

وحدثت (١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدثني صفيق بن أبي أيوب ، أنه سمع أبا بشير الأنصاري (٢) يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من هؤلاء السبع : كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهدم (٣) وأعوذ بك من التردى (٤) ، وأعوذ بك من الغم والغرق (٥) ، وأعوذ بك من الحرق والمهرم (٦) ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت (٧) وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً ، وأعوذ بك من أن أموت لديغاً » .

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الأسود (٨) ، وأعوذ بك من الهدم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب العثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

- (١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .
- (٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .
- (٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .
- (٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .
- (٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النساء والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .
- (٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لها . والمهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه في هـ .
- (٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .
- (٨) هذه الزيادة الضرورية من الديرى (رسم الأسود السالم) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحية : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صغيراً ، والرجل يَصْفِرُ بالطير للتنفير ، وبالذوابة وبيعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفارة [يُصْفِرُ بِهَا^(١)] للحمام وللطير في المزارع . قال أعشى همدان يهجو رجلاً :
وَإِذَا جَسَا لِلزَّرْعِ يَوْمَ حَصَادِهِ قَطَعَ النَّهَارَ نَأُوْهَاً وَصَفِيْرًا

(لسان الحية)

والحياة مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيات لسانين وهذا عندى غلط ، وأظنُّ أنه لما رأى افتراق طرف اللسان^(٢) قضى بأن له لسانين .

(عجبية الضب)

ويقال : إن^(٣) للضَّبِّ أَيْرَيْنَ ، ويسمى أير الضَّبِّ نَزْكَاً^(٤) .
قال الشاعر^(٥) :

= والنسائي والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » .
الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلمخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » ه : « ترك » س : « نرك »

صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضمطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحرمان ذى القصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبَّ لَهُ نَزْكَانٍ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْأَنَامِ وَنَاعِلٌ^(١)
قال أبو خلفٍ النمرى : سئل أبو حية النمرى عن أير الضَّبِّ ،
فزعم أنَّ أير الضَّبِّ كلسان الحية : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين في عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يزعمُ أنَّ الله عاقبَ الحيةَ حين أدخلت إبليس
في جوفها ، حتى كَلَّمَ آدَمَ وَحَوَاءَ وَخَدَعَهُمَا عَلَى لِسَانِهَا ، بعشرِ خِصَالٍ :
منها شقُّ اللسان^(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحيةَ إِذَا ضُرِبَتْ لِلْقَتْلِ كَيْفَ
تُخْرِجُ لِسَانَهَا لِتُرِيَّ الضَّارِبَ عَقُوبَةَ اللَّهِ ، كأنها تَسْتَرْحِمُ . وصاحب هذا
التفسير لم يقلْ ذلكَ إِلَّا لِحِيَّةٍ كَانَتْ عِنْدَهُ تَتَكَلَّمُ ، ولولا ذلكَ لَأُنْكِرَ
آدَمُ كَلَامَهَا ، وإن كان إبليسَ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْحِيَّةِ ، وَلَا يَحْتَمِلُ
بشئٍ غير مموهٍ وَلَا مشبهٍ .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسرى . انظر اللسان (مادة نرك) حيث تجد أبيات
الشاهد . وقال ابن السيد في الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خاند ولاء بعض البوادي
فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه
حمران قفصاً مملوفاً ضبابا وكتب إليه . » وأنشد الأبيات التي رواها الجاحظ أيضاً
في الجزء السادس .

(١) الرواية : « سيجل له نركان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نرك) ،
سيجل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكتاب
١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .
وفي ط « تركان » و هـ : « تركان » صوابه في سـ والمراجع . والناعل :
من يلبس نعلا . سـ : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسياتي في ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحَوَّاةٌ وَمَحَيَّاةٌ من الحَيَّاتِ (١) كما يقال أرضٌ مَضْبَّةٌ وَضَبْبَةٌ من الضَّبَابِ (٢) ، وفئرةٌ من الفَأَرِ (٣) .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ في تفسير قولهم في المثل : « هذا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ (٤) » :
إِنَّ الضَّبَّ قَالَ لابنه : إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الْحَرْشِ فَلَا تَخْرُجَنَّ ! قال : وذلك
أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَرْشَ تَحْرِيكُ (٥) الْيَدِ عِنْدَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ لِيَخْرُجَ إِذَا
ظَنَّ أَنَّهُ حَيَّةٌ - قال : وَسَمِعَ ابْنَهُ صَوْتَ الْحَفْرِ فَقَالَ : يَا أَبَاهُ هَذَا الْحَرْشُ ؟ قال :
يَابْنِي ، هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرْشِ ! فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازيرِ عداوةٌ ، والخنازيرُ تَأْكُلُهَا أَكْلا ذَرِيعًا . ٥٥

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضببة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفي ط ، س : « مضببة »
و ه : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفتحها ، وهو من شواذ
المضغف . ط ، ه : « ضببية » صوابه في س . والضباب ، بالكسر :
جمع ضب .

(٣) في الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى في أماليه (١ : ١٧٠) والميداني

(١ : ١٧٠) والبيدادي في الخزانة (٤ : ٥٩٤ - ٥٩٥ بولاق) .

(٥) ه : « تحريد » بالبدال . والتحرير : التعويج .

وسموم ذوات الأنياب من الحيات ، وذوات الإبر^(١) ، سريعة في الخنازير ، وهي تهلك عند ذلك هلاكاً وشيكاً ، فلذلك لاترضى بقتلها حتى تأكلها . وتأكل الحيات العقبان ، والأياثل ، والأراوى^(٢) ، والأوعال ، والسنانير والشاهمرك^(٣) ، والقنفذ . إلا أن القنفذ أكثر ما يقصد إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل : قال الراجز :

* قنفذ ليل دائم التجاب^(٤) *

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسى .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبه النمام ، والمداخل ، والدسيس^(٥) ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عبدة بن الطيب :

أعصوا الذى يلقي القنفاذ بينكم^(٦) متنصحا وهو السام الأنقع^(٦)
يزجى عقاربه ليعث بينكم حرباً كما بعث العروق الأخدع^(٧)

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجاب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه

إلا ما يفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جاب : أى يجوب البلاد

ويكسب المال » . ط : « التجاب » ه : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ، بسينين بينهما ياء : من تدسه لياتيك بالأخبار . ط : « اللدسيس »

صوابه فى س ، ه .

(٦) س ، ه : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرشى » س ، ه : « تزخى » صوابهما =

حِرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فَوَادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشَعَّشٌ^(١)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعِدَاوَةِ يُنْشَعُ^(٢)

وهذا البيت الآخر يضم إلى [قول^(٣)] مجنون بنى عامر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
ويضم إليه قول ابن أود^(٤) : « الطينة تقبل^(٥) » الطبايع ما كانت
لَيِّنَةً .

ثم قال عبدة بن الطبيب ، في صلة الأبيات التي ذكر فيها القنفذ
وَالنَّمِيمَةَ :

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوِّهِمْ خُلَّانَكُمْ يَشْفِي صَدَاعَ رُمُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ جَدَعُوا قَنَافِدَ الْبَلْمِيمَةِ تَمْرَعُ^(٦)

= ما أثبت ، والرواية في حاسة البحرى ٢٤٠ : « يهلى » . والأخدع : واحد
الأخدعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، ه : « الفروق » صوابه في
ط والحجاسة .

(١) شعع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، ه :
« القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة :
كانه يوجر بها ، أى توضع فى فمه ليشر بها .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كذا فى ط ، ه . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة وار ، قبل :
« الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحجاسة : « فهم إذا دمس » . وجدعوا : هو من =

وهذا الشعر من غرر الأشعار . وهو مما يحفظ .

وقال الأودي^(١) :

كقنفذ القرن لا تخني مدارجهُ خبٌ إذا نامَ عنه الناس لم ينم^(٢)

(عهد آل سجستان على العرب)

وفي عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها^(٣) : لا تقتلوا قنْفُذًا

= جذع بين البعيرين : قرنهما في قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعاني (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حذجوا » . وهو من حذج البعير والناقة : شد عليهما الحذج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والحففة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفي اللسان : « ابن الأعرابي : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمزع » بالراء صوابه في ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاة بن عمرو . والأودي : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وله شعر حكى سائر . انظر الشعراء والأغاني (١١ : ٤١ - ٤٢) . والبيت في ديوان المعاني (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القرن ، بالضم : موضع ، وفي ديوان المعاني : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عته » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفي ديوان المعاني : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وِرْلاً وَلَا تَصِيدُوا^(١) ؛ لأنها بلادُ أفاعٍ^(٢) . وأكثرُ ما يجتلب أصحابُ صنعة الترياق والحوءون الأفاعى من سِجِسْتان . وذلك كَسَبُّ لهم وحرِفةٌ ومتجرٌ . ولولا كثرةُ قنائفِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذ لا يبالي أى موضع قبض من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولة على أسهل الوجوه ، وإن قبض على وسطها أو على ذنبها ، جذب ما قبض عليه ، فاستدار وتجمع ، ومنحه سائر بدنه ، فمى فتحت فاهها لتقبض على شىء منه ، لم تصل إلى جلده مع شوكة الثابت ٥٦ فيه . والأفعى تهرب منه ، وطلبه لها وجراءته عليها ، على حسب هربها منه وضعفها عنه .

(أمثال في الحية والورل والضب)

وأما قولهم : «أضل من حية» ، و«أضل من ورل» ، و«أضل من ضب» - فأما الحية فإنها لاتتخذ لنفسها بيتاً ، والدكر لا يقيم في الموضع ، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على الكسب والتماس الطعام ، ثم تصير الأنثى سيارة ، فمى وجدت جحراً دخلت واثقة بأن

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورلا تصيدونه » س : « ولا ورلا » تصيدوه . وصوابه ما أثبت من ه . وعند ياقوت : « ألا يقتل في بلدكم قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فا من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فِيهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَقَامَ فَصَارَ طُعْمًا لَهَا ، وَإِمَّا هَرَبَ فَصَارَ
الْبَيْتُ لَهَا مَا أَقَامَتْ فِيهِ سَاعَةً ، كَانَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيات^(١) وكسرتها لأتعرّف ما فيها ، فإذا هو بيضٌ
مستطيلٌ أكدرُ اللون أخضر ، وفي بعضه نَمَشٌ ولمع^(٢) . فأما^(٣) داخله
فلم أرَ قَيْحًا قطُّ ، ولا صديدًا خَرَجَ مِنْ جُرْحٍ فاسدٍ ، إلاّ وَالَّذِي فِي بَيْضِهَا
أَسْمَجٌ مِنْهُ وَأَقْدَرُ . ويزعمون أنها كثيرةُ البيضِ جدًّا ، وأنّ السلامة
في بيضها [على^(٤)] دونِ ذلك ، وأنّ بيضها يكون منضدًا في جوفها طولًا
على غرار^(٥) واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهي طويلة البطن والأرحام . وعددُ أضلاعِها عددُ أيامِ الشهر .
وكان ذلك بعضَ ما زاد في شدةِ بدنِها^(٦) .

-
- (١) ط : « الحياة » صوابه في س ، ه .
(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفي الأصل : « هش » وليس بشيء .
وأثبت الصواب موافقا ما في الديميري (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمعة ، بالضم ،
وهي كل لون خالف لونا .
(٣) ط ، ه : « فإذا » صوابه في س .
(٤) الزيادة من س ، ه .
(٥) على غرار : أي على قالب . ط ، ه : « عرار » س : « عراد »
صوابهما ما أثبت .
(٦) بعد هذا في كل من ط ، ه عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتنا هنا إثباتا
تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من
سبعين عقارب صفار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكفي » .
وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذرة^(١) الدجاج . والضبُّ أكثرُ بيضاً من الدجاجة .
والخزيرة تضعُ عشرين خنوصاً .

ويخرج من أجواف العقارب عقاربُ صغارٌ ، كثيرة العدد جداً .
وعامة العقارب إذا حبلت كان حنْفُها في ولادها^(٢) ؛ لأنَّ أولادها إذا
استوى خلقها أكلت بطون الأمهات حتى تنقبها^(٣) . وتكون الولادة
من ذلك الثقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذرءُ السمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زعمَ أن بيضة^(٤)
واحدة من بعض الأسبور^(٥) عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظم
ما تحمِلُ ، ولدقة حبه^(٦) وصغره . ولكن يعترها أمران : أحدهما الفساد ،
والآخر أن الذكورة في أوانِ ولادة الإناث تتبعُ أذنابها ، فكلما زحرت
بشيء التتمته والتمته .

ثمَّ السمك بعد ذلك في الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

(١) الذرة : النسل . ط ، س : « الدر » صوابه ما أثبت من ه .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه في س .
وفي نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تنقفها » و ه : « يشقفها »
مخرفتان . وفي نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه في (٣ : ٢٥٩) ، وفي الأصل : « الأسبور »
مصحف .

(٦) أي حب البيض . ط ، ه « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكثرة في الأولاد إنما تكون من العفن واللخن ،
وعلى قدر كثرة المائية وقليتها . فذهبوا إلى أن أرحام الروميات
والنصرانيات أكثر نلناً ورطوبة ؛ لأن غسل الفروج بالماء البارد
مراراً في اليوم ، مما يطيب الأرحام ، وينفي اللخن والعفن . ويزعمون أن
المرأة إذا كان فرجها نظيفاً ، وكانت معطرة قوية المنة قل حملها ، فإن
أفرطت في السمن عادت عاقراً . وسمن الرجال لا يكاد يعترهم ذلك .
وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقرة والغنم والنحل . إذا قويت النخلة
وكانت شابة ، وسمن بجمارها ، صارت عاقراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك
بإدخال الوهن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن في ذلك ناسٌ فقالوا : إن في الضب على خلاف ما ذكرتم :
قد تبيض الأثني سبعين بيضة فيها سبعون حسلاً^(١) . ولولا أن الضب
يأكل ولده لانتفشت الصحارى ضباباً . والضب لا يحفر إلا في كدبة^(٢)
وفي بلاد العراد^(٣) . وإذا هرمت تبلغت بالنسيم . وهذا كله مما يستدل

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدبة ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراد : حشيش طيب الرائحة . ط ، ه : « العرار » محرفة ، صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طَبْعِهَا مِنَ اللَّخْنِ وَالْعَفْنِ (١) .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك (٢) في جميع صفاتها إلا في أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيات سفادٌ معروفٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ عِلْمٌ ، ويقف عليه عيان ، وليس عند الناس في ذلك إلا الذي يَرَوْنَ من ملاقاتة الحية [للحية (٣)] والتواء كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجٌ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خلخالٌ مفتولٌ . فأما أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرجٍ يدخل فيه فلا .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر في الشعر)

والعرب تذكُرُ الحياتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أيمٌ ، فإنما يريدون الذَّكَرَ دونَ الأُنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودَةِ الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (حرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم
على لسان الضب :

أصبح قلبى صردا لا يشهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتيدا *

(١) أى أن سكنى الضباب فى الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفى تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباغها من اللخن والعفن .

وفى الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفى هـ :
« قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفَةِ البدن ، كما تذكر الشعراء في صفة الخيل الجرادة الذَّكَرَ (١)
دُونَ الأُنْثَى . فهم وإن ألحقوا الهاء فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ
ابن أبي خازم :

جَرَادَةٌ هَبَّوَةٌ فِيهَا اصْفِرَارُ (٢)

لأن الأُنْثَى لاتكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرَةِ الذَّكَرَ (٣) ؛ لأنَّ
الأُنْثَى تكون بين حالتين (٤) : إما أن تكون حُبْلَى بَبِيضِهَا (٥) فهي مُثْقَلَةٌ
وإما أن تكون [قد (٦)] سرأت وقذفت بيضها (٧) ، فهي أضعفُ
ما تكون .

قال الشاعر :

أَتَذْهَبُ سَلْمَى فِي اللَّمَامِ وَلَا تُرَى وفي اللَّيْلِ أَيْمٌ حَيْثُ شَاءَ يَسِيبُ (٨)

(١) ط : « الجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يمتنون الذكر
دون الأُنْثَى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأُنْثَى ، وأخف ، كما في الموازنة
للأملى ٧٥ .

(٢) الهبوة : العبرة . وصدر هذا البيت كما في المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :

* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة
ابن هبيرة الأسدي (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك .
(معجم المرزباني ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء في كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأُنْثَى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، ه : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الكلام
وأكلته بما ترى .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سرأت الجرادة والسمة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والمظاء في الرمال)

وإذا انسابت في الكُثبانِ والرَّمْلِ ، بينَ مواضعٍ مَزَاحِفِهَا ،
وعُرفَت آثارُهَا .

وقال آخر (١) :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الحَيَاتِ فِيهَا قَبِيلَ الصُّبْحِ آثَارُ السَّيَاطِ (٢)
وكذلك يعرفون آثار العظاء . وأنشد ابن الأعرابي :

بِهَا ضَرْبُ أذْنَابِ العِظَاءِ كَأَنَّهَا مَلَاعِبُ وَلِدَانٍ تَحْطُ وَتَمصَعُ (٣)
وقال الآخر ، وهو يصف حَيَّاتٍ :

كَأَنَّ مَزَاحِفَهَا أَنسَعُ جُرْرُنَ فَرَادَى وَمَشَاتِهَا (٤)
وقال ثَمَامَةُ الكَلْبِيِّ :

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الهَزَلِيِّ (٥) صَبَاحاً خَلُودٌ رَصَائِعُ جُدِلَتْ تَوَامَا (٦)

(١) هو المنتخزل الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ وجمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كَأَنَّ غِيَّ الخَمُوشِ أَمِيمٍ فِيهَا وَغِيَّ رَكْبِ أَمِيمٍ أَوَّلِ زِيَاظِ

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : «كَأَنَّ مَزَاحِفَ الحَيَاتِ فِيهَا»، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : «وهنا» مكان : «فيها» .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : «مراحفها» . هـ : «مراجفها» صوابه في س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلي ، بالزاي : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخلود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزلي من الحيات . قال جرير أو غيره :
 ومن ذات أصفاءٍ سُهبٍ كأنها مَزاحِفٌ هزليٌ بينها متباعدٌ (١)
 وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكة كيف كانت ، وإلى
 أي شئٍ صارت :

وإذا نظرتَ إلى الثرى بعِراضهم
 قلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ (٢)

وقال البيهقي :

لَقِيَ حَمَلَتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بِيَتْنٍ لِلضِّيَافَةِ أُرْشَمًا (٣)
 مُدَامِنٌ جَوْعَاتٍ كَأَنَّ عَرَوْقَهُ مَسَارِبُ حَيَاتٍ تَسْرِبُنَ سَمْسَمًا (٤)

= وهي سير مضفور في أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س .
 « صلح » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط :
 « خذلت » ه : « خزلت » س : « خذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما :
 جمع تؤام . والمراد : أزواجا . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أي أرض ذات صحور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفاء :
 جمع صفاء . ط ، ه : « إصفاء » صوابه في س . وفي اللسان (صوى) : « أصواء »
 مع تفصيل في الشرح . والسهب : المستوية الواسعة . والبيتن : البعد ، إن جعل « بينها »
 مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أي مزاحف متباعد بينها . ط ، ه :
 « بيتها » صوابه في س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهي أخبث الحيات
 وأظننها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) التقي ، بالفتح : الذي لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « فقي »
 س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والانتصاب ٣٤٦
 واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقي) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد
 دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكفى عن زنى
 أمه . والبيتن : الذي يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاهمون
 به ، لتروجه مقلوبا . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط :
 « أرشما » ، س ، ه : « أرشما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة
 وأدب السكاك ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أي هو يلتمس الجوع . وفي الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جناحَ ، ولا سترَ عنكبوتٍ^(١) ، إلا وقشرُ الحيةِ
أحسنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وأنعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ
كثيرٌ قبيصَ ملكٍ ، فشَبَّهه بِسَلخِ الحيةِ ، حيث يقول :

إذ ما أفادَ المالَ أودى بِفَضْلِهِ حقوقُ ، فكرهَ العاذلاتِ يوافقهُ
يجرُّ سربالاً عليه كأنه سبيءٌ لهُزلي لم تقطعَ سرائقه^(٢)

والسبيء : السَّلخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نصلَ الأظفارُ وانسباً الجلدُ^(٣) *

= كأن عروقها « ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سسم) ، ومعجم
البلدان (سسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى
ملتوية دقيقة . و « سسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه : مشين
فيه . وفى الأصل : « يسرين » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى :
« تشرين سسما » بالشين المعجمة . والسسم ، بفتح السينين أيضاً : السم .
أى كثر فيه السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار
القلوب ٣٤٠ . وانظر (٤١١ : ٥) .

(٢) السبيء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى
بالزاي : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرائق : سلخ
الحية إذا لقته . ط : « سراقه » س ، ه : « سرائقه » ، صوابه من
اللسان (سبي) وما فى (٤٨٦ : ٣) . وانظر الخصاص (١ : ٢٤) .

(٣) فصلت أظفاره : خرجت . وانسباً الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعَامَ وَالْأَفْعَى صُمٌّ لَا تَسْمَعُ ، وكذلك هما من بينِ
جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك في هذا الموضع طرفاً ، ونؤخر الباقى إلى
الموضع الذى نذكر فيه جملة القول فى النعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتلينا بضربين من الناس ، ودعواهما كبيرة^(١) ، أحدهما يبلغ من
حبه للغرائب^(٢) أن يجعل سمعه هدفاً لتوليد^(٣) الكذابين ، وقلبه قراراً
لغرائب الزور . ولكلفه بالغريب ، وشغفه بالطرف ، لا يقف على
التصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغث فى السمين ، والممكن فى الممتنع ،
ويتعلق بأذى سببٍ ثم يدفع عنه كل الدفع .
والصنف الآخر ، وهو أن بعضهم يرى أن ذلك لا يكون منه عند
من يسمعه يتكلم إلا من خاف التقزز^(٤) من الكذب .

(قول فى صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أن الدليل على أن الأفاعى صُمٌّ ، قول الشاعر :

(١) س ، ه : « وعودها كثير » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) ه : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » ه : « التقزز » صوابهما ما أثبت . وفى العبارة
قبله اضطراب .

أَنْعَتُ نَضْنَاضًا مِنَ الْحَيَّاتِ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ^(١) لِلرُّقَاةِ .
وقد ذكروا بالصَّممِ أَجْنَاسًا مِنْ خَبِيثَاتِ الْحَيَّاتِ ، وَذَهَبُوا إِلَى امْتِنَاعِهَا
مِنَ الْخُرُوجِ عِنْدَ رُقِيَةِ الرَّاقِي عِنْدَ رَأْسِ الْجَحْرِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
وَذَاتِ قَرْنَيْنِ مِنَ الْأَفَاعِي صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي
وَيَزْعَمُونَ أَنَّ كُلَّ نَضْنَاضٍ أَعْمَى . وَقَالَ آخَرُ :

وَمِنْ حَنْشٍ لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ أَرْقَشَ ذِي مُحَمَّةٍ كَالرِّشَاءِ^(٢)
أَصَمٌّ سَمِيعٌ طَوِيلِ السَّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ عَارِي النِّسَاءِ^(٣)
فَزَعَمَ أَنَّهُ أَصَمٌّ سَمِيعٌ ، فَجَازَ لَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَصَمًّا بِقَوْلِهِ : « وَمِنْ حَنْشٍ
لَا يُجِيبُ الرُّقَاةَ » . وَقَالَ الْآخَرُ :

أَصَمٌّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصَلِ حَدِيدَاتِ^(٤)
وَالْأَفْعَى لَيْسَ بِأَعْمَى ، وَعَيْنُهُ لَا تَنْطَبِقُ ، وَإِنْ قَلِعَتْ عَيْنُهُ عَادَتْ .
وَهُوَ قَائِمُ الْعَيْنِ كَعَيْنِ الْجِرَادَةِ ، كَأَنَّهَا مِسْمَارٌ مَضْرُوبٌ . وَلَهَا بِاللَّيْلِ شُعَاعٌ
خَفِيٌّ . قَالَ الرَّاعِي يَصِفُ الْأَفْعَى :

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت في الأصل بالثاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء في الطول ؛ وهي مبالغة ظاهرة . وروى البيهقي هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنساء ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، ه : « عصل » صوابه في ط .
وقبله كما سيأتي في ٢٨٢ :

وَيُدْنِي ذِرَاعِيهِ إِذَا مَا تَبَادَرَا إِلَى رَأْسِ صِلِّ قَائِمٍ الْعَيْنِ أَسْفَعُ (١)
وهذه صفة سليم الأفعى (٢) فيجوز أن يكون الشاعرُ وصفها بالتمتع من
الخروج بالصَّمَم ، كما وصفها بالعمى ؛ لمكان السُّبَاتِ وطُولِ الإطْرَاقِ .
قال الشاعرُ :

أصمَّ سَمِيعٌ طَوِيلُ السُّبَاتِ مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ عَارِي الْقَرَا (٣)
وقال آخر :

مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى سَارٍ طُمُورٍ بِالْدُجْنَاتِ (٤)
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ مَيْتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقِ وَإِخْبَاتِ (٥)
يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْحٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ (٦)
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَصَفَ أفعَى بقوله :

أصمَّ أعمى لا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصْلِ حَدِيدَاتِ (٧)
مُنْهَرَتِ الشُّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى «إلخ»
ثم ذكر أنيابه ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسِيهِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى صِمَاحَيْنِ وَهَوَاتِ

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسقع » صوابه في ط ، هـ .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرأ : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت في ١٧٩ ص ٧ .

(٤) الطمور : الثواب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يشته » صوابه في س ، هـ . والنفث : النفض

وفي الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتي ص ٢٨٣ . ولا تنقب

الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهي الجحر . س : « المغارات »

ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت في الصفحة السابقة .

فجعله أعصل^(١) الأنياب ، منهرت الأشداق ، ثم وصفها بالسباتِ
وطول الإطراق ، وبسرعة النشطة^(٢) ، وخفة الحركة ، إذا هممت بذلك
وكانت تعظم^(٣) .

(شعر امرأة جمع صفة الحية)

وقد وصفتها امرأة جاهلية بجميع هذه الصفة^(٤) ، إلا أنها زادت شيئاً .
والشعر صحيح . وليس في أيدي أصحابنا من صفة الأفاعي مثلها .
وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمدِ الهاشميِّ كتاباً في الحيات ، أكثرُ
من عشرة أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .
ولقد وُلدوا على لسانِ خلفِ الأحمرِ ، والأصمعيِّ ، أرجازاً كثيرة . فما
ظنُّكَ بتوليدهم على ألسنةِ القدماء !
ولقد وُلدوا على لسانِ جحشويه في الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه
قط . فلو تقدروا من شيءٍ تقدروا من هذا الباب .
والشعر الذي في الأفعى^(٥) :

قَدَّ كَادَ يَقْتَلْنِي أَصَمُّ مَرَقَشٌ مِنْ حُبِّكُمْ ، وَالخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرٍ^(٦)
خَلِقَتْ هَازِمُهُ عَزِينَ وَرَأْسُهُ كَالْقَرِصِ فُلْطَحٍ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(٧)

(١) أعصل : أعرج . هـ : « أعصل » مصحف .
(٢) نشطت الحية ناشط وتناشط : عضت بناها .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) هذا المثبت في س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة في ط .
(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت في (٢ : ٢١٤) .
(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلمم والخطوب كثير » .
(٧) ط : « أفتح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح
البيت في (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمْرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ (١)
 وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورِ (٢)
 وَكَأَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزَ مَضْمَضَتْ لِطُهُورِ (٣)

فقد زعمت^(٤) كما ترى أنها تدير عينا^(٥) ، وزعم الأول^(٦) أنها قائمة العين .
 إلا أن تزعم أنها لم ترد بالإدارة أن مقلتها تزول عن موضعها ، ولكنها
 أرادت أنها جواللة في إدراك الأشخاص ، البعيدة والقريبة ، والتميامنة
 والتمياسرة .

وقد يجوز أن يكون إنما جعلها سمیعة^(٧) لدقة الحس ، وكثرة الاكثراث
 وجودة الشم ، لا جودة السمع ؛ فإن الذين زعموا أن النعامة صماء زعموا
 أنها تدرك من جهة الشم والعين ، جميع الأمور التي كانت تعرفها [من^(٨)]
 قبل السمع لو كانت سمیعة . وقد قال الشاعر^(٩) في صفة الحية :

(١) في الأصل : « اللوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعات وعيون
 الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت في (٢ : ٢١٥) .
 (٢) التنوفة : الأرض للفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير .
 والمأطور : ذو الإطار . وفي الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤلف
 ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة
 والتحوي ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسي .
 ورواية صدر البيت في المؤلف :

« وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »

- (٣) انظر ما سبق في (٢ : ٢١٥) . والطهور ، بالضم : التطهر .
 (٤) أي الشاعرة . وفي ط : « زعم » .
 (٥) عنى الحية هنا . والحية تذكر وتؤنث .
 (٦) هو الراعي . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .
 (٧) هـ : « سمياً » وهما وجهان جائزان . وفي القاموس : وأذن سمعة ويحرك
 وكفرحة ، وشريفة وشريف .
 (٨) ليست بالأصل .
 (٩) هو الزيادة كما سيأتي في ص ٢٨١ .

تَهْوَى إِلَى الصَّوْتِ وَالظَّلَاءِ عَاكِفَةً تَقْوَرُ السَّيْلَ لِاقْتَى الْحَيْدِ فَاطَّلَعَا^(١)

هذا بعد أن قال :

إِنِّي وَمَا تَبْتَغِي مَنِي كَلْتَمَسَ صَيْدًا وَمَا نَالَ مِنْهُ الرَّيِّ وَالشُّبْعَا

أَهْوَى إِلَى بَابِ جَحْرٍ فِي مَقْدَمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ نَزْعَا^(٢)

اللَّوْنُ أُرْبُدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ

عَضَلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قِطْعَا^(٣)

أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضْرَاءٍ أُيْدِسَهَا أَوْ شَمَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا^(٤)

فَقَدْ جَعَلَ^(٥) لَهَا أَنْيَابًا عَضَلًا ، وَوَصَفَهَا بِغَايَةِ الْحُبِّثِ وَزَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولَّدَ لا يؤمن عليه الخطأ إذ كان دخيلًا في ذلك

الأمر ، وليس كالأعرابيِّ الذي إنما يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذي عليه ٦١

(١) التقور : التثني . وفي الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجهًا ، وصوابه في

اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفي الأصل :

« الجيد » وصوابه مما سياتي ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية

في مرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد تثني وأشرف على طريق آخر .

(٢) في مقدمه : في مقدم الحجر . والعسيب : السعف لم يثبت عليه خصوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة .

وعصل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع

« شم » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « جعلوا » .

نَشَأً ، وَبِمَعْرِفَتِهِ غَدَى . فالعلماء الَّذِينَ اتَّسَعُوا فِي عِلْمِ الْعَرَبِ ، حَتَّى صَارُوا إِذَا أُخْبِرُوا عَنْهُمْ بَخِرَ كَانُوا الثَّقَاتِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا . وَسِوَاءِ عَلَيْنَا جَعْلُهُ كَلَاماً وَحَدِيثاً مَنْثُوراً^(١) ، أَوْ جَعْلُوهُ رَجْزاً وَقَصِيداً موزوناً^(٢) .

وَمَتَى أُخْبِرُنِي بِعَظْمِ هَوْلَاءِ بَخِيرٍ لَمْ أُسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِمَسْأَلَةٍ^(٣) الْأَعْرَابِ . وَلَكِنَّهُ إِنْ تَكَلَّمَ وَتَحَدَّثَ ، فَأَنْكَرْتُ فِي كَلَامِهِ بَعْضَ الْإِعْرَابِ ، لَمْ أُجْعَلْ ذَلِكَ قُدُوةً حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَمُنُّ لَا يُؤْمِنُ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الْخَفِيُّ قَبْلَ التَّفَكُّرِ . فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ حَكْمُهُ خِلَافُ الْأَوَّلِ .

(الرُّقِيَّةُ)

وَالرُّقِيَّةُ تَكُونُ عَلَى ضُرُوبٍ : فَمِنْهَا الَّذِي يَدَّعِيهِ الْحَوَائِجُ وَالرِّقَاءُ ؛ وَذَلِكَ يُشَبَّهِ بِالَّذِي يَدَّعِي^(٤) نَاسٌ [مِنْ^(٥)] الْعَزَائِمِ عَلَى الشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ فِي تِلْكَ الرُّقِيَّةِ عَزِيمَةٌ لَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ ، فَكَيْفَ الْعَامِرُ^(٦) ؟ ! وَأَنَّ الْعَامِرَ إِذَا سَأَلَ بِهَا أَجَابَ ، فَيَكُونُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى إِخْرَاجَ الْحَيَاتِ مِنَ الصَّخْرِ . فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا فَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَيْنَ خُرُوجِ الْأَفَاعِي الصَّمِّ وَغَيْرِهَا فَرْقٌ ، إِذَا كَانَتِ الْعَزَائِمُ وَالرُّقِيَّةُ

(١) ط : « أَوْ حَدِيثاً مَنْثُوراً » .

(٢) ط : « أَوْ قَصِيداً موزوناً » . وَاَنْظُرِ الْاِسْتِدْرَاكَاتِ .

(٣) كَذَا فِي ط ، هـ . وَالْمَسْأَلَةُ : مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مِنْ سَأَلَ . وَفِي س : « بِمَسْأَلَةٍ » .

(٤) ط فَقَطْ : « يَدَّعِيهِ » .

(٥) زِيَادَةٌ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا الْكَلَامُ .

(٦) الْعَامِرُ : مَا يَسْكُنُ بِيُوتِ النَّاسِ مِنَ الْجِنِّ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ .

والتَّفَثُ ليس شيئاً^(١) يعمل في نفس الحيَّة ، وإنما هو شيءٌ يعملُ في الذِّى
يُخْرِجُ الحيَّةَ . وإذا كان ذلك [كذلك]^(٢) فالسَّمِيعُ والأصمُّ فيه سواءٌ .
وكذلك يقولون في التَّحْيِيبِ والتَّبْغِيزِ ، وفي النُّشْرَةِ^(٣) وحلِّ العُقْدَةِ
وفي التَّعْقِيدِ والتحليل .

(العزيمة)

ويزعمون أن الجنَّ لا تجيبُ صاحبَ العزيمةِ حتى يتوحَّشَ ويأتى
الخراباتِ والبرارىِّ ، ولا يأنسَ بالناسِ ، ويتشَبَّه^(٤) بالجنِّ ، ويغسل
بالماءِ القراح^(٥) ، ويتبخَّرُ باللُّبانِ الذَّكرِ ، ويراعى المشتريَّ^(٦) . فإذا دقَّ
ولطُفَ ، وتوحَّشَ وعزمَ ، أجابته الجنُّ ، وذلك بعدَ أن يكونَ بدنه يصلحُ
هيكلاً لها ، [و^(٧)] حتى يلدُّ دُخوله وادى^(٨) منازلها ، والأيكرة
ملابسته والكونَ فيه . فإنَّ هو ألحَّ عليها بالعزائمِ ، ولم يأخذَ لذلكَ أهبتَه
خبيلته ، وربما قتلته ؛ لأنها تظنُّ أنه متى توحَّشَ لها ، واحتمى ، وتتنظف^(٩)

(١) ه ، س : « شيء » بالرفع ، صوابه في ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها الجنون والمريض .

(٤) في الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شيء .

(٦) هو ذلك الكوكب : سما المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة في السعادة

وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب في س ، ه . وفي ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه في س ، ه .

فقد فرغ . وهى لا تجيب بذلك فقط^(١) ، حتى يكون المعزمُ مشاكلاً لها
في الطباع .

فيزعمون أنّ الحياتِ إنما تُخرَجُ إخراجاً ، وأنّ الذى يخرجها هو الذى
يُخرِجُ سمومها من أجسادِ الناس ، إذا عزمَ عليها^(٢) .

(التعويد)

والرُقِيَّةُ الأخرى بما يُعرفُ من التعويد^(٣) . قال أبو عبيدة :
سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ^(٤) : قَدْ جَاءَكُمْ أَحَدُكُمْ يَسْتَرْقِيكُمْ فَارْقُوهُ . قال :
فَعَوَّذُوهُ بِبَعْضِ الْعَوَائِدِ^(٥) .

والوجه الآخر مشتقٌ من هذا ومحمولٌ عليه ، كالرَّجُلِ يَقُولُ : مَا زَالَ
فُلَانٌ يَرْتَقِي فَلَانًا حَتَّى لَانَ وَأَجَابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهليَّة والإسلام فى رقى الحيات ، وكانوا
يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقوال المتكلمين فى ذلك ،
وبالله التوفيق .

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم
فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ه ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويد » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » ه : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول »
وصوابها ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويد »
جمع تعويد ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح :
جمع معاذة .

و [منهم ^(١)] مَنْ زَعَمَ أَنْ إِخْرَاجَ الْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهَا إِلَى الرَّاقِي ، إِنَّمَا كَانَ لِلْعَزِيمَةِ وَالْإِقْسَامِ عَلَيْهَا ، وَلِأَنَّهَا إِذَا فَهَمَّتْ ذَلِكَ أَجَابَتْ وَلَمْ تَمْتَنِعْ .
وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، لَا يَعْرِفُ قَوْلَهُمْ فِي أَنَّ الْعُمَّارَ هُمُ الَّذِينَ يُجِيبُونَ الْعَزَائِمَ بِإِخْرَاجِ الْحَيَّاتِ مِنْ بُيُوتِهَا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

وَالْحَيَّةُ الذِّكْرُ الرَّقْشَاءُ أَخْرَجَهَا مِنْ جُحْرِهَا أَمَّنَاتُ اللَّهِ وَالْقَسَمُ ^(٢)
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا الْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ ذَاتَ الْإِلَهِ بَدَأَ فِي مَشِيهَا رَزْمٌ ^(٣)
مَنْ خَلْفَهَا حُمَّةٌ لَوْلَا الَّذِي سَمِعَتْ قَدْ كَانَ ثَبَّتَهَا فِي جُحْرِهَا الْحَمَمُ ^(٤)
نَابٌ حَدِيدٌ وَكَفٌّ غَيْرٌ وَادِعَةٌ وَالخَلْقُ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَوْلِ وَالشَّمِيمُ ^(٥)
إِذَا دُعِيَ بِأَسْمَاءٍ أَجَبْنَ لَهَا لِنَافِثٍ يَعْتَدِيهِ اللَّهُ وَالكَلْمُ
لَوْلَا خِيفَةُ رَبِّ كَانَ عَذْبَهَا عَرَجَاءُ تَطْلَعُ ، فِي أَنْبِيَائِهَا عَسَمٌ ^(٦)

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) في اللسان : « ووصف أمية الحية بالحتفة فقال :

والحية الحتفة الرقشاء أخرجها من بيوتها أمينات الله والكلم » .

وهي رواية الخصائص (١ : ١٥٤) ، قال : « أنثوا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث » ،
يعنى الحتفة .

(٣) في اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر
على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى في سعيها رزم » .

(٤) كذا في ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المجاز في « خلفها » كما يقول
القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أي هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم
الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفي س :
« من خلفها حية » ولا توافق ما سيأتي من تعقيب الجاحظ في الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كف ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس
من شرها .

(٦) تطلع : تخرج وتغمر في سيرها . وفي الأصل : « تطلع » ، صوابه في الديوان .
والعسم . بالتحريك : أصل معناه يبس في المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به
هنا الاعوجاج والانعقاد ، وهو من صفة ناب الحية . وفي الأصل والديوان أيضاً :
« غشم » ، وأراها تحريفاً .

وَقَدْ بَلَّتُهُ فِدَاقَتُ بَعْضِ مَصْدَقِهِ فَلَيْسَ فِي سَمْعِهَا ، مِنْ رَهْبَةٍ صَمَمٌ (١)
فَكَيْفَ يَأْمَنُهَا أُمَّ كَيْفَ تَأْلَفُهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ !

يقول : لو أنها أخرجت (٢) حين استُحْلِفتُ بالله لما خرجت ؛ إذ
ليس بينهما قُرْبَى وَلَا رَحِمٌ . ثم ذكر الحمة (٣) والنَّاب .

وقال آخرون : إنما الحية مثل الضبِّ والضبع ، إذا سمع بالله والهدم
والصَّوت خرج ينظر . والحواء إذا دنا من الجحر رفع صوته وصفقَ بيديه ،
وأكثرَ من ذلك ، حتى يخرج الحية ، كما يخرج الضبُّ والضبع .
وقال كثيرٌ :

وَسَوْدَاءٌ مِطْرَاقٌ إِلَىٰ مِنْ الصَّفَا (٤) أُنِيٌّ (٥) إِذَا الْحَاوِي دَنَا فَصَدَّهَا (٦)
والتَّصْدِيَةُ : التَّصْفِيقُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ
الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالمكاء : صوتٌ بين النَّفْخِ وَالصَّفِيرِ .
والتَّصْدِيَةُ : تصفيق اليد باليد .

فكان الحوَّاء يَحْتَالُ بذلك للحية ، ويُوهِمُ مَنْ حَصَرَ أَنَّهُ بِالرُّقِيَّةِ

(١) بلا الشيء يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى
« نائفث » في البيت الذي قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفي الديوان :
« وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ،
بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا »
صوابه في هـ .

(٥) أني ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أني » صوابه في س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ورسمت « فصدًا » بالألف
وهي من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفي ط : « فصدًا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو في ذلك يتكلم ويعرض ، إلا أن ذلك صوت رفيع . وهو لورفع صوته ببيت شعرٍ أو بحرافةٍ ، لكان ذلك والذي يظهر من العزيمة عند الحية سواً . وإنما يذكر الصوت ، كما ينكره الضب وغير ذلك من الوحش .

ثم قال :

كففت يداً عنها وأرضيتُ سمعها من القول حتى صدقت ما وعى لها
وأشعرتها نَفثاً بليغاً ، فلو ترى وقد جعلت أن ترعى النَّفثَ بالها^(١)
تسللتها من حيث أدركها الرقي إلى الكف لما سالت ، وانسلها ٦٣
فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سمعها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفثاً بليغاً فلو ترى *

وقال الأعشى^(٢) :

أبا مسمعٍ إلى امرؤٍ من قبيلةٍ بنى لي عزراً موتها وحياتها
فلا تلمس الأفعى يدك تريدها إذا ما سعت يوماً إليها سقاتها^(٣)

(١) ه : « يالها » .

(٢) النسبة في المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبي ذؤيب الهذلي . وفي معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعاني ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلي - وهو ابن أخت أبي ذؤيب الهذلي يخاطب ممقل بن خويلد الهذلي ، في قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلي . وهذا هو الصواب في النسبة .

(٣) السقاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفي ط ، ه ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه في المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والمملود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية في الجميع ماعدا معجم المرزبانى :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الْحَيَّةَ فِي أَقْطَارِهِ (١) - فَإِنَّ أَبِي شَمِّ سَفَاً وَجَارِهِ (٢)
والسفا : التراب اليابس بين التربين . يقال سفاً وسفاة .

(تمويه الحواء والراق)

والحواء [و (٣)] الرّاقى يُرى (٤) النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا رَأَى جُحْرًا (٥)
لم يُخَفَّ عليه : أجمر حية هو أم جُحر شيء غيره ، فإن كان جُحر حية
لم يخف عليه أهي فيه أم لا . ثمَّ إِذَا رَقَى وَعَزَمَ فامتنعت من الخُروج ،
وخاف أن تكون (٦) أَفْعَى صَمَاءَ لَا تَسْمَعُ ، وَإِذَا أَرَاغَهَا (٧) لِيَأْخُذَهَا فَأَخْطَأُ
لم يأمن من أن تنقره نقرَةً (٨) لَا يُفْلِحُ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى (٩)
بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخفى عليه : أهي أفعى أم حية من سائر
الحيات . فلذلك قال :

فلا تلمس الأنفى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاها

لكن في مجموعة المعاني : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأنفى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحي التي
يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحارى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها ينتم الكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، هـ : « يرقى » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى ما فى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت ما فى هـ .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرى بمعنى يختبر . ومعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون
به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحية في أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفي)

وزعم لى بعضُ الحوائين أنَّ للحيات نبتاً وسهكاً ، وأن ريحَ الأفي معروفةٌ . وليس شئٌ أعلقَ ، ولا أعتقَ (١) ، ولا أسرعَ أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو ترابٍ ، وَأَنَّهُ (٢) إذا شمَّ من طينة الجحر لم يخفَ عليه . وقال : اعتبرْ ذلك بهذا الطين السداني (٣) والرائطي (٤) إذا ألتى في الزعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطيب ، فإنه متى وُضع إلى جنب روثَةٍ أو عذرةٍ ، قبلَ ذلك الجسم .

والرقاء يومهم النَّاسَ إذا دَخَلَ دُورهم لاستخراج الحياتِ أَنَّهُ يعرف أماكنها برائحتها ، فإذلك يأخذُ قصبَةً وَيَشعَبُ رَأْسَهَا ، ثم يطعن بها في سقف البيت والزوايا ، ثم يشمها ويقول مرة : فيها حيات ؛ ويقول مرَّةً : بلى ، فيها حيات ، على قدر الطمع في القوم ، وفي عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وَأَمْرُ الصَّوتِ عَجيبٌ ، وتصرفه في الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

(١) أى أسرع . ط : « أعتق » س ، ه : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، ه : « فإنه » والصواب في س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيراني » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب

المعتمد في الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطي : نسبة إلى راهط ، وهو موضع في غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة

المشهورة : « مرج راهط » .

ما يقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِطَ عليها^(١) السُرُورُ فتقلُّ حتى ترقُص ، وحتى رُبَّمَا رمى الرَّجُلُ بنفسه من حائق^(٢) . وذلك مثلُ هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يُكْمَد . ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يُغشى على صاحبه ، كنعو هذه الأصواتِ الشجية ، والقراءات الملحنة^(٣) . وليس يعترهم ذلك من قبيل المعاني ؛ لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى ما سرجويه^(٤) من قراءة أبي الخوخ ، فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدقُ به ؟ قال : إنما أبكاني الشجا !

وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال .

(١) ط : « عليه » صوابه في س ، ه .

(٢) الحائق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة في المعارف ٢٣٢ بحث جيد في تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون في القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فمنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من اللسريالية إلى العربية وهو الذي فسر كناش القمص أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقاليتين .

وكلمة : « بكى » هي في ط ، س : « بكأى » . وفي ه : « بكا »

(أثر الأصوات في الحيوان)

والدَّوَابُّ تَصْرُ آذَانَهَا^(١) إذا غَنَّى المَكَارِي . والإِبِلُ تَصْرُ آذَانَهَا إذا حُدَا في آثارها الحَادِي ، وتَزِدَادُ نَشَاطًا ، وتَزِيدُ فِي مَشِيهَا^(٢) . وَيَجْمَعُ^(٣) بِهَا الصَّيَّادُونَ السَّمَكَ فِي حِظَائِرِهِمُ الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا لَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بَعْضِيَّ مَعَهُمْ ، وَيُعْطِطُونَ^(٤) ، فَتَقْبَلُ أَجْنَاسُ السَّمَكِ شَاخِصَةَ الْأَبْصَارِ مَصْغِبَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ فِي الْحَظِيرَةِ . وَيُضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا . وَيَضْرَبُ بِالطَّسَّاسِ لِلأُسْدِ وَقَدْ أَقْبَلَتْ ، فَتَرْوِعُهَا تِلْكَ الْأَصْوَاتِ .

وقال صاحب المنطق : الأيائلُ تُصَادُ بِالصَّفِيرِ والغناء . وهي لا تنامُ مادامت تسمعُ ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفها فإن رأوها مسترخية الآذانِ وثبَّوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل .

والصَّفِيرُ تُسْقَى بِهِ الدَّوَابُّ الْمَاءَ ، وَتَنْفَرُ بِهِ الطَّيْرُ عَنِ الْبُذُورِ .

وزعم صاحبُ المنطقِ أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ إذا وافقَ سِبَاحَةَ السَّمَكِ

(١) صرت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأتيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ، لا يجوز في فعله إلا التذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذي آمننت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العططة : تتابع الأصوات واختلاطها .

في أعلى الماء رَمَتْ ببيضها^(١) قبل انتهاء الأجل . [وربما تمّ الأجل^(٢)]
فَتَسْمَعُ^(٣) الرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، فَيَتَعَصَّلُ^(٤) عليها أيّاماً بعد الوقت .

(قول لأبي الوجيه العسكلي)

وقال أبو الوجيه العسكليُّ : أَحِبُّ السَّحَابَةَ الْخَرَسَاءَ وَلَا أُحِبُّهَا !
فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرسُ حتى تمتلئ ماءً وتصبَّ صبباً
كثيراً ، ويكون غيثاً طبقاً^(٥) . وفي ذلك الحياء^(٦) . إلا أن الكمأة لا تكون
على قدر الغيث . ذهب إلى أن للرَّعْدِ في الكمأة عملاً .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد^(٧) : سألت كسرى عن الكمأة فقيل له : لانكون
بالمطر دون الرَّعْدِ ، ولا بالرَّعْدِ دون المطر . قال : فقال كسرى : رشوا بالماء
واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح^(٨) . وقد علم جعفر أن
كسرى لا يجهد هذا المقدار .

(أثر الصوت في الحية)

فالحية واحدة من جميع أجناس الحيوان الذي للصوت في طبعه عمل .

(١) ط . هـ : « ببيضها » صوابه ، في س .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) في الأصل : « فيسمع » .

(٤) يتعصّل : يعسر غروجه . وفي الأصل : « فيتعطل » ، تحريف .

(٥) طبقاً : أي مالنا للأرض مغشياً لها .

(٦) الحياء ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .

(٧) تقدمت ترجمته في (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التمليح : أن يأتي بلفظ مليح . وأصل ذلك في الشاعر ، وقد جملة هنا للمتحدث

ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذا الموضع ،
وصوابه في س ، هـ .

فاذا دنا الحوَاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوته حتى يزيد^(١) ، خرج إليه كلُّ شئء كان في الجحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحية خرجت من جهة الطاعة وخوف المعصية ، وأنَّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعترم مُطاعٌ في العَمَّار . والعامَّة أسرعُ شئء إلى التصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الروح ، وفي^(٢)] أنَّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمان الأعمى^(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاري . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُستجِبي^(٤) بشارِ الأعمى ، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذي يقول :

٦٥ إِنَّ فِي ذَا الْجِسْمِ^(٥) مُعْتَبَرًا لِيَطْلُوبَ الْعِلْمِ مُقْتَدِسِهِ

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتي .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدي في نسكت الهميان ١٦٠ فقد جعلوا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتي . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمي » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى ممن قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س :

« مستحى » صوابها ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها للشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الهمر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونسكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « متبراً » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ يَنْطِقُهُ عِرْفُهُ وَالصَّوْتُ مِنْ نَفْسِهِ (١)
 لَا تَعْظُ إِلَّا اللَّيْبَ فَمَا يُعْدَلُ الضَّلْعُ عَلَى قَوْسِهِ
 رَبٌّ مَعْرُوسٌ يَعَاشُ بِهِ فَقَدْتَهُ (٢) كَفُّ مُغْتَرِسِهِ
 وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَأْمَةٌ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

(قول في شعر لأمية بن أبي الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيءٍ ينطق ، وكان ذلك
 والحجارةُ رَطْبَةً .

قال أمية :

وَإِذْ هُمْ لَا لِبُوسٍ لَهُمْ تَقْيِيمُهُمْ وَإِذْ صَمُّ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابٌ (٣)
 بَأْيَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدِّيَكِ الْغَرَابُ
 وَأُرْسِلَتِ الْحِمَامَةُ بَعْدَ سَبْعِ تَدَلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
 تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَعَانِيَةٌ بِهَا الْمَاءِ الْعِيَابُ (٤)
 فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفِ عَلَيْهَا النَّاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ (٥)

(١) عرفه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، ه ونكت الهميان : « عرفه » صوابه في س والمعجم .

(٢) في البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار : « عدته » . ورواية السكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهب به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهي الحجارة .

(٤) كذا في ط ، ه . وفي س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق في (٢ : ٣٢١) .

(٥) في الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح في (٢ : =

فَلَمَّا فَرَّسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عَقِدَ السَّخَابُ (١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّثَهُ بَنِيهَا وَإِنْ تَقَتَّلَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْسِلَابٌ

فذكر رطوبة الحجارة ، وأن كل شيء قد كان ينطق . ثم خبر عن
منادمة الديك الغراب ، واشترط الحمامة على نوح ، وغير ذلك مما يدل على
ما قلنا . ثم ذكر الحية ، وشأن إبليس وشأنها ، فقال :

كَذَى الْأَفْعَى تَرَبَّهَ لَدَيْهِ وَذَى الْجَنَى أَرْسَلَهَا تَسَابُ (٢)
فَلَا رَبُّ الْبَرِيَّةِ يَأْمَنُهَا وَلَا الْجَنَى أَصْبَحَ يُسْتَتَابُ

فإن قلت : إن أمية كان أعرابياً ، وكان بدوياً (٣) ، وهذا من خرافات
أعراب الجاهلية ، وزعمت أن أمية (٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب - فإن
سأشيدك لعدي بن زيد ، وكان نصرانياً ديانياً (٥) ، وترجماناً ، وصاحب
كتب ، وكان من ذهابة أهل ذلك الدهر .

قال عدى بن زيد ، يذكر شأن آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف
دخل في الحية ، وأن الحية كانت في صورة جهل فسخرها الله عقوبة لها ،
حين طاوعت عدوه على وليه . فقال :

(= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أي على القطف . وأما ضمير
« عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه في (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : ربها . والتربيب : التربية . وفي الأصل : « تربها » محرف . وانظر
لرواية الشطر الثاني ما سبق في (٢ : ٣٢٢) .

(٣) في الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفي الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قضى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ (١) وكان آخرها أن صَوَّرَ الرَّجُلَا
دعاه آدم صوتاً فاستجاب له

٦٦

بِنَفْخَةِ الرُّوحِ فِي الجِسمِ الذِي جَبَلَا (٢)
نَمَّتْ أَوْرَثُهُ الفِرْدَوْسَ يَعْمُرُهَا وَزَوْجُهُ صَنَعَتْ مِنْ ضِلْعِهِ جَعَلَا
لَمْ يَنْهَهُ رَبُّهُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنْ شَجَرِ طَيْبٍ: أَنْ شَمَّ أَوْ أَكَلَا (٣)
فَكَانَتْ الْحَيَّةُ الرَّقِشَاءُ إِذْ خُلِقَتْ كَمَا تَرَى نَاقَةَ فِي الْخَلْقِ أَوْ جَمَلَا
فَعَمَدَا لِتِي عَنْ أَكْلِهَا نَهِيَا بِأَمْرِ حَوَاءَ لَمْ تَأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كِلَاهِمَا خَاطَ إِذْ بُزَا لِبُوسَهُمَا مِنْ وَرَقِ التِّينِ ثُوبَا لَمْ يَكُنْ غَزِيَلَا (٤)
فَلَاطَهَا اللهُ إِذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طُولَ اللَّيَالِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا أَجَلَا (٥)
تَمَشَى عَلَى بَطْنِهَا فِي الدَّهْرِ مَا عَمِرَتْ وَالتُّرْبُ تَأْكُلُهُ حَزْنَاوِ إِن سَهَلَا (٦)

فَاتَعَبَا أَبَوَانَا فِي حَيَاتِهِمَا

وَأَوْجَدَا الْجُوعَ وَالْأَوْصَابَ وَالْعِلَلَا (٧)

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه في ه .

(٢) ط : « فاستجاب له » ، تصحيحه من س ، ه . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شهما وأكلها .

(٤) بز لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفي الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفي ط ، ه : « برا » وفي س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليقة الله : آدم : « وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لاتموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقی زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلوني البراغيث » في « فاتعبا أبوانا » . ط فقط :

« فأبقيا » محرفة . وفي س ، ه : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْنَى بِحِكْمَتِهِ أَحْلَامَنَا عَلَلًا^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَةٍ إِلَّا لِيَجْعَلَنَا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ أَرْبَابًا كَمَا فَعَلَا^(٢)

(عقاب حواء وآدم والحية)

فَرَوَوْا أَنَّ كَعَبَ الْأَحْبَارِ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ حَوَاءَ عِنْدَ
ذَلِكَ عُوْقِبَتْ بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ آدَمَ لَمَّا أَطَاعَ حَوَاءَ وَعَصَى رَبَّهُ عُوْقِبَ
بِعَشْرِ خِصَالٍ ، وَأَنَّ الْحَيَّةَ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا إِبْلِيسُ عُوْقِبَتْ أَيْضًا بِعَشْرِ
خِصَالٍ^(٣) .

وَأَوَّلُ خِصَالِ حَوَاءَ الَّتِي عُوْقِبَتْ بِهَا وَجَعَ الْاِفْتِضَاضِ ، ثُمَّ الْطَلْقُ ، ثُمَّ
النَّزْعُ^(٤) ثُمَّ بَقْنَاعُ الرَّأْسِ^(٥) ، وَمَا يَصِيبُ الْوَحْيِ^(٦) وَالنَّفْسَاءُ مِنَ الْمَكْرُوهِ ،
وَالْقَضْرُ فِي الْبَيْوتِ^(٧) ، وَالْحِيضُ ، وَأَنَّ الرَّجَالَ هُمُ الْقَوَامُونَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَنَّ
تَكُونَ عِنْدَ الْجَمَاعِ هِيَ الْأَسْفَلُ .

(١) الأحلام ، العقول . وعلا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى :

علا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء في اللسان : « الرب يطلق في اللغة على
المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله
عز وجل . وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء
في الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر في غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما في التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر
العكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ - ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات
كعب في ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليها .

(٦) وحمت المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحى من وحام ووحاى . ط ،
س : « الوحى » هـ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن في البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل
الخامسة منهن اثنتين .

وأما خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضلوعه (١) ،
وبما جعله الله يخاف من الهوامِّ والسَّباع ، ونسكد العيش ، وبتوقع الموت ،
وبسكنى الأرض ، وبالعرى من ثياب الجنة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة
التحفظ من إبليس ، وبالحاسبة بالطرف (٢) ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .
وأما الحية فإنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطع أرجلها ، والمشى على
بطنها ، وبإعراء جلدها - حتى يقال : « أعرى من حية » وبشق لسانها -
ولذلك كلما خافت من القتل أخرجت لسانها لتريمهم العقوبة - وبما ألقى عليها
من عداوة النَّاس ، وبمخافة الناس ، ويجعله لها أول ملعون من اللحم والدم ،
وبالذى يُنسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأما الظلم فقولهم : « أظلم من حية » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرَّمْلِ
على الطَّرِيق وتدخلُ بعض جسدِها فى الرَّمْلِ ، فتظهر كأنها طَبِقُ خَيْرُ رَانَ ، ٦٧
ومنها حَيَّاتٌ بيضٌ قِصَارٌ تَجْمَعُ بين أطرافها على طَرُقِ النَّاسِ ، وتستديرُ كأنها
طَوَّقٌ [أو (٣)] خلدخالٌ ، أو سوارٌ ذهبٌ أو فضةٌ - ولما تلقى على نفسها من
السُّبَاتِ (٤) ، ولما تَظْهَرُ من الهَرَبِ من النَّاسِ . وكلَّ ذلك إنما تغرُّهم
وتصطادهم بتلك الحيلة ، فذلك هو كذبها .

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد الحاسبة على ما تجنيه العين من جنائبات النظر . وفى س :

« وبالحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعوقبت الأرض حين شربت دم ابن آدم^(١) بعشر خصال :
أنبت فيها الشوك ، وصير فيها الفيافي ، وخرق فيها البحار ، وملح أكثر
مائها ، وخلق فيها الهوام والسباع ، وجعلها قراراً لإبليس والعاصين ،
وجعل جهنم فيها ، وجعلها لا تربى ثمرتها إلا في الحر ، وهي تعذب بهم إلى
يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخفاف ، والحوافر ، والأظلاف والأقدام^(٢) ،
وجعلها مالحة الطعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دم ابن آدم دم أحد من ولده ، ولا من غير ولده .
قال : وكذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي مریم الحنفى^(٣) :
« لانا أشد لك بغضاً من الأرض للدم ! » .

وزعم صاحب المنطق أن الأرض لا تشرب الدم ، إلا يسيراً من دماء
الإبل خاصة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادوا أن يمتحنوا جودة العسل من رداءته ، قَطُرُوا على الأرض

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة
المائدة ٢٧ - ٣١ .

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك
فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقيّة الحديث فيه : « قال :
أفتمننى لذلك حقاً ؟ قال لا ! قال : لاضرير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةٌ . فإذا استدارت (١) كأنها قطعة زنبق ، ولم تأخذ من الأرض ولم تُعْطِهَا (٢) فهو المادى الخالص الذهبى . فإن كان فيه غشوشة (٣) نفشت القطرة على [قدر] ما فيها ، وأخذت من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدرُوا على اللحم الغريض (٤) دَفَنُوهُ وغرَّقُوهُ فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجدَّوهُ غَضًّا طريًّا ؛ لأنَّه ذهبى الطَّبَاع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شيء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه * وكذلك الذهب إذا كان مدفوناً .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديث ، وهذه الأشعار ، تدلُّ على أنَّهم قد كانوا يقولون :
إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ رَطْبَةً لَيْتَةً ، وَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يَعْرِفُ وَيَنْطِقُ ، وَإِنَّ
الْأَشْجَارَ وَالنَّخْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا شَوْكٌ * وقد قال العجاج ، أو رؤبه (٥) :
أَوْ عَمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطْحَلِ وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أن كثيرًا مما يُحكى عن كعب أنه قال : مكتوبٌ فى النوراة
أنَّه إنَّما قال : « نجدُ فى الكتب » ، وهو إنَّما يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه
من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل (٦)] كتب إشعياء (٧) [وغيره (٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريض : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم .

كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١) :

١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلاً ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاباً .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتاباً واحداً كما مر =

والذين يروون عنه في صفة عُمرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباه ذلك ، فإن كانوا صدقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ (١) فما كان وجهُ كلامه عندنا إلا على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحية)

وفي أن الحية قد كانت تسمع وتنتطق ، يقول النَّابِغَةُ (٢) في المثل الذى ضربَهُ (٣) ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يجبُ سَراحنا فيعذرنا من مرة المتناصِرَه (٤)
ليهنِكُم (٥) أن قد نفيم (٦) ييوتنا محلَّ عبيدان المحلِّ باقره (٧)

= في التنبيه السابق : فن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

- (١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .
(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الديميرى في نسبة الشعر إلى النابغة الجعدى .
(٣) انظر قصة الشعر في المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والدميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميدانى (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضه العرب على السنة الحيوان .
(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا في هـ . وفي س : « ليهنكو » وهما كتابتان جائزتان ، وفي ط : « ليهنأكم » ، وفي خسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأكم » وهذه لغة غريبة .

- (٦) في الأصل : « لقيم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .
(٧) في البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلُّ باقره » بكسر اللام من المحلِّه ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإني للاق من ذوى الضغن نكبة بلا عثرة والنفس لا بد عاثره (١)
 كما لقيت ذات الصفا من حليفها
 وما انفسكت الأمثال في الناس سائرة (٢)
 فقالت له : أدعوك للعقل وافرأ ولا تغشيتي منك للظلم بادرة (٣)
 فواثمها بالله حتى تراضيا فكانت تديه الجزع خفيا وظاهره (٤)
 فلما توفى العقل إلا أقله وجارت به نفس عن الخير جاره (٥)
 تفكر أني يجمع الله شمله (٦)
 فظل على فأس يحد غرابها (٧)
 فلما وقاها الله ضربة فأسه والله عين لا تغمض ساهره (٨)
 فقال : تعالى نجعل الله بيدنا على العقل حتى تنجزى لي آخره (٩)

- (١) الخزانة : « فإني لألق من ذوى الضغن منهم » .
 (٢) ذات الصفا : الحية التي كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن في الصفا ،
 وهي الحجارة الملس الصلاب .
 (٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .
 (٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز
 فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان :
 « وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه في يوم ولا تعطيه في الثاني . والظاهرة
 أصله من ظم الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .
 (٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .
 (٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أني يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية .
 ورواية الشعراء : « تذكر أني يجعل الله فرصة » .
 (٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميداني والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »
 (٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز في الخزانة والميسداني والديوان :
 « مذكرة من المماول بآره » .
 (٩) ط : « ناظره » . ورواية الميداني : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .
 (١٠) قال الحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزىها . س ، هـ : =

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ ، أَفْعَلُ ؛ إِنَّنِي رَأَيْتُكَ خَتَّارًا يَمِينِكَ فَاجِرُهُ (١)
أَبَى لَكَ قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُوَاجِهًا وَضَرْبَةً فَأَسِ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ (٢)
فَذَهَبَ النَّابِغَةُ فِي الْحَيَاتِ مَذَهَبَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَعَدَى
ابْنَ زَيْدٍ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(الصخور والأشجار في ماضى الزمان)

وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ :

فَكَانَ رَطِيبًا يَوْمَ ذَلِكَ صَخْرُهَا وَكَانَ خَضِيدًا (٣) طَلَحُهَا وَسَيَّالُهَا
فَزَعَمَ كَمَا تَرَى أَنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لَيْنَةً ، وَأَنَّ الْأَشْجَارَ : الطَّلَحَ وَالسَّيَّالَ
كَانَتْ خَضِيدًا (٤) لَا شَوْكَ عَلَيْهَا .

وَزَعَمَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ وَأَصْحَابِ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ الشُّوكَ إِنَّمَا اعْتَرَاهَا فِي صَبِيحَةِ
الْيَوْمِ الَّذِي زَعَمَتِ النَّصَّارَى فِيهِ أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ .

= « فَقَالَتْ لَعَلِّي يَجْعَلُ » صَوَابُهُ ، فِي طَوْلِ الدِّيَوَانِ وَالْخَزَانَةِ وَالْمِيدَانِ . وَيُرْوَى :
« عَلَى الْمَالِ » وَ « عَلَى مَالِنَا » .

(١) يَمِينُ اللَّهِ : قَسَمَ مِنَ الْإِيمَانِ . وَ « أَفْعَلُ » أَيْ : لَا أَفْعَلُ . وَحُذِفَ « لَا » بَعْدَ
الْقَسَمِ كَثِيرًا فِي كَلَامِهِمْ . وَفِي الْكِتَابِ : « تَاللَّهِ تَفْتَوُ تَذَكَّرُ يَوْسُفَ » أَيْ لَا تَفْتَأُ .
وَإِنظُرْ لِهَذَا الْبَحْثِ أَمَالِي الْمُرْتَضَى (٣ : ١٣٧) وَالْمَخْصَصَ (١٣ : ١١٥)
وَالْأَضْدَادَ ١٤٨ . وَالْخِتَارَ : الْغَدَارُ .

(٢) تَقُولُ : أَبِي لَكَ أَنْ تَكُونَ وَفِيَا مَا أَسْلَفَ إِلَى أَخْوَكِ الَّذِي قَبْرُهُ مُوَاجِهَةٌ لَنَا
وَكَانَ أَخُوهُ فِيمَا زَعَمُوا - ضَرْبَهَا بِفَأْسٍ ، فَانْتَقَمَتْ مِنْهُ بِأَنْ قَتَلْتَهُ . وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ
وَالْخَزَانَةِ وَالشُّعْرَاءِ : « أَبِي لِي » أَيْ أَبِي لِي أَنْ أَخْدَعُ أَوْ أَنْ أَضْمَنُ وَفَاءَكَ
وَصَدَقَ التَّمَاهِدُ وَالتَّوَاتُوقُ . وَالضَّرْبَةُ الْفَاقِرَةُ : الْقَطَاعَةُ ، كَأَنَّهَا تَقْطَعُ الْفَقَارَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَضِيدًا » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . وَإِنظُرْ تَعْقِيبَ الْجَاهِظِ .

(٤) خَضِيدٌ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ خَضَدَ الشُّوكَ : أَيْ قَطَعَهُ . وَفِي الْأَصْلِ .
« خَضِيدَةٌ » وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَذَكَرَ مَعَهُ الْمَوْصُوفُ اسْتَوَى فِيهِ الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثُ .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ - حَدَّثَنَا بِذَلِكَ [عنه (١)] أبو عقيل السَّوَّاقُ ، وكان أحدَ روايته والحاملين عنه - إِنَّ الصُّخُورَ كَانَتْ لِيِنَّةً ، وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْرَتْ (٢) فِي تِلْكَ الصُّخْرَةِ ، كَتَأْثِيرَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .
٦٩ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَقَّى تِلْكَ الْآثَارَ ، وَعَفَى بِهَا ، وَمَسَحَهَا وَمَحَاها ، وَتَرَكَ أَثَرَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْحِجَّةُ إِنَّمَا هِيَ فِي إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ وَتَحْوِي مَا سِوَاهُ مِنْ آثَارِ أَقْدَامِ النَّاسِ . لَيْسَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَطِئَ عَلَى صَخْرَةٍ خَلَقَاءَ (٣) يَابِسَةً فَأَثَرَ فِيهَا .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وَأَنَا أَقُولُ عَلَى تَثْبِيْتِ ذَلِكَ بِالْحِجَّةِ (٤) . وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَذَرِ وَالتَّكْلِيفِ وَانْتِحَالِ مَا لَا أَقُومُ بِهِ . أَقُولُ : إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهْلَكَتِ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَلَوْلَا مَكَانُ الْمُعْتَزِلَةِ لَهْلَكَتِ الْعَوَامُّ مِنْ جَمِيعِ النَّحْلِ . فَإِنْ لَمْ أَقُلْ : وَلَوْلَا أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْرَاهِيمُ لَهْلَكَتِ الْعَوَامُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَنهَجَ لَهُمْ سُبُلًا ، وَفَتَقَ لَهُمْ أُمُورًا ، وَاخْتَصَرَ لَهُمْ أَبْوَابًا ظَهَرَتْ فِيهَا الْمُنْفَعَةُ ، وَشَمَلَتْهُمُ بِهَا النِّعْمَةُ .

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وَإِنَّ قَدَمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْرَتْ » ، وَيَكُونُ صَوَابَ مَا فِي ط :

« وَإِنَّ قَدَمِي » لِلخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الْحِجَّةُ » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعمُ أن الناس يحتاجون بَدِيًّا^(١) إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ما ينبغي أن يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمره ألا يعطى نفسه فوقَ حقها ، وألا يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفّظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلا بالتحفظَ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تهمة السَّابِقِ إلى القلب - والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض في وقت إكبابي^(٢) على هذا الكتاب ، وإطالتي الكلام ، وإطالتي في القول ، بيتُ ابن هرمة ، حيث يقول :
إنَّ الحديثَ تغر القومَ خلوته حتى يلجَّ بهم عيٌّ وإكثارُ^(٣)
وقولهم في المثل : « كلُّ مُجْرٍ في الخلاءِ يُسرُّ »^(٤) .

(١) بديا : أى بدءا . وفي الأصل : « ندبا » .

(٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبابى » .

(٣) خلوته : أى أن يختل ببعضهم ببعض لمداورته وتبادلته . وفي الأصل : « حلوته » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه في الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق في الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميداني (٢ : ٧٣) وأمالي القتالي (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه في المكان الخالي لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كلُّ مجرٍ في الخلاءِ مسر » ، يجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر في عكسه : =

وأنا أعودُ بالله أن أُعزَّ من نفسى ، عند غيبةِ خصمى ، وتصفحِ العلماء
لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتنةَ اللسانِ والقلمِ ، أشدَّ من فِتنةِ النساءِ ، والحرصِ
على المالِ .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادةِ فيه ،
أولُ ذلك العلةُ الشديدةُ ، والثانيةُ قلةُ الأعوانِ ، والثالثةُ طولُ الكتابِ ،
والرابعةُ أنى لو تكلفتُ كتاباً فى طولهِ ، وعددِ ألفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من
كتبِ العرَّضِ والجوهرِ ، والطَّفرةِ (١) ، والتولدِ (٢) ، والمداخلةِ (٣) ، والغرائزِ (٤)

= وبلدة يغضى على الثعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت
أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق
فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ،
وهى قوله : إن المسار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أما كن لم
يقطعها هذا المسار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك
أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ - ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س
٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيما رى سبها فجرح به إنسانا ، أو
غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت
طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حى ، فهو فعل الإنسان والحى .
واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة :
هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام
فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ - ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق
١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه نما
سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات
والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل
(٥ : ٦٠ - ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطباع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للبحر ، والإسكار =

والتماس^(١) - لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع فراغاً ؛ لأنني كنت لأفرغ فيه إلى تَلْقُطِ الأشعار^(٢) ، وتتبُّعِ الأمثال ، واستخراج الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرُّقِ هذه الأمور في الكتب ، وتباعُدِ ما بين الأشكال . فإنَّ وجدتَ فيه خلاً من اضطرابِ لفظٍ ، ومن سوءِ تأليفٍ ، أو من تقطيعِ نظامٍ^(٣) ، ومن وقوعِ الشيء في غير موضعه^(٤) - فلا تسكِّرْ ، بعدَ أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي .

٧٠

ولولا ما أرجو من عونِ الله على إتمامه ؛ إذ كنتُ لم أتمسَّ به إلاَّ إفهامك مواقعَ الحججِ لله ، وتصاريِفَ تدبيره ، وانذى أودعَ أصنافَ خلقه من أصنافِ حكمته - كما تعرَّضتُ لهذا المكره .

فإنَّ نظرتَ في هذا الكتابِ فانظُرْ فيه نظرٌ من يلمس لصاحبه المخارجَ ، ولا يذهبُ مذهبَ التعتُّبِ ، ومذهبَ من إذا رأى خيراً كتّمه ، وإذا رأى شراً أذاعه .

وليُعلمَ من فَعَلَ ذلكَ أنه قد تعرَّضَ لبابٍ إن أخذَ بمثله ، وتعرَّضَ له

= للخرم . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (٥ : ١٤ - ١٥) .

وللجاحظ كلام طويل فيها في هذا الجزء ٣١٣ - ٣١٩ ساسي .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة في الفصل (٥ : ٦١) . وانظر تماس العرش ومالكه في الفرق بين الفرق ٢٠٤ ط ٥ هـ : « النحاس » س : « النحاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفرغ إليه : أي ألقأ . وفي الأصل : « أفرغ » محرفة . والتلقط : التقاط الشيء من هنا وهناك . وفي الأصل : « التلطف » ، وليس صواباً .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما في هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . الخ ، وأثبت ما في ط ، س .

في قوله وكتبه ، أن ليس ذلك إلا من سبيل العقوبة ، والأخذ منه بالظلمة .
فلينظر فيه على مثال ما أدب الله به ، وعرف كيف يكون النظر والتفكير
والاعتبار والتعليم ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجميلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أن تكون إذا مررتَ بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة
والجرجسة^(١) ، ألا تحقر تلك الآية ، وتصغر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرها
عندك ، ولقلة معرفتهما عند معرفتك^(٢) ، ولصغر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كن عند الذي يظهر لك من تلك الحكم ، [و^(٣)] من ذلك التدبير ،
كما قال الله عز وجل : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَوْحَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثم قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا
بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثم قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ
وَطَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامر بن عبد قيس^(٤) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت
في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان » .

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصفار . ط : « الجرجسة » ، صوابه
في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جازئ في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٢٨٢) .
وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العبدي . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتذبه عند النظر)

وأنا أعيد نفسي بالله أن أقول إلا له ، وأعيدك بالله أن تسمع إلا له .
وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فأحذر من أن تكون منهم ، ومَنْ
يَنْظُرُ إِلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهَا ، وَمَنْ (١) يَبْصُرُهَا بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَاسْتِمَاعِ
الْآذَانِ ؛ وَلَكِنْ بِالتَّوَقُّفِ مِنَ الْقَلْبِ ، وَالتَّثَبُّتِ مِنَ الْعَقْلِ ، وَبِتَحْفِيفِ
وَتَمَكِينِهِ مِنَ الْيَقِينِ ، وَالْحِجَّةِ الظَّاهِرَةِ . وَلَا يَرَاهَا مِنْ يُعْرِضُ عَنْهَا . وَقَدْ
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .
وَقَالَ : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو
كانوا صمًّا بُكْمًا وكانوا هم لا يعقلون ، لما عيّرهم بذلك ، كما لم يعيّر مَنْ خَلَقَهُ
مَعْتَوْهَا كَيْفَ لَمْ يَعْقِلْ ، وَمَنْ خَلَقَهُ أَعْمَى كَيْفَ لَمْ يَبْصُرْ ، وَكَمَا لَمْ يَلْمُ (٢)
الدَّوَابَّ ، وَلَمْ يَعَابِقِ السَّبَاعَ . وَلَسَكِنَّهُ سَمِيَ الْبَصِيرَ الْمُتَعَامَى أَعْمَى ، وَالسَّمِيعَ
الْمُتَصَامِمَ (٣) أَصَمًّا ، وَالْعَاقِلَ الْمُتَجَاهِلَ جَاهِلًا .

٧١

وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِيْبٍ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة .
انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبياتاء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ،
من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية . والخبر في البيان ١ : ٨٣ .

(١) في الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، ه : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانظُرْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، وانظرْ من الجهة التي دَلَّكَ مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوَّة .
قال تعالى : ﴿ خذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ (١) .

(عود إلى الحيات)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى ما في الحيات من العِلْمِ والعِبْرَةِ ، والفائدةِ والحِكْمَةِ ؛ ولذلك قال أبو ذرُّ الغِفَارِيُّ : « لقد تَرَكَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما يمرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدنا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القولُ مُصَحِّحٌ عن أبي ذر ، ولم يَخْصَّ أبو ذرُّ خَشَاشَ الطَّيْرِ من بُغَاثِهَا وأَحْرَارِهَا ، ولا ما يَدْخُلُ في بابَةِ (٢) الهَمْجِ . وقد أُرِينَاكَ من تَحْقِيقِ قولِهِ طَرَفًا . ولعلكَ إن جَمَعْتَ نَظْرَكَ إلى نَظْرِنَا ، أنْ (٣) تَسْتَمَّ هذا البابُ ، فقد قال الشاعرُ :
خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي رَأْيٍ وَاحِدٍ (٤) أَشِيرًا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ
وقال الأحنَفُ : « ما مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، حَتَّى مِنْ الأُمَّةِ الوَرْهَاءِ والعَبْدِ الأَوْرَةِ (٥) » .

(أنواع الحيات)

والحياتُ مُخْتَلِفَاتُ الجِهَاتِ جِدًّا ، وهى من الأُمَمِ التي يَكْثُرُ اِخْتِلافُ أجناسِها في الضَّرَرِ والسَّمِّ ، وفي الصُّغْرِ والعِظَمِ ، وفي التَّعَرُّضِ للنَّاسِ

- (١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبني إسرائيل . بقوة : بجِدِّ وعزيمة .
اذكروا ما فيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أو تفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب » ط : « باب » ، وأثبت تصحيح ما فى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأورده : الأحمق ، والأثنى ورهء .

وفي الحرب منهم . فمنها مالا يؤذى إلا أن يكون الناس قد آذوها مرة .
وأما الأسود فإنه يحقيد ويطلب ، ويكمن^(١) في المتاع حتى يدرك بطائنته .
وله زمان يقتل فيه كل شيء نهشه .

وأما الأفعى فليس ذلك عندها ، ولكنها تظهر في الصيف مع أوّل
الليل ، إذا سكن وهج الرمل وظاهر الأرض ؛ فتأق قارعة الطريق حتى
تستدير وتطحن^(٢) كأنها رحي ، ثم تلصق بدنها^(٣) بالأرض وتُشخصُ
رأسها ، لئلا يدركها السبات ؛ معترضة ، لئلا يطأها إنسان أو دابة فتنهشه .
كأنها تريد ألا تنهش إلا بأن يتعرض^(٤) لها ، وهي قد تعرضت
لنهشه باعتراضها في الطريق وتناومها عليه ! وهي من الحيات التي ترصد^(٥)
وتوصف بذلك . قال معقل بن خويلد^(٦) :

أبا معقلٍ لا توطئناكم بغاضتي

رئوس الأفاعي في مراصيدها العرم^(٧)

- (١) كن يكن ، من بابي نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .
(٢) في الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهري : طحنت الأفعى : ترحت
واستدارت ، فهي مطحان . قال الشاعر :
نجرشاه مطحان كان فحيحها إذا فزعت ماء هريق على حجر
(٣) ط : « بذنها » ، والوجه ما أثبت من س ، ه .
(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، ه .
(٥) ترصد : أي تكن . والمرصد : المكامن .
(٦) معقل بن خويلد بن وائلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلي ، شاعر مخضرم أدرك
الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزباني
٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .
(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتيبة ، كما في شرح أشعار الهذليين للسكري ٣٨٣ تحقيق
فراج . والبغضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم)
والخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئتك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها (١) . وكلُّ منقطة (٢) فهى عرّماء ،
من شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوت من حنشٍ وراصيدٍ للسفرِ فى أعلى البيات قاصيدٍ
والأفعى تقتلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمان . والشجاع (٣) يواثبُ
٧٢ ويقوم على ذنبه ، وربما بلغ رأسه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والمقرب من الحيوان)

وليس يقتلها - إذا تطوّقت على الطريق وفى المناهج ، أو اعترضتها
لتقطعها عبارةً إلى الجانب الآخر - شىءٌ كأقاطيع الشياهِ إذا مرّت بها ،
وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرّت ، فإن الحية إذا وقعت بين أرجلها كدّن
همتها نفسها ، ولم يكن لها همةٌ إلاّ التخلّصَ بنفسها ؛ لثلاً تعجلها بالوطف .
فإن نجت من وطف أيديها ، لم تنج من وطف أرجلها . وإن سلمت من واحدةٍ
لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لُجأ ، وهو يصف إبله :

* تعرّض الحياتِ فى خرشائها (٤) *

(١) ط : « بافلاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس
من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ،
لا للمرصد . ومراصدها : مكانها .

(٢) فى الأصل : « منقطة » ، تحريف . وفى المحصص (٨ : ١١١) : « الحية العرّماء
التي فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رهوس الأفاعى فى مرابضها العرم * »

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل
صوابهما « تفرش » . والتفرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى
الأصل : « عسامها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام (١) :

* تُعَجِّلُهَا عَنْ نَهْشِهَا وَالنَّكَزِ (٢) *

ومن ذلك أَنَّ العَقْرَبَ تَقَعُّ فِي يَدِ السَّنَّورِ ، فِيلْعَبُ بِهَا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ
وهي في ذلك مسترخيةٌ مستخذيَةٌ لا تضربه . والسَّنَانِيرُ مِنَ الخَلْقِ الَّذِي
لا تسرع (٣) السُّمُومُ فِيهِ .

(مسألة الأفعى للقائض والراعى)

وربما باتت الأفعى عند رأس الرَّجُلِ وعلى فراشه فلا تنهشه .
وأكثر ما يوجد ذلك من القائض (٤) والراعى . قال الشاعر (٥) :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب مستمع السرار (٦)
قال : الحب : الحبيب (٧) . والنضناض من الحيات : الذى يحرك

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابي .
وهو كذلك لقب لتوفيق ، أو نافع بن سودة الضبابي ، وقد هجا كل منهما
الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، في النقائض . وانظر المؤلف
١٧٩ ومعجم المرزباني ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : سمته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا
يعض بفيه . في الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح » ، وليست هناك .

(٤) القائض : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه في س ، ه .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما في اللسان (حب ، نضض) وأمل القائل (٢ : ٢٣)
والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيق .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرار » . انظر المصدرين المتقدمين
والمخصص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعي أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن
معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرار
ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب
العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذي الرُّمَّة : ما الضنناض ؟
فأخرجَ لسانه يجرُّكه (١) .

وإنما يصف القانص وأنه يبيت بالقفر . ومثله قولُ أبي النجم (٢) :

تَحكى لَنَا الْقَرْنَاءُ فِي عِرْزِها جَرى الرَّحى تَجرى على ثِفْها (٣)
العِرْزال (٤) : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وجزة (٥) :

تبيت جارتَه الأفعى وسامرَه رُمْدُ به عاذرٌ منهن كالجرب (٦)
وقوله : رُمْدُ (٦) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر (٧) .

(قصة في مسألة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمى ، فلما أصبح يحيى

(١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذي الرمة : وما الحية الضنناض ؟ فحرك لسانه
فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروى للأعشى ؛ كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لختان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر ما يكون ذلك

فى الأفاعى . هـ : « الفرما » س : « الغرما » ط : « الغروال » ، وهو

تصحيف ما أثبت من اللسان (عرزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها »

وفى اللسان : « له » . و « عرزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى .

وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » .

وثفال الرحي : الجلد يبسط تحتها ليق الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عرزال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجزة » بالراء ، وإنما هو بالزاي المعجمة . وقد تقدمت

ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .

(٦) فى الأصل : « ريد » بالياء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان .

رأى بينهما أفعى مستوية ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتها
وحررتها ! ولم تقتلها وهي ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :
أعوذُ بربِّي أن تُرى لى صُحْبَتِي يُطِيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارم .
من الخرسِ لا ينجو صحيحاً سَلِيمُها وإن كان معقوداً بحلى التمام^(١)

(مسألة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيات ، إلا الجرارات ، فإنها ربَّما باتت
فى لحافِ الرَّجُلِ الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قبضه عامَّةً يومها ، فلا تلسعه .
فهى بالأفعى أشبهه .

فأمَّا سائرُ العقاربِ فإنها تقصدُ إلى الضرر^(٢) ، فإذا ضربتُ إنساناً فرئتُ
كما يصنع المسىءُ الخائفُ للعقاب^(٣) .

والعقرب لا تضرب الميتَ ولا المغشىَّ عليه ، ولا النائمَ إلا أن يحرك
شيئاً من جسده ، فإنها عند ذلك تضربه .

(مسألة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالها ، ولا تصادق من الحيات
إلا كلَّ أسودٍ سألخ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدَّث أبو إسحاق المكي قال : كان فى دار نصر بن الحجاج السُّلْمى

(١) السليم : اللدغ . وأراد معقوداً به حلى التمام ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « للعقارب » ، صوابه فى س ، ه .

عقاربُ إذا لَسَعَتْ قَتَلَتْ ، فِدْبٌ ضَيْفٌ لَهُمْ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الدَّارِ فَضْرِبَتْهُ
 عَقْرَبٌ عَلَى مِذَاكِيْرِهِ ، فَقَالَ نَصْرٌ يَعْرِضُ بِهِ :
 وَدَارِي إِذَا نَامَ سَكَّانُهَا أَقَامَ الحُدُودَ بِهَا العُقْرَبُ
 إِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ فَإِنَّ عَقَارِبَهَا تَضْرِبُ (١)
 قَالَ : فَأَدْخَلَ النَّاسُ بِهَا حَوَاءً ، وَحَكَّوْا لَهُ شَأْنَ تِلْكَ العَقَارِبِ ،
 فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ العَقَارِبَ تَسْتَقِي مِنْ أَسْوَدَ سَالِيخٍ . وَنَظَرَ إِلَى مَوْضِعٍ فِي الدَّارِ
 فَقَالَ : احْفَرُوا هَاهُنَا . فَحَفَرُوا عَنْ أَسْوَدَيْنِ : ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَلِلذَكَرِ خُصِيَّتَانِ
 وَرَأَوْا حَوْلَ الذَّكَرِ عَقَارِبَ كَثِيرَةً فَقَتَلُوهَا .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بنُ عباسٍ حينَ رآه عَقْرَبٌ بالشَّعْرِ (٢) ، وقيل
 لِسُكْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : لَسْتُ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَغْلِبَ صَاحِبِكَ . فقال الفضلُ :
 قَدْ تَجَرَّ العُقْرَبُ فِي سَوْقِنَا (٣) . لَأَمْرَحَبًا بِالْعُقْرَبِ النَّاجِرَةِ

(١) في المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب . » والقصة فيه وفي محاضرات
 الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الدميري ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد
 هذا البيت :

فلا تأمن سري عقرب بليل إذا أذنب المذنب
 (٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل في المثل والتسوية ،
 فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس
 ابن عتبة بن أبي لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقرباً عامل الفضل ،
 وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبتة ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتي .
 هـ : « راهنته عقرب » ؛ وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب)
 وأمثال الميداني (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن
 والمساوي (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه .
 وانظر الاستدراكات .

(٣) في اللسان وأمثال الميداني وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قد تجرت في سوقنا عقرب » .

كل عدوُّ يُتَّقَى مُقْبِلًا وَعَقْرَبٌ تُخْشَى من الدَّابِرَةِ (١)
كلُّ عدوُّ كيدُهُ في استِه فغيرُ ذِي أَيْدٍ ولا ضائِرَةٌ (٢)
قدَّ ضاقتِ العَقْرَبُ واستيقنَت بأنَّ لادُنْيَا ولا آخِرَهُ
إنَّ عادتِ العَقْرَبُ عُدْنَا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حاضِرَهُ

(من سمي بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر (٣)، عقرب . وآل أبي موسى يكتنون بأبي العقارب
ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبي العقرب اللبني الخطيب
الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر في العقرب)

ورَوَوْا أَنَّ عَقْرِبًا لَسَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَنَهَا اللَّهُ ،
فَلَيْتَ لَهَا لَاتَّبَعَالِي مَنْ ضَرَبَتْ ! » .

وقال الضُّبِّيُّ : أنا عقربٌ ، أضرُّ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تَلْسَعُهُ الْجِرَّارَةُ (٥) بعسكر مُكْرَمٍ (٦) ، أو بجنديسابور ،

-
- (١) وكذا الرواية في عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .
(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أي غير ذى ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أى
تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولا نائره » . والنائرة : الحقد
والعداوة ، والسكائة تقع بين القوم .
(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٧٧) .
(٤) في (٥ : ٣٥٣) : « التبي » .
(٥) الجرارة : ضرب من المقارب للصفار تجرر بأذناها . ط : « الجرادة » ،
صوابه في س ، ه .
(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكري .

فتقتله ، وربما تناثر لحمه ، وربما تعفنَ وأنتنَ ، حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو مُخَمَّرٌ أنفه^(١) ، مخافة إعدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لا يعلم أنَّ الوخزة التي وُخِزَها كانت من جرارة .

وكانوا إذا شعروا بها دَعَوْا حجّاماً ، يحجّم ذلك الموضع ويمصّه ، قبل أن يتفشى فيه السمُّ ويدخل تلك المداخل . فكان الحجّام لا يجيئهم حتى يقبضَ دنائيرَ كثيرة . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لما كان لصاحبهم في ذلك من الفرج ، وما على الحجّام في ذلك من الضرر . وذلك أن وجهه ربما اسماً واربداً ، وربما عطّلت مقادير أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتصل إلى فيه من بخار الدّم ، ومن ذلك السمّ المخالط لذلك الدّم . ثمَّ إنهم بعد ذلك حشواً أذنان^(٢) المهاجم بالقطن ، فصار القطن لا يمنع قوّة المصّ والجذب ، ولم يدعه يصل إلى فم الحجّام . ثمَّ إنهم بعد مدّة سنّيات^(٣) أصابوا نبتةً في بعض الشعب^(٤) ، فإذا عاجلوا الملسوع بها حسنت حاله .

والجرارات تألف الأخواء^(٥) التي تكون بحضرة الأتاتين^(٦) ، وتألف الحشوش^(٧) والمواضع النارية . وسمها نار .

(١) خر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه في س ، ه .

(٣) جمع سنّية : تصغير سنّة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهي المسيل في الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفي الأصل : « الأخواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفي الأصل : « الأتاتين » بثونين بينهما ياء ، بحرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه في العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجلينِ فتقتلُ أحدهما
ويقتلها الآخر^(١) ، وربما نجت ولم تمت ، كما أنه ربما عقرت ولم تفت ،
ونجدها تضربُ رجلين في ساعةٍ واحدةٍ ، فيختلفان في سوء الحال . ونجدها
تختلف مواضعَ ضررها على قدرِ الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدرِ
مواضعِ الجسد . ونجدُ واحداً يعالجُ بالمسوس^(٢) فيحمده ، ونجدُ آخرَ يدخلُ
يده [في^(٣)] مدخلِ حارٍّ من غير أن يكون فيه ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخرَ
يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، ونجدُ آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمده ،
ونجدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ ماوافقه ، ثم إننا نجدُه يعاود ذلك
العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمدُه !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ في أنفسها بالجنس والقدر ،
وفي الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاه^(٤) اختلفَ الذي وافقه على حسب
اختلافه .

وكان يقول : إن قولَ القائل في العقرب : شرُّ ماتكون حين تخرج
من جحرها ، ليس يعنون من ليلتها - إذ^(٥) كان لا بدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كعبور : الترياق الذي يعالج به المسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وبالها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion
وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣
وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفي الأصل : « بالمسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) ط ، ه : « ما لاقاه » ، صوابه من س .

(٥) في الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة - ولكنَّهُمْ إما يَعْنُونَ : في أوَّل ما تُخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكثِّها في غير عالمِنَا وغذائِنَا وأنفاسِنَا ومعايشِنَا .

(زعم العامة في المقرب)

والعامةُ زعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسانَ وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسام^(١) ، وسعة المجارى ، وسخونة البدن . ولذلك صار سمها في الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبي إسحاق . كأنَّهُ كان يَرى^(٢) أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخنَ كان شرًّا .

ونحن نجدهم يصرون من لسعتها اللَّيلَ كله ، وإذا طلعت الشمسُ سكن ما بهم . فإذا بقيت فضلةٌ من تلك الجارحة في الشمس فما أكثر ما يسكن .
وسمومها باللَّيلِ أشدُّ ، إلا أن يزعم أن أجوافَ الناس في برد الليل أسخن وفي حرِّ النهار أقر .

(الدساس)

وزعم لي بعضُ العلماء^(٣) ممن قد روى السكتب ، وهو في إرثِ منها ، أنَّ الحية التي يقال لها : الدساس^(٤) ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النور لم تضع نمرًا قط إلا ومعه أفعى .

(١) س : « في تفتح المسام » وهي عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه في س ، ه .

(٣) ط : « وزعم لي في بعض العلماء » ، والوجه حذف « في » كما جاء في س ، ه .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفي الديميري : « الدسامة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ زعم أن الكمأة تبقى في الأرض فتُمْطَرُ مَطْرَةً صَيْفِيَّةً ،
فيستحيل بعضها أفاعى . فسمِعَ هذا الحديثَ منى بعضُ الرؤساءِ الطَّائِفِينَ (١) ،
فزعم لى أنه عاينَ كمأةً ضخمَةً فتأملها ، فإذا هى تتحرَّكُ ، فنهض إليها
فقلَّعها ، فإذا هى أفعى . هذا ما حدَّثته عن الأعراب ، حتى برئت إلى الله
من عيب الحديث .

(معارف في الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أن الوزغة والحيات تأكلُ الأحمَ والعُشبَ .
وزعمَ أن الحياتِ أظهرُ كلباً من جميع الحيوان ، مع قلَّةِ شربِ الماء .
وأنَّ الأسدَ مع نهمه قليلُ شربِ الماء . قال : ولا تضبطُ الحياتُ أنفسها إذا
شمَّت ریحَ السَّدابِ ، وربَّما أصطيدتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدوها
وقد سكرتُ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخ ، والعُشبَ .

وزعم أن الحياتِ تسلخُ جلودها في أوَّلِ الرَّبيعِ ، عند خروجها من
أعشمتها (٢) وفي أوَّلِ الخريفِ .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من
الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس فى التراب
فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب الخلى » . وانظر لولادة الدساس ، ماقى
الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيىء على الشذوذ . س : « الكمايين » ه :
« الكمايين » . وكنت حسبها : « الكمايين » لكن وجدت تعقيب
الجاحظ لايسف هذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشايش وأعشايش وعششة - كمنبة - فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلخَ يبتدئ من ناحية عيونها أولاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها^(١) أنها عمياء .

وهي تسلخ من جلودها في يوم وليلة من الرأس إلى الذنب ، ويصير داخل الجلد هو الخارج ، كما يسْلخ الجنين من المشيمة ؛ وكذلك^(٢) جميع الحيوان المحرز^(٣) الجسد ، وكل طائر لجناحه غلاف مثل الجعل والدبتر^(٤) وكذلك السرطان ، يسْلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشي . وتسلخ جلودها مراراً .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامة الحيوان : أمَّا الطير فتحسيراها^(٥) ، وأمَّا ذوات الحوافر فسْلخها عقائقاها^(٦) ، [وسلخ الإبل طرح أوبراها ، وسلخ الجراد انسلاخ جلودها^(٧)] ، وسلخ الأيائل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المهود استعمال العش لجر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيب عشه ووكره ، ذا سبعة أجمرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الباء ، أى يقوم عليها ويهيم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون ما لهم : ما يقومون عليه » .

(٢) ط ، ه : « ولذلك » صوابه في س .

(٣) كذا في ط ، ه . وفي س : « المحرز » .

(٤) الدبتر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيراها » س ، ه : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعر المولود .

(٧) هذه التكلفة من س ، ه .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبةٌ تنسلخُ فتصيرُ فراشةً . وقال الطِّرْمَاحُ شعراً :
وتجرّدَ الأسرُوعُ واطرّدَ السّفَاً وجرت بجاليها الحدابُ القرددُ^(١)
وانسابَ حياتُ الكئيبِ وأقبَلتْ وُرُقُ الفِراشِ لما يشبُّ الموقِدُ^(٢)
بصف الزّمان .

والدُّعْمُوصُ ينسلخُ ، فيصيرُ إمّا بعوضةً وإمّا فراشةً .

(انسلخ البرغوث)

وزعم ثمامةٌ عن يحيى بن برمك^(٣) أن البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ،
وأن البعوضة التي من سلخ دعووص ربّما انسلخت^(٤) برغوثةا .
والنمل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيّر خلقها ، وذلك هو سلخها . وهلكها
يحين عند طيرائها .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بجاليها » ، وصوابه ما أثبت
من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حذب ، وهو ما أشرف من الأرض
وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفي الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من
الديوان وما سيأتي ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاهن الجدجد

(٢) يقول : أقبَل ذلك الفِراش الذي في لونه سواد وبياض ، إلى النار التي
يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد
ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوهُ بيا أبي ، فلما ولي هارون الخلافة دفع إليه الخاتم
وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه
بالرقعة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) في الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجز^(١) :

* مَلْعُونَةٌ تَسْلُخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ^(٢) *

(أثر البلدان في ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السَّباعِ ذواتِ الأربعِ ، ولدغُ الهوامِّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البلدانِ ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْلِ^(٣) ، وعن جَرَّاراتِ قرى الأهواز ، وعقاربِ نَصيبين^(٤) ، وثعابينِ مصر ، وهِنْدِيَّاتِ^(٥) الخرابات .

وفي الشُّبَّانِ^(٦) ، والزَّنَابيرِ ، والرُّتَيْلَاتِ^(٧) ما يقتل . فأما الطَّبُوعُ^(٨) فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْأَذَى . وللضَّمَجِ^(٩) أذى لا يبلغُ ذلك .

(١) هو عوف بن ذروة ، كافي نوادر أبي زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما سياتى فى (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :
* من كل سفاء القفا والحدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هفرايات » وأثبت صوابه من ه .

(٦) الشبَّان : جمع شبت بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من المناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتثور : دويبة ذات سم ، أو من جنس اللقردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمَج : دويبة متنتة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Gimex . وفى الأصل : « اللسخ » محرقة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية : « طبقون »
حيّة صغيرة شديدة اللدغ ، إلا أن تُعالج بحجر ، يُخرَج من بعض قبور
قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسد بعضها ، كانت أردأ ما تكون
سما ، مثل العقارب والأفاعي .

قال . والأَيْلُ إذا ألتى قرونه علم أنه قد ألقى سلاحه ، فهو لا يظهر . وكذلك
إن سمن علم أنه يُطلبُ ، فلا يظهر . وكذلك أول ما ينبت قرنه يعرضه
للشمس ؛ ليصلب ويحفظ . وإن لدغت الأيّلَ حيّةُ أكل السراطينَ ؛ فلذلك
نظنُّ أن السراطينَ صالحةٌ للذبيغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيّل ولداً أكلت مشيمتها . فيظنُّ^(١) أن
المشيمةَ شيء يتداوى به من علة النفاس .

[قال] : والدبّة إذا هربت^(٢) دفعت جرائها^(٣) بين يديها ، وإن
خافت على أولادها غيّبتها ، وإذا لحقت^(٤) صعدت في الشجر وحملت
معها جرائها .

(١) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « فتنن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبّة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية
كما في هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز في الأصل . والجراء : جمع جرو :
وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرى في القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهد إذا عراه الداء الذي يقال له : « خانيق الفهود » أكل
للعدرة فبرئ منه (١) .

قال ، والسباع تشبه رائحة الفهود ، والفهد يتغيب عنها ، وربما فرَّ
بعضها منه فيطمع في نفسه ، فإذا أراده السبع وثب عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمَّه ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتي
طائر (٢) فيأكل ذلك ، فيكون طعاماً له وراحة للتمساح .

قال : وأما السلحفاة فإنها إذا أكلت الأفعى أكلت صغراً جبلياً .

وقد فعلت ذلك مراراً ، فربما عادت فأكلت منها ثم أكلت من الصعتر
مراراً كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمابن عرس ، فإنه إذا قاتل الحية بدأ بأكل السذاب ،
لأن رائحة السذاب مخالفة للحية ، كما أن سام أبرص لا يدخل بيتاً
فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سنبيل التمح .

قال : ونظن أن ابن عرس يخال للطيور بحيلة الذئب للغم ، فإنه
يذبحها (٣) كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيات المشتركة في الطعام .

= ملحق « بكمبر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ،
أو الصواب » . ط ، ه : « ألحقت » وهي اللغة الضعيفة . وأثبت ما في س .

(١) وجاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التي تسمى

خانقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير في رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح

فه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سياتي في (٥ : ٣٢٠) .

٧٧ وزعمَ أنَّ القنَافِدَ لا يَخْتَنِي عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ جِهَةِ الرِّيحِ وَتَحَوَّلَهَا وَهَبُوبَهَا ،
وَأَنَّهُ كَانَ بِقِسْطِنِطِينِيَّةٍ رَجُلٌ يُقَدِّمُ وَيُعْظَمُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ هُبُوبَ
الرِّيحِ وَيُخْبِرُهُمْ ^(١) بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَعْرِفُ الْحَالَ فِيهَا بِمَا يَرَى مِنْ
هَيْئَةِ الْقنَافِدِ .

(العيون المحمر)

والعيون المحمرُّ لِلْعَرَضِ الْمَفَارِقِ ، كَعَيْنِ الْغَضْبَانِ ، وَعَيْنِ السَّكْرَانِ ،
وَعَيْنِ الْكَلْبِ ، وَعَيْنِ الرَّمِدِ .

(العيون الذهبية)

والعيون الذهبيةُ : عيون ^(٢) أصناف البزاة من بين العقاب ^(٣) إلى الزُّرْقِ .

(العيون التي تسرج بالليل)

والعيون التي تُسْرِجُ بِاللَّيْلِ : عيون الأسد ، وعيون النمر ، وعيون
السَّيَّانِرِ ، وعيون الأفاعي ^(٤) .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حية :

غَضَابٌ يُشِيرُونَ الدُّحُولَ ، عِيُونُهُمْ كَجَمْرِ الغَضَى ذَكِّيْتُهُ فَتَوَقَّدَا ^(٥)

(١) ط ، ه : « ويخبر » .

(٢) ط ، ه : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، ه : « المقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتي مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الدحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو النار . س ، ه : « الدحول » صوابه =

وقال آخر^(١) :

وَمَدَجَّجِ يَسْعَى بِشَكَّتِهِ مَحْمَرَةً عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ^(٢)
رجع بالكلب إلى صفة المدجج .

وقال معاوية لصُحارِ العبدىِّ : يا أحمَر ! قال : والذهب أحمَر ! قال :
يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَةٍ عَيْنِهَا
كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلُ عِيُونِهَا^(٣)

وقال آخر :

وَشُكْلَةٌ عَيْنٍ لَوْ حُيْتُ بِبَعْضِهَا
لكنت مكانَ العَيْنِ مرأى وَمَسْمَعًا^(٤)

= في ط . وذكى النار : أتى عليها ما تذكوبه وتزيد اشتعالا . ط ، ه :

« ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق في (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما في المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين .

وأراد به التفتد ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة :
السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ لبيسك :

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وهي الصحيحة ؛ لأن قبله في الأغاني (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مهتالة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما في اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه .

وسيماد البيت في (٥ : ٣٣٠) .

(٤) ه : « لو خيبت » ، صوابه في ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحانية .

والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغرب^(١) ، والأزرق ، والأشكال^(٢) ، والأسجر^(٣) ،
والأشهل^(٤) ، والأخيف^(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كحلاء ، وهي أبصر بالليل من الفرس والعقاب .

(شعر في حمرة العينين وضياهما)

وفي حمرة العينين وضياهما يقول محمد بن ذؤيب العُماني ، في صفة
الأسد :

أَجْرًا مِنْ ذِي لِبْدَةٍ كَهَمَّاسٍ^(٦) عَضَنْفَرٍ مَضْبِرٍّ رَهَّاسٍ^(٧)

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « العذب »
صوابه في ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة في بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهي نحو الشكلة . ط ، هـ :
« الأسجر » بالخاء ، صوابه في س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة في سواد العين .

(٥) أخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأخيف »
ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك
ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بفرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفي الأصل : « مضير » محرف . والرهاس : الذي يطأ
الأرض وطأاً شديداً .

مَنَعِ أَخْيَاسٍ إِلَى أَخْيَاسٍ (١) كَأَنَّهَا عَيْنَاهُ فِي مِرَاسٍ (٢)

* شَعَاعٌ مِقْبَاسٌ إِلَى مِقْبَاسٍ (٣) *

وقال المرار :

* مِثْلُ مَا وَقَدَّ عَيْنَيْهِ النَّجْرَ (٤) *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبِّ ، والورل ، والحية ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبِّ والحية والورل : فَحَّ يَفِحُّ فَحِيحاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّي فِلا أَفَرَّقُ أَنْ تَفِحِّي (٥) وَأَنْ تَرَحِّي كَرَحِّي المَرَحِّي (٦)

أَصْبَحَ مِنْ تَنْحِجَةٍ وَأَحَّ (٧) يَحْكِي سَعَالَ النَّشْرِ الأَبِجَّ (٨)

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى

مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما في ه .

(٢) أي في أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شملة النار تقبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأنما وقد » ، وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدوره :

* حنق قد وقدت عيناه لي *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك ، الخوف . ورواية اللسان : « ياحي

لا أفرق » ، أي ياحية .

(٦) يقال رحح الحية ترحو ، وترحت ترحى ، وإذا استدارت . وأما رحح ترحى

بالتشديد فلم أره في معجم ، وهذا لا يبنى صوابه . والمرحى : الذي يسوى الرحى .

وهذا البيت وما قبله سيمادان في (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أر أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هي في الأصل : « أصبح » تحريف .

ورواية اللسان : « يكاد من تنحج وأح » . قال : « يصف رجلاً بجحلا إذا

سئل تنحج وسعل » .

(٨) النشز ، محركة : المسن القوى . والأبج : السدى غلظ صوته من داء .

ورواية اللسان :

* يحكي سعال النزق الأبج *

قال : الفحيح : صوتُ الحَيَّةِ منُ فيها . والكشيش والكشيش (١) :
صوتُ جلدها إذا حَكَتْ بعضه ببعض . قال الرَّاجِزُ (٢) في صفة الشَّخْبِ
والحَلْبِ :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضٍ حراءٍ منها شَخْبَةٌ بالمخض (٣)
لَيْسَتْ بِذَاتِ وَبَرٍ مَبِيضٌ كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا المَرْفُضُ (٤)
* كَشِيشٌ أَفْعَى أَجْمَعَتْ لَعَضٌ (٥) .

ويقال للضَّبِّ والوَرول : كَشِ يَكِشُ كَشِيشًا . وأنشد أبو الجراح :
رَأَى الضَّبَّ إِن لَمْ يَرْهَبِ الضَّبُّ غَيْرَهُ يَكِشُ لَهُ مُسْتَكْبِرًا وَيُطَاوِلُهُ (٦)

بَاب

من ضرب المثل للرجلِ الداهيةِ وللحى الممتنعِ بالحيةِ

قال ذو الإصبعِ العَدَوَانِيُّ :

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدَوَانٍ نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ (٧)

(١) في الأصل : « النشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتمر بن قطبة ، كما في تاج العروس (كَشِش) .

(٣) حراء : أى ناقة حراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترششه . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها »
صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكاتب
١٢٥ والاقنصاب ٣٤٥ واللسان (كَشِش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشيء . وفي الكتاب : « فاجمعوا أمركم » .

س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما فى ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر فى الاقنصاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ واللسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى فى خشى أشخما

(٦) فى الأصل : « مستكبرا » صوابه فى (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) فى ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بِعَضُّهُمُ ظَلَمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضِ (١)
 وفيهم كَانَتْ السَّادَاتُ وَالْمَوْفُونَ بِالْقَرْضِ (٢)

يقال: «فلان حَيَّةُ الوادى»، و«ماهو إِلَّا صِلُّ أَصْلَالِ (٣)». وَالصَّلُّ:
 للداهية والحَيَّةُ. قال النَّابِغَةُ:

مَاذَا رَزَيْنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةً بِالرَّزَايَا، صِلُّ أَصْلَالِ (٤)
 وقال آخر:

صِلُّ صَفًّا تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ مِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٥)
 وقال آخر (٦):

مُطْرَقٌ يَرْشَحُ سَمًّا، كَمَا أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْتَفُ السَّمِّ صِلُّ
 ومن أمثالهم: «صَمَّى صَمَامَ (٧)» وَ «صَمَّى ابْنَةَ الْجَبَلِ (٨)» وهى الحَيَّةُ.

(١) روايته في حَمَاسَةِ الْبَحْتَرَى ١٦٩: «بَغَى بِعَضُّهُمُ بَعْضًا * فَلَمْ يَرْعُوا» .
 (٢) الْقَرْضُ: مَا يَتَجَاوَزُ بِهِ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنْ إِحْسَانٍ، أَوْ إِسَاءَةٍ. يَقُولُ:
 هُمْ قَادِرُونَ عَلَى مَقَابَلَةِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، وَالْإِسَاءَةَ بِمِثْلِهَا. وَفِي ذَلِكَ
 الْمُرُوءَةُ، وَالْقُدْرَةُ. س: «بِالْمَرْضِ»، وَأَثْبَتَ مَا فِي ط، ه.

والشعراء ٦٩٠.

(٣) وَيُقَالُ ضَلُّ أَصْلَالٍ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (ضَلَّلَ) وَالْمَزْهَرُ (١: ٢٢٣).
 (٤) رَزَيْنَا بِهِ: أَصْبْنَا. وَفِي ط، ه: «رَأَيْنَا» وَس: «رَأَيْتَ»، وَصَوَابُهُ
 مِنَ اللِّسَانِ (صَلَّلَ) وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ٣٣٦ وَأَمْثَالِ الْمِيدَانِيِّ (١: ٢٤). مِنْ
 حَيَّةٍ: يَقُولُ: هُوَ حَيَّةٌ. وَالنُّضْنَاضَةُ: الَّتِي تَحْرُكُ لِسَانَهَا. أَهْدَاهَا نَظْرًا لِلْفِظِّ الْمَوْصُوفِ.
 (٥) تَنْطِفُ أَنْيَابُهُ: يَقَطُرُ مِنْهَا السَّمُّ. ط: «تَنْطَفُ»، وَصَوَابُهُ فِي س، ه.
 وَالسَّامُ: جَمْعُ سَمٍّ. وَالذَيْفَانُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: السَّمُّ لِلنَّاقِعِ.
 (٦) هُوَ تَأْبِطُ شَرًّا، كَمَا سَبَقَ فِي (٣: ٦٨) وَالْحَمَاسَةُ (١: ٣٤١)، وَشَرَحَهَا
 (٢: ١٦٠ - ١٦١).

(٧) صَمَّ يَصُمُّ، بِفَتْحِ الصَّادِ فِيهِمَا. وَصَمَامٌ كَقَطَامٍ: الدَاهِيَةُ. وَالْمِثْلُ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ
 يَأْتِي بِالدَاهِيَةِ. اللِّسَانُ وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِيِّ (١: ٣٦٢).

(٨) ابْنَةُ الْجَبَلِ: الْحَيَّةُ. أَيْ لِاتِّجَابِي الرَّاقي وَدَوَى عَلَى حَالِكِ. يُضْرَبُ لِلْفَرِيقَيْنِ إِذَا أَبَيَا
 الصِّلْحَ وَجَافَى الْخِلَافَ. أَمْثَالُ الْمِيدَانِيِّ. وَتَكُونُ ابْنَةُ الْجَبَلِ أَيْضًا الدَاهِيَةَ الْعَظِيمَةَ،
 وَالصَّدَى، أَوْ الصَّخْرَةَ. اللِّسَانُ (صَمَمَ).

قال الكميّ :

إذا لقيَ السّفيرَ لها ونادى بها : صمّي ابنةَ الجبلِ ، السّفيرُ^(١)

(قولهم : جاء بأم الرّيق على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأم الرّيق على أريق^(٢) » أم الرّيق : إحدى

الحيات . وأريق : أم الطّبّق^(٣) . ضربوا به مثلاً في الدواهي . وأصلها ٧٩
من الحيات قال :

إذا وجدتَ بوادٍ حيّةً ذكراً

فاذهبْ ودعني أمارسَ حيةَ الوادي^(٤)

(١) يقول : إذا لقي السّفير السّفير ، فأخر الفاعل . و «ها» و «هسا» يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميداني . والمعنى : إذا فشل السّفيران المنتدبان - بكسر الدال - الصلح وفض النزاع ، وتركوا الحرب في شدتها لا يستطيعان لها دفعا . في الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميداني .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) في الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات .
ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببيكرها أم طبق فذمروها وهمة ضخم العتق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترجيها وتحويلها
كالطبق ، أو لإطباقها على من تلتسه . و « أريق » من الحيات ، كما في
قول العجاج :

وقد رأى دوني من تهجسي أم الربيق والأريق الأزمن

بدلالة قوله : « الأزمن » وهو الذي له زئمة من الحيات . اللسان (أرق) ،
وفيه كلام صرفي خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادي : مثل الرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادي تحميه فلا يقربه شيء .

ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى في المخصص (١٦ : ١٠١) : « إذا
رأيت ... الخ .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفي المثل : « أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة »، يعنى (١) الصبى الذى يدرج ويتناول كل شئ سح له ، ويهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمه : أدركيه لاتأكله الهامة ! وهى الحية . وهو قوله (٢) فى التعويد : « ومن كل شيطان وهامة ، ونفس وعين لامة (٣) » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرجل الشجاعَ وذا الرأى (٤) الداهية حية - وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيم شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر ما يجعلون الحية ذكرا . قال الأخطل :

أنبئت كلباً تمنى أن يسافهنا وطالما سافهونا ثم ماظفروا (٥)

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها - أى القامة - الصبى ؛ لأنه يقيم كل ما أدرك ، يجمله فى فيه ، فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القليل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا * وربما » .

- كَلْفْتُمُونَا رَجَالَا قَاطِعِي قَرْنٍ مُسْتَلْحَقِينَ كَمَا يُسْتَلْحَقُ الْيَسْرُ (١)
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا عَدَّتْ خَصَالَهُمْ خَصَلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ إِجْبَابٌ مَاقَرُّوْا (٢)
 قَدْ أُنْدِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَمَّ بِهَ الْأَنْبَاءَ وَالنَّذْرُ (٣)
 بَاتُوا رُقُودًا عَلَى الْأَمْهَادِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلُهُمْ سَاهِرٌ فِيهَا ، وَمَا شَعَرُوا (٤)
 كَمَّتْ قَالُوا أَمَاتَ الْمَاءُ حَيْتَهُ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةَ الذَّكْرُ (٥)

(حَيَّةُ الْمَاءِ)

وما أكثر ما يذكر حية الماء ؛ لأنَّ حَيَّاتِ الْمَاءِ (٦) فيها تفاوت .
 إمَّا أن تكون لانتضرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمَّا أن تكونَ أقتلَ من الحياتِ
 والأفاعي .

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قدام الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه
 بعد ما فاز منهم الواحد والاثنتان ، فيسألهم أن يدخلوا قدامه في قدامهم ، فيفعلون
 ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقدام ١٥٣ . وقوله : « قاطعي
 قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعتم قيسا علينا ! فقال
 الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتمونا ، وليسوا منا ولا نحن منهم ،
 كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق
 السرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، صوابها ما أثبت من الديوان
 والميسر والقدام .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قرؤا » ، صوابه في ط والديوان . والرواية فيه .

ليست عليهم ديات يؤخذون بها ولا يكون لهم إيجاب ما قرؤا

(٣) س : « بها الأنباء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النشز من الأرض ، أو ما انخفض منها في سهولة
 واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليلهم » وليله .

(٥) في الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هي في الأصل : « المساء » محرفة . وفي الأصل : « حية » .

(الهنديّات)

ويقال إنّ الهنديّات^(١) إنّما تصير في البيوت والدُّور ، والإصطبلات ،
والخرابات ؛ لأنّها تُحمَلُ في القُضْبِ^(٢) وفي أشباه ذلك .

(علة وجود الحيات في بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أكلاً شديداً ، فربما فتحَ رأسَ كَرزِه^(٣)
وجرابه وجوالقه ، الذي يأتي الجراد^(٤) ، وقد ضربته برْدُ السَّحَرِ ، وقد
رآكم بعضه على بعض ؛ لأنّها موصوفةٌ بالصرَدِ^(٥) .

والحياتُ توصفُ بالصرَدِ ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك

قال الشاعر^(٦) :

(١) الهندية : ضرب من الأفاعى ، ذكر في ص ١٢١ . وفي هـ : « الهنديّات » مصحف .
(٢) أى في قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الخاطب ربما علقت الحيات
ببعض ما يجمعه . وقالوا في أمثالهم : « كخاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات
وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو النرج الكبير يحمل
فيه الراعى زاده ومناهه . ط ، هـ : « كزره » س : « كذده » وهما
تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « للذى » هى فاعل « فتح » المتقلبة . وما سياتى إلى السطر الخامس من الصفحة
الآتية ، استطراداً معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فرما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرح : وجد للبرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجهد الحضري ، كما في نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومعجم
البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضرى الدولتين الأموية والعباسية .
وكان مغرماً بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس
تشرب من خدير يقال له جنان ، وبحضرتة أهلها ، فوقف طويلاً عليه يبكي ، وقال
الشعر الآتى .

بليت كما يبلى الوكاء ولا أرى جناناً ولا أكناف ذروة تخلق^(١)
ألوي حيازي من صباية^(٢) كما تتلوى الحية المشرقة^(٣)
وإما تشرق إذا أدركها برد السحر ولم تصر بعد إلى صلاحها ٨٠
و [إذا^(٤)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السباع .
فربما اجترف صاحب الكرز الجراد^(٥) ، فأدخله كرز ، وفيه الأفعى وأسود
سالخ ، حتى يُنقل ذلك إلى الدور ، فربما لقي الناس منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمر ، في شعره المزوج :

يا عجباً والدهر ذو عجائب من شاهدٍ وقلبه كالغائب
وحاطب يحطب في بجاده^(٥) في ظلمة الليل وفي سواده
يحطب^(٦) في بجاده الأيم الذكر والأسود السالخ مكروه النظر

(شعر في حية الماء)

فمن ذكر حية الماء ، عبد الله بن همام السلولى فقال :

كحية الماء لانتحاش من أحدٍ صلب المراس إذا ما حلت النطق^(٧)

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء .
والرواية في المصادر المتقدمة : « كما يبلى للرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد
بنجد . وفي الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله
ويكسر : مكان حجازي .

(٢) ط : « يتلوى » . وفي نقد النثر : « تتلوى » . واستشهد ابن رشيق
في العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيفال » ، وهو المبالغة التي يكون
موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « للجراد » وفي س : « فربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يحطب » صوابه في س . حطب الحطب : جمه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق :
جمع نطق ، وهو شبه إزار فية تكة .

وقال الشَّيْخُ بْنُ ضِرَارٍ :

خُوصُ الْعَيُونِ تَبَارَى فِي أَرْمَتِهَا إِذَا تَفْصَدْنَ مِنْ حَرِّ الصَّبَاخِيدِ (١)
وَكُلُّهُنَّ تَبَارَى نِسِيَّ مُطْرَدٍ كَحِيَةِ الْمَاءِ وَلَّى غَيْرَ مَطْرُودٍ (٢)

وقال الأخطل :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ (٣)

وقال أيضاً :

هَمُّ ابْنِ صَفَّارٍ فَإِنَّ قَتَلْنَا جِهَاراً وَمَا مِنَّا مَلَاوِدَةَ الْعُذْرِ
فإِنَّكَ فِي قَيْسٍ لَتَالِ مُذْبَذَبٌ وَغَيْرُكَ مِنْهُمْ ذُو الثَّنَاءِ وَذُو الْفَخْرِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ (٤)
أَلَا يَا ابْنَ صَفَّارٍ فَلَا تَرْمِ الْعَلَى (٥) وَلَا تَذْكُرَنَّ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فِي الشَّعْرِ
فَمَا تَرَكْتَ حَيَّاتُنَا لَكَ حَيَّةً تَحْرُكُ فِي أَرْضِ بَرَّاحٍ وَلَا بَحْرِ (٦)

وقال نَفِيعٌ (٧) [يَعْبُرُهُ (٨)] بِالْكَحِيلِ (٩) :

(١) يقول : تلك الإبِلُ الفائرةُ العيونُ تتسابق ، وقد تصيب عرقها من حرِّ الهواجر .
ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تفصدن » بالقاف ، والتقصُّد أصلُ معناه الهلاك ،
وأراد به تغييرها بعد السمن .

(٢) أي كلُّ منها يسابق طرفَ زمامه . س ، هـ : « في مطردة » ، صوابه
في ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نَفِيعٌ ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المحاربي ، وقد هجاه الأخطل
بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتي . وفي الأصل : « تقيع » مصحف . انظر

المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها

تغلب وألقوا بأنفسهم في الماء . الأغاني (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلناكم بدجلة غرقت فما أشبهت قتلى حُنينٍ ولا بدر
ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى شمام إلى يوم القيامة والحشر^(١)
بدجلة حالت حربنا دون قومنا وأوطننا ما بين دجلة والحضر^(٢)
ولو كنتم حياتٍ بحرٍ لكنتم
٨١
غداة الكحيل^(٣) إذ تقومون في الغمر^(٤)

(ما يشبه بالأيام)

فالأيم الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية الجدولة
الخميسة الخواصر^(٥) ، في مشيها ، بالأيام ؛ لأن الحية الذكر ليس له غبب ،
وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابني شمام ، يضرب بهما المثل في البقاء .
قال ليبي :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأحداث إلا ابني شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت في البرية ، بينها وبين الموصل والفرات .
ياقوت . وفي الأصل : « فالحضر » ، وهو تحريف .

(٣) أي لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعمت السباحة . ط : « كذات الكحيل »
س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تفنون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك في الماء معطبة .
ه : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآدمي : « يلبون » من أل ب
بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفي الأصل : « القمر »
وتصحيحه من المؤلف .

(٥) الخاصرة : ما فوق الخصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد
الانتثيق . انظر المزهري (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعلاة تنفض مسحها وتجذب مثل الأيم في بلدٍ قفر^(١)
تيمم خير الناس من آل حاضر وتحمل حاجات تضمَّنهما صدرى^(٢)

(شعر في حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر في حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوة والكفَّاتُ أوردني حوضَ النية قتالٍ لِنَ علقا^(٣)
أصمُّ منهرتُ الشدقين ملتبداً لم يُعذَّ إلا المنايا من لذنُّ خُلِقا^(٤)
كأنَّ عينيه مسماران^(٥) من ذهبٍ جلاهما مدوسُ التَّلاقِ فائتلقا^(٦)

(شعر في حمرة عيون الناس)

قال في حمرة عيون الناس في الحرب وفي الغضب ، ابنُ ميادة :

(١) السعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما في الأغاني (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هي تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفي الأغاني : « في برة الصفر » .

(٢) رواية الأغاني : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى في الأغاني .

(٣) الكفَّات : جمع كفة ، بالكسر ، وهي من آلات الصيد . ط ، ه ، صوابه في س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، ضوابه في س . في س : « لم يفد » ، من الغداء . ط ، س : « يفد » ه : « يفد » صوابها ما أثبت .

(٥) في الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخبث . وقد ذكر الدميري في كلامه على الحية : « وعينها لا تدور في رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ في ص ١٧٩ من ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتلاق : تفعال . ن ألق ، بمعنى لمع . وفي الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفي الأصل : « فائتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفزاري العراقي عارض كأنَّ عيونَ القَوْمِ في نبضةِ الجمرِ (١)
وفي حمرة العين من جهة الخِلقة ، يقول أبو قردودة ، في ابن عمارة (٢)
حينَ قتله النُّعمان :

إني نهيْتُ ابنَ عمارةٍ وقلتُ له : لا تأمَنَنَّ أحمَرَ العَيْنَيْنِ والشعرةِ
إنَّ الملوكَ متى تنزلَ بساحتِهِمْ تطرُّ بناركَ من نيرانِهِمْ شرَّره
ياجفنةً كإزاءِ الحوضِ قد هدمتْ ومنطقاً مثلَ وشيِّ اليمنةِ الحبرةِ (٣)

(معرفة في الحية)

وأكثرُ ما يذكرون من (٤) الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ،
والأسود ، والشجاع ، والأرقم . قال عمر بن لُحَا :
* يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الأرقمِ *

وقال آخر :

ورفعُ أولى القومِ وقعُ خرادِلِ (٥) ووقعُ نبالِ مثلِ وقعِ الأسودِ

(١) ط ، س : « القراى » ، صوابه في ه .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حين حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمراً العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريفة ، قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتي .
البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضحها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مز » صوابه في س ، ه .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

ذكر الأفاعى في بعض كتب الانبياء

وفي بعض كتب الأنبياء ، أن الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى (١) » .

(أمثالٌ وشعرٌ في الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بِأَفْعَى حَارِيَةٍ (٢) » وهى التى تحرى (٣) ، وكلما
كبرت فى السن صَعُرَتْ فى الجسم . وأنشد الأصمعى فى شدة اسوداد
أسود سالخ :

مُهَرَّتْ الأَشْدَاقَ عَوْدٍ قَدْ كَمَلْ (٤) كَأَنَّمَا قَيْظٌ مِنْ لَيْطٍ جُعَلْ (٥)

وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبَعَانِ (٦) :

وأعور من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارَهُ فَأَعْمَى ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرٌ (٧)

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : يا أولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ ! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان - وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام - يعظ اليهود مبشراً بهيمن عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالخاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كبرى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروثة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه

للمبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه عدى بن أوس ، أو سحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين

جرير مناقضة . انظر المؤلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصواب رواية

هذا البيت :

رَفَعَتْ لَهُ مَشْبُوبَةً يَلْتَوِي بِهَا يَكَاذُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ^(١)
فَلَمَّا اسْتَوَى جَنبَاهُ لَاعَبَ ظِلَّهُ عَرِيضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ ضَرِيرُ^(٢)
قَالَ : وَيُقَالُ : « أَبْصَرُ مِنْ حَيَّةٍ » كَمَا يُقَالُ : « أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ،
و : « أَسْمَعُ مِنْ عُقَابٍ » . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

* أَسْمَعُ مِنْ فَرَخِ الْعُقَابِ الْأَسْحَمِ^(٣) *

وَقَالَ آخَرُ^(٤) :

أَسْوَدُ شَرَّى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ^(٥)

- = وَأَعُورٌ مِنْ نَهْجَانٍ يَعُورِي وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ بِأَبَا ظَلْمَةَ وَسْتُورٌ
كَمَا هُوَ عِنْدَ الْأَمَلِيِّ وَالْمَرْزَبَانِيِّ وَفِي الدِّيْوَانِ ٢٦٥ . وَالَّذِي أَوْهَمَ الْجَاهِظَ ذَلِكَ
أَنَّ فِي الْقَصِيدَةِ بَيْتًا آخَرَ ، يَرُوي هَذِهِ الرَّوَايَةَ الَّتِي أَثْبَتَهَا ، وَلَكِنْ مَوْضِعَهُ
فِي نَهَايَةِ الْقَصِيدَةِ ، وَيَتَضَحَّ لِكَ ذَلِكَ مِنْ مَطَالَعَةِ الدِّيْوَانِ ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .
- (١) مَشْبُوبَةٌ : أَي نَارًا . وَكَانُوا يَرْفَعُونَ النَّيْرَانَ لِتُرْشِدَ إِلَيْهِمُ الضِّيْفَانَ . يَلْتَوِي : كَذَا
جَاءَتْ الرَّوَايَةُ هُنَا . وَهِيَ فِي الدِّيْوَانِ وَالْمُؤْتَلَفِ : « يَهْتَدِي » .
- (٢) اسْتَوَى جَنبَاهُ : أَي بَرَزَا مِنْ امْتِلَاطِهِمَا . فِي الْأَصْلِ : « اسْتَوَتْ » مَحْرَقَةٌ . لَاعَبَ
ظِلَّهُ : أَي جَعَلَ ذَلِكَ النَّهْجَانِيَّ يَلْعَبُ ظِلَّهُ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ السَّرُورِ . وَضَمِيرُ « ظِلَّهُ »
رَاجِعٌ إِلَى « عَرِيضٍ » . وَالْحَالِبَانِ : عَرْقَانِ أَخْضِرَانِ يَكْتَنِفَانِ السَّرَةَ إِلَى الْبَطْنِ .
وَفِي الْأَصْلِ : « عَرُوضُ أَفَاعِي الْحَالِبِينَ » ، تَصْحِيحُهُ مِنَ النَّقَائِضِ . وَانظُرِ الرَّوَايَةَ
فِي الدِّيْوَانِ .
- (٣) الْأَسْحَمُ : الْأَسْوَدُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْأَشْجَعُ » ، صَوَابُهُ فِي (٦ : ٤٣٩) . وَفِي الدَّمِيرِيِّ
« فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهِيَ السُّودُ وَالْحَوْخِيَّةُ وَالسَّفْعُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَشْقَرُ » .
- (٤) هُوَ الْأَشْهَبُ بْنُ رَمِيلَةَ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ (٤ : ٥٥) وَالْكَامِلِ ٣٣ ، ٤٣٨
لَيْبَسُكَ وَالْعَقْدُ (١ : ٥٣) وَاللَّسَانُ (حَرْدُ) .
- (٥) شَرَى : جَبَلٌ بِبَنْجَدَ ، أَوْ تَهَامَةٌ ، مَشْهُورٌ بِكَثْرَةِ السَّبَاعِ . وَخَفِيَّةٌ : أَجْمَةٌ فِي سَوَادِ
الْكُوفَةِ . هـ : « خَفِيَّةٌ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ صَوَابُهُ فِي ط ، سَ وَالْمَرَاجِعِ الْمَتَّقِمَةِ
وَكَذَا الْأَضْدَادُ ١٩٨ وَالْمَقْصُورُ ٥٨ وَالْمَخْصَصُ (١١ : ٤٨) . وَالْحَرْدُ :
الغَضَبُ . وَرُوي فِي الْمَقْصُورِ : « لَوْحٌ » . وَاللَّوْحُ ، بِالضَّمِّ ، وَيُفْتَحُ : الْعَطَشُ .
= وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ضَرَبَ المِثْلَ بِجَنْسَيْنِ مِنَ الأَسْوَدِ ، إِذْ كَانَا (١) عِنْدَهُ الغَايَةَ فِي الشَّدَّةِ
وَالهُوْلِ ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى سَمُومِ الحَيَّاتِ .

(مَا إِشْبَهَ بِالأَسْوَدِ)

وَفِي هَوْلِ مَنظَرِ الأَسْوَدِ يَقُولُ الشَّاعِرُ (٢) :

مِنْ دُونَ سَيِّبِكَ لَوْنٌ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَحَفِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ (٣)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لِأَبَلٍ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ الأَسْوَدُ (٤)
وَيَصِفُونَ ذَوَائِبَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا بَلَغُوا الغَايَةَ شَبَّهُوا بِالأَسْوَادِ . قَالَ
جِرَانُ العَوْدِ :

أَلَا لَا تَغْرَنَّ امْرَأً نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ مِنْهَا ، وَالتَّرَائِبُ وَضَحٌ (٥)
وَلَا فَاحِمٌ يُسْقَى الدَّهَانَ كَأَنَّهُ أَسْوَدٌ يَزَاهَا لَعِينِكَ أَبْطَحٌ (٦)

= وَإِنَّ الذِّى حَانَتْ بِفَلَجِ دِمَازِمِ هُمُ القَوْمِ كُلِّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ

هُمُ سَاعِدِ الدَّهْرِ الذِّى يَتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفِّ لَاتِنُوهُ بِسَاعِدِ

(١) فِي الأَصْلِ : « كَان » ، وَصَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ .

(٢) هُوَ حَسِيلُ بِنِ عَرَفْقَةَ ، الذِّى تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٣ : ١٠٢) . انظُرْ نَوَادِرَ

أَبِي زَيْدٍ ٧٥ وَدِيوانِ المَعَانِي (١ : ١٠٦) وَالحَيَوَانَ (١ : ٣٨٣) .

(٣) النِّافِجَةُ ، بِالْجَمِّ بَعْدَ الفَاءِ : الرِّيحُ تَبْدَأُ بِقُوَّةٍ . وَفِي الأَصْلِ وَكَذَا دِيوانِ المَعَانِي :

« نَافِجَةٌ » ، وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ مِنَ النُّوَادِرِ . وَ : « كَلْبٌ » هِيَ فِي الأَصْلِ :

« قَلْبٌ » وَصَوَابُهُ مِنَ المَرَاجِعِ المَتَّقَدَةِ .

(٤) مَكَانٌ : « أَحَبَّهُمَا » بِيَاضٍ فِي س .

(٥) التَّوْفَلِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الأَمْتِشَاطِ ، وَفَسْرُهُ صَاحِبُ التَّهْدِيبِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ يَتَّخِذُهُ نِسَاءُ

الأَعْرَابِ مِنَ صَوْفٍ يَكُونُ فِي غَلْظِ أَقْلٍ مِنَ السَّاعِدِ ، ثُمَّ يَحْشَى وَيَعْطَفُ ، فَتَضْمُهُ

المَرَأَةُ عَلَى رَأْسِهَا ، ثُمَّ تَحْتَمِرُ عَلَيْهِ . وَرِوَايَةُ الدِّيوانِ وَاللِّسَانِ : « عَلَى للرَّأْسِ

بَعْدَى » . وَالتَّرَائِبُ . جَمْعُ تَرِيْبَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ القَلَادَةِ . وَضَحٌ : جَمْعٌ وَاضِحَةٌ

بِمَعْنَى مُشْرَقَةٌ .

(٦) الأَبْطَحُ : بَطْنٌ وَادٍ فِيهِ رَمْلٌ وَحِجَارَةٌ . الدِّيوانِ : « لَعِينِكَ » ، وَاللِّسَانِ :

« مَعَ اللَّيْلِ أَبْطَحٌ » .

(استطراد لغوى)

قال : والحرشاء^(١) : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها ،
وجماعه الخراشي^(٢) ، غير مهموز . قال : وخرشاء الحيّة : سلخها حين تسلخ^(٣)
وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأسود سالخة .
وقال مرقش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لِيَذَاكُمْ كَمَا يَنْسَلُ عَنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يروون أنّ تعليق الحلى ، وخشخشة الخلاخيل على السليم ، مما
لا يفيق ولا يبرأ إلا به ، وقال زيد الخيل :
أيم يكون النعل منه ضجيجه كما علقت فوق السليم الخلاخيل^(٤)
وخبّرني خالد بن عقبة ، من بنى سلمة بن الأكوع ، وهو من بنى
المسيح ، أنّ رجلاً من حزن ، من بنى عذرة ، يسمّى أسباط ، قال في تعليقهم
الحلى على السليم :

-
- (١) جاءت هذه الكلمة مقصورة في الأصل ، وصوابها المد .
(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، ه ، : « جماعه » س : « جماعته » وصوابه
ما أثبت . وكلمة « الخراشي » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى ه :
« الخراشاه » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصود ٣٨ .
(٣) س : « تسلخ » . وخرشاء ، هى مقصورة فى الأصل ، والصواب مدها ، كما فى المفضليات
٢٤٠ والمقصود والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .
(٤) الخلاخل : جمع خلخل ، وهو الخللخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يلقون الجلاجل
أيضاً على الدهيق ، جمع ججل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرقت فلم تطعم لي العين مهجعا وبئت كما باتت السليم مقرعا^(١)
كأني سليم ناله كلهم حية ترى حوله حلّى النساء مرصعا^(٢)
وقال الذبياني :

٨٣

فبت كأني ساورتنى ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
يسهد من ليل التمام سليمها حلّى النساء في يديه قعاقع
(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلق ذلق^(٣) . ويقال للسليم إذا لدغ : قد طلق ،
وذلك حين ترجع إليه نفسه . وهو قول النابغة :
تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع^(٤)
وقال العبدى^(٥) - إن كان قاله - :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء في شرح الوزير أبي بكر
لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلّى في الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته
من المرأة إذا مشت » .

- (١) مقرعا ، بالتخفيف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .
- (٢) مرصعا : معقودا . وفي نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعا » وهى صحيحة
من وضع الباني الحجر ، بالتشديد : تضد بعضه على بعض .
- (٣) في التاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق -
ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم - وطلق ذليق ، رطلق ذلق بضمين ، وكصرد
وكتف : ذو حدة » .
- (٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ،
وصوابه . لديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل
٥٠٧ ليبسك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين وبكسرهما ، بمعنى
الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى
تحف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذاك أن المهوش إذا ألح
الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .
- (٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنت مأكولا فكن أنت آكل وإلا فأدركنى ولما أنزق =

تَبَيْتُ الْهَمُومَ الطَّارِقَاتُ يَعُدُنِي كَمَا تَعْتَرِي الْأَهْوَالُ رَأْسَ الْمَطْلُوقِ (١)

وَأُنْشِدُ :

تُلَاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ لَيْلِي كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ (٢)

والعِدَادُ : الوقت . يقال : إِنَّ تِلْكَ الْأَسْعَةَ لَتَعَادَهُ (٣) : إذا عاده الوجع

فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَسِعَ فِيهِ .

(حَدِيثُ الْحَمَلِ الْمَصْلِيِّ)

وَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَّ الَّذِي كَانَ فِي الْحَمَلِ الْمَصْلِيِّ (٤) ،

الَّذِي كَانَتْ الْيَهُودِيَّةُ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ فَانَالَ مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ تِلْكَ الْأَكْلَةَ لَتَعَادُنِي (٥) » .

(١) ط : « تعدني » س : « تغدني » ه : « تعدني » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ لبيسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية في المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاق من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » ، فهي زائدة في الكلام ، وأراد : من تذكر ليل نفسها . مثله ما جاء في الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعادته » ، صوابه في س ، ه .

(٤) المصلي : المشوى . صلى اللحم وغيره صلياً : شواه . والمعروف في الرواية أنها شاة ، لا حمل . وتأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذئ أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودي ، وقيل : هي أخت مرحب اليهودي . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخبر في السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعادني » وصوابه في س ، ه والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية في هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أهرى » . =

(جلد الحية)

وفى الحية قشرها ، وهو أحسن من كل ورقة وثوب ، وجناح ،
وطائر ؛ وأعجب من ستر العنكبوت ، وغرقى^(١) البيض .

(ما يشبهه بلسان الحية)

ويقال فى مثل ، إذا مدحوا^(٢) الخف اللطيف ، والقدم اللطيفة ، قالوا :
كانه لسان حية .

(نفع الحية)

وبالحية يتداوى من سم الحية . وللدغ الأفاعى يؤخذ الترياق الذى
لا يوجد إلا بمتون^(٣) الأفاعى . قال كثير :
وما زالت رقاك تسلى ضغني ونخرج من مكامنها ضبابى^(٤)
وترقىنى لك الحاؤون حتى أجابك حية تحت الحجاب^(٥)

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم
مات شهيداً .

(١) الغرقى ، كزبرج : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمتون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما
ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالسكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والسكسر ، وهو الضغن والعداوة .
وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كفا فى الموشح ١٤٣ والصناعتين
٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد
لهذين البيتين .

(٥) ترقىنى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمه ، قال : حججتُ فإِنَّا لِنِي وَقَعَةٌ مَعَ قَوْمٍ (١) نَزَلُوا مَنزِلَنَا (٢) ، وَمَعَنَا امْرَأَةٌ ، فَنَامَتْ (٣) فَانْتَبَهْتُ وَحِيَّةٌ مَنطُويَةٌ عَلَيْهَا ، قَدْ جَمَعَتْ رَأْسَهَا مَعَ ذَنْبِهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا (٤) ، فَهَا لَهَا ذَلِكَ وَأَزْعَجْنَا ، فَلَمْ تَزَلْ مَنطُويَةً عَلَيْهَا لَا تَضُرُّهَا بِشَيْءٍ ، حَتَّى دَخَلْنَا أَنْصَابَ الْحَرَمِ (٥) ، فَانْسَابَتْ فَدَخَلَتْ مَكَّةَ ، فَفَضَّيْنَا نَسَكَنَا وَانصَرَفْنَا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْمَكَانِ الَّذِي انطوتُ عَلَيْهَا فِيهِ الْحِيَّةُ ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الَّذِي نَزَلْنَا ، نَزَلْتُ فَنَامْتُ وَاسْتَيْقَظْتُ ، فَإِذَا الْحِيَّةُ مَنطُويَةٌ عَلَيْهَا ، ثُمَّ صَفَرَتْ الْحِيَّةُ فَإِذَا الْوَادِي يَسِيلُ حَيَّاتٍ عَلَيْهَا ، فَهَشَّتْهَا حَتَّى نَقَتَ (٦) عِظَامَهَا ، فَقَلَّتْ لَجَارِيَةٍ كَانَتْ لَهَا : وَيَحْكُ ! ٨٤
أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغتُ ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلَّ مرَّةٍ تأتي بولدٍ ، فإذا وضعته سَجرتَ التَّنُّورِ (٧) ، ثمَّ ألقته فيه .

= بنو إسرائيل . انظر لذلك ما أسلفت في ص ١٩٣ . والرواية في المراجع :

« ويريقي » . والحاوون : جمع حاو . وفي ط ، س : « الخادون » . وه :

« الخاؤون » محرَّفان ، صوابهما في المراجع المتقدمة .

(١) الوقمة ، بالفتح : النومة في آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه في ه .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » ه : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، ه : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما في القاموس واللسان .

(٦) نقي العظم نقياً : استخراج نقيه . والنق بالكسر : مخ للعظام .

(٧) سَجرتَ التَّنُّورِ : أحيمته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفي الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يحبز فيه .

(قول امرأة في عليّ والزبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأة إلى عليّ ، والزبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت أعناق دوابهم حين التقوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقم يتلمظ ؟ قيل لها : الزبير . قالت : فمن هذا الذى كأنه كسير ثم جبر (١) ؟ قيل لها : عليّ . قالت : فمن هذا الذى كأن وجهه دينار هرقل (٢) ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنهشُ نهشاً . والنهش : هو تناولك الشيء بفيك ، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . وأما نهش السبع فتناوله من الدابة بفيه ، ثم يقطع ما أخذ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنهشه نهشاً (٣) ، وهو انتزاع اللحم بالثنايا ؛ للأكل . ويقال نشطت العقدة نشطاً : إذا عقدته بأشوطة (٤) . ونشطت الإبلُ تنشطُ نشطاً : إذا ذهب على هدى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزع . ونشطته الحية فهي

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخماً البطن ، أفطس الأنف ، دقيق الذراعين .

المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية

٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى

ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه

بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالنشوطة » ، صوابه

فى س . وفى اللسان : « ونشطت العمد : إذا عقدته بأشوطة » .

تَنْشِطُهُ نَشْطًا ، وهو أن تَعْضَهُ عَضًا . وَنَكَزَتْهُ الْحَيَّةُ تَنْكَزُهُ نَكَزًا ، وهو طَعْنُهَا الْإِنْسَانَ بِأَنْفِهَا (١) . فَالْتَّكْزُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ سِوَى الْحَيَّةِ الْعَضُّ . وَيُقَالُ : نَشِطْتُهُ شَعُوبًا نَشْطًا (٢) وَهِيَ الْمَنِيَّةُ :

قال : وتقول العرب . نشطه الشعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النهيش بالسائم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرة (٣) . قال ابن ميادة :

كأني بها لما عرفت رؤومها قتيلٌ لدى أیدی الرقاة سليمٌ

(شعر في الحية)

ومما يضربون به المثل بالحيات في دواهي الأمر ، كقول الأقبيل

القيني (٤) :

لَقَدْ عَلِمْتُ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ (٥) أَنْ انْطَلَقِي إِلَى الْحِجَّاجِ تَغْرِيرُ

(١) في الأصل : « فيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أي تفرق .

ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطيرة ، كعنة : ما يتشاءم به من الفأل الرديء . فالعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقبيل بن نهبان بن خنيف ، شاعر إسلامي كان في زمن الحجاج . وكان الأقبيل

مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت

يضرَب بالمخانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتفى بقبر مروان ، فأتمته

عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يدرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ،

فطرح السكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتي . وفي الأصل ، وكذا الجزء السابع

ص ١٠٢ : « العتبي » وصوابه من المؤلف ٢٤ . ونسخة كوبري الجزء السابع .

وهو نسبة إلى بني القين بن جسر .

(٥) رواية الأمدى :

لَنْ ذَهَبَتْ^(١) إِلَى الْحِجَّاجِ يَقْتُلُنِي إِنْ لَأَحْتَقُ مِنْ مُخَدَى بِهِ الْعَيْرُ
مُسْتَحَقًّا صُحْفًا تَدَى طَوَائِعِهَا^(٢) وَفِي الصَّحَائِفِ حَيَاتٌ مَنَّا كَبِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعيّ: يقال للحية الذكر أيم وأيم ، مثقل ومخفف ، نحو
لَيْنٌ وَلِينٌ ، وَهَيْنٌ وَهَيْنٌ . قال الشّاعر^(٣) :
هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذُووِ يَسْرِ سُوَاسُ مَسْكْرَمَةِ أُنْبَاءِ أَيْسَارِ
وَأُنْشِدُ فِي تَخْفِيفِ الْأَيْمِ وَتَشْدِيدِهِ^(٤) :
وَلَقَدْ وَرَدَتْ الْمَاءَ لَمْ تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ^(٥)
إِلَّا عَوَاسِرُ كَالْمِرَاطِ مُعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيْمٍ مَتَغَضِّفٍ^(٦)

(١) رواية الآمدي :

* لَنْ حدى بى *

(٢) استحقب الشيء : حمله فى مؤخرة الرحل . ط : « مستحليا » س :
« مستحفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤلف والجزء
السابع . والطوايع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها ، وهو الخاتم الذى يخبم
به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما
من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته فى :
(٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهندليين (٢ : ١٠٥) واللسان
(صيف ، غضف) وأما القائل (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاه من قومه . وقبل البيت ، كما فى
تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخوا لنا ذا مرة جلد القوى فى كل ساعة محرف

فارقته يوما بجانب نخلة سبق الحمام به زهير تلهي

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان :
« يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ،
غضف) والأمالى .

الصَّيْفُ ، يعنى مَطَرُ الصَّيْفِ^(١) . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنانها . ٨٥
والمراط : السهام التي قد تمرط ريشها . ومُعيدة : يعنى معاودة للورد .
يقول هو مكانٌ لخلاته^(٢) يكون فيه الحياتُ ، وتردّه الذئابُ . ومتغصّف
يريد بعضه على بعض ، يريد تنفي الحية .

وأشدد لابن هند^(٣) :

أودى بأَمِّ سُلَيْمَى لاطِيٌّ لَبِيدٌ كحِيتَةٍ مَنْطَوٍ مِنْ بَيْنِ أَحْجَارِ^(٤)
وقال محمد بن سعيد^(٥) :

قريجة لم تُدنيها السُّبَّاطُ ولم تُوردَ عِرَاكاً ولم تعصر على كَدْرِ^(٦)
كمنطوى الحية النَّضْناضِ مكنها في الصُّدرِ ما لم يهيجها على زورِ
الليثِ لَيْثٍ منسوبٌ أَظْفَرُهُ^(٧) والحيسة الصِّلُّ نَجْلُ الحِيتَةِ الذِّكْرِ

(١) في الأصل : « مطرا الصيف » ، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمال .

(٢) في الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القائل : « هذا المسكان لخلاته ، من موارد الحيات » ، أى لكونه نخاليا ترد الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما في العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفي العقد : « يحب سليم » ؛ وهو الصواب .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما في س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد السكاكيب التميمى ، وهو عربى بغدادى وأشدد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت منى أياى لم تمنن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعها خلاصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها الماء مزدهمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظفره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرِّمَّةِ :

وأحوى كَأَيِّمِ المِضَالِ أَطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا تَحْتَ فِينَانٍ مِنَ المِظَلِّ وَاِرْفِ (١)

قال : ويقال انبثت الحيات (٢) : إذا تفرقت وكثرت . وذلك عند

إقبال الصَّيْفِ . قال أبو النجْم :

* وانبثَّ حَيَّاتِ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ (٣) *

وقال الطَّرْمَاح :

وَتَجَرَّدَ الأَسْرُوعُ وَاطَّرَدَ السَّفَا وَجَرَّتْ بِجَالِيهَا الحِدَابُ القَرَدُدُ (٤)

وانساب حَيَّاتِ الكَثِيبِ وَأَقْبَلَتْ وَرُقَ الفَرَّاشِ لِمَا يَشْبُ المَوْقِدُ (٥)

قال : ويقال جباً عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يَجِبُ

جِبْتًا وَجَبَّوًا .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وَمَا أَنَا مِنْ رَبِّبِ المُنُونِ بِجَبًّا وَمَا أَنَا مِنْ سَيْبِ الإِلهِ بِيَأْسِ (٦)

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما فى المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحيا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبثت ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، هـ : « أنبثت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبث » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكثيف » صوابه فى هـ . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفرش » ، وتصحيح الرواية ما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يشرع في اللبن)

قال : ويقال : اللبن مُحْتَضَرٌ^(١) فغطَّ إنياءك . كما تهمَّ يروُنَ أنَّ الجنَّ
تشرعُ فيه^(٢) ، على تصديق الحديث في قول المفقود^(٣) لعمر ، حين سأله
وقد استهوته الجنَّ : ما كان طعامهم ؟ قال : الرِّمَّة . يريد العظم البالى .
قال : فما شرابهم ؟ قال : الجَدَف . قال : وهو كلُّ شراب لا يُخَمَّر^(٤) .
وتقول الأعراب : ليس ذلك إلا في اللبن . وأمَّا النَّاس فيذهبون إلى
أنَّ الحَيَّات تشرع^(٥) في اللبن ، وكذلك سامُّ أبرص ، وكذلك الحَيَّات
تشرع في كثير من المرق .

(حديث في المعصفر)

وجاء في الحديث : « لا تبيئوا في المعصفر^(٦) ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » ، أى
يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

- = (١٦ : ١٢) : « فأنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء .
وروى في المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإله بآيس » ، على القلب .
(١) محتضر : يحضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فقه
أناك » محرف .
(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفي الأصل : « تشرع فيه » ، مصحف .
(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .
(٤) لا يخمر : أى لا يغطى .
(٥) فى الأصل : « تشرع » . وانظر ما سبق قريباً .
(٦) المعصفر : المصبوغ بالمعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « المعصفر » ، صوابه
فى س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون^(١) به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ أَيْرِ بِأَفْعَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ^(٢)

أَجْبِنًا فِي الْكِرِيمَةِ حِينَ تَلْقَى وَنَعْظًا مَا تَفْتَرُّ فِي الْخَلَاءِ !

فَلَوْلَا اللهُ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبُولُ عَوَّجَلُ بِالْحِصَاءِ

وقال أبو النجم^(٣) :

نَظَرْتُ فَأَعْجَبَهَا الَّذِي فِي دِرْعِهَا مِنْ حُسْنِهَا وَنَظَرْتُ فِي سِرِّبَالِهَا^(٤)

فَرَأْتُ لَهَا كَفَلًا يَنْوَهُ بِخَصْرِهَا وَعِثًا رَوَادِفُهُ وَأَخْتَمَ نَاتِيَا^(٥)

(١) يمجنون ، من المجون . وفي الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتي وما بعده مجوف .

(٢) سبقت هذه الأبيات في (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سيون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلي إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد على بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذي صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذي أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئا ولا قدرت عليه ! وقد قلت في ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتي . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضا عما فاتك . الأغاني (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : التميمص . رواية الأغاني : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوه بخصرها : أي ينوه بخصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعتا روادفه : أصل الوعث : المسكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هي رواية ط والأغاني والمختار . وفي س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهي بمعنى الأول . والأختم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أي يارزأ ، وأصله ناتئا . ورواية الأغاني والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجانِ مُقَبَّضًا رِخُوا حائله وجِلْدًا باليا (١)
أدنى له الرِّكَبَ الحَلِيقَ كأنما أدنى إليه عتارياً وأفاعياً (٢)
وقال آخر (٣) :

مريضةٌ أثناءَ التَّهادى كأنما تخافُ على أحشائها أنْ تَقْطَعاً (٤)
تسيب انسياب الأيِّمِ أخْصَرَه النَّدى يرفَعُ من أطرافه ما ترفَعاً (٥)

(شعر في العقران)

وقال إياسُ بن الأرت (٦) :

كأنَّ مرعى أممكم سوءة عقربةٌ يكومها عقران (٧)

(١) في المختار : « متفخ العجان مقلصا » ، والأغاني : « رخوا ، فاصله » . وبين هذا البيت والذي قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتي وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفي المختار « أدنى لك كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى في الأغاني ، منها اثنان في المختار .

(٣) بدله في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » ، أى رجل من بني سعد .

(٤) التهادى : مثنى في تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه في س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعاني ٢١٢ . والرواية في المحاضرات والحماسة : « مريضات أبواب التهادى » . ينعبها أو ينعبن بلين المشية ودقة الحصر .

(٥) يقول : تتدافع في السير تدافع تلك الحية التي أثر فيها برد الندى ، فهى في مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعاني : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس في (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما في ذيل اللآلئ ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أهم . يكومها : يخالطها . والعقران ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى في مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلها زولٌ وفي شولها وخزٌ حديدٌ مثلٌ وخز السنان^(١)
كلٌ امرئٌ قد يتتقى، مُقبلاً وأُمَّكم قد تتتقى بالعجان^(٢)

وقال آخر^(٣) لمضيفه :

تبيتُ تدهدهُ القيدانَ حولي كأنك عند رأسي عُربان^(٤)
فلو أطعمتني حملاً سميناً شكرتُك ؛ والطعامُ له مكان^(٥)

= ويسميا العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسميا علماء الإفرنج : Gentipede .
وعلى الوجه الثاني من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجديه .
وقد أسلفت كلاما على هذا الشعر في (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرني العقرب بالإكليل . التبريزي (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف
الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاي : طعن لا ينفذ .
حديد : قوى . س ، هـ . « وخز حديد » ، وصوابه في ط والحجاسة .
وفي س : « مثل وخذ » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .
(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآق هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، يفتح الهاء بعدها
مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزباني في معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه
اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته في (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه
نزل في البصرة على رجل من الصلحاء يقال له تبيت ، فأطعمه تمرأ وأسقاه لبنا وقام
يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآق . وقبل البيت الأول :

لخبز يا تبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزباني . وقد روى القالي في أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ،
ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال : إن ثبتنا هذا نزل به قوم ليلة فلم يعيشهم وقام
يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآق .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بفضه على بعض . والقيدان : البراغيث ، واحدها قدة ،
كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ، ودهور كلامه : قحم بعضه في إثر
بعض . والمقربان سبق شرحه في التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالي
في شرح هذا البيت : « واختلفوا في المقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ،
وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ، ولم يروه المرزباني .
ودرواية القالي :

فلو أطعمتني خبزاً ولحماً حمدتُك والطعام له مكان

(شعر في الحيات والأفاعى)

وقال النابغة :

فلو يستطيعون دبَّتْ لنا مذاكى الأفاعى وأطفالها^(١)

وقال رجلٌ من قریش :

ما زالَ أمرٌ وُلاقِ السُّوءِ مُنتشِراً حتى أظَلَّ^(٢) عليهم حيةٌ ذكرُ
ذو مِرَّةٍ تَفَرِّقُ الحياتِ صَوْلَتَه عَفُّ الشَّمائلِ قد شُدَّتْ له المِررُ^(٣)
لم يأتهمُ خَبْرٌ عنهُ يَلينُ له حتى أتاهمُ به عن نفسه الخبِرُ

وقال بشار :

ترلُّ القَوَافى عن لسانى كأنها حُمات الأفاعى ريقهنَّ قِضاءً^(٤)

[وقال^(٥)] :

فكم من أخٍ قد كان يأملُ نفعكم شجاعٍ له نابٌ حديدٌ ومخلبٌ^(٦)
أخ لو شكرتمْ فعله لو عَضَضْتُمْ رُءوس الأفاعى عَضَّ لا يتهيبُ^(٧)

٨٧

(١) المذاكى : جمع المذكى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو الممن من كل شيء .

(٢) كذا في الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحيات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ما تلدغ به الأفعى . وفي الأصل : « حماة »

محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : ه :

« قضاب » ، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل

هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان في مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) في الأصل : « لعضضم » ، وبذا يضطرب نسج البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعي الهوليد، في ذكر الأسود بالسم من بين الحيات :

فإن أنت أقررت الغداة بيسبتي عرفت وإلا كنت فقعا بقردد^(١)
ويشمت أعداء ويجذل كاشح عمرت لهم سما على رأس أسود^(٢)
وقال آخر :

ومعشر منقع لي في صدورهم سم الأسود يغلي في المواعيد
وسمّتهم بالقوافي فوق أعينهم وسم المعيدى أعناق المقاحيد^(٣)
وقال أبو الأسود^(٤) :

ليتك آذنتي بواحدة جعلتها منك آخرا الأبد^(٥)

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء مما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أي لو شكرتم

فعله لشاركتكم في جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقهّم الصعوبة لتتحمها معكم .

(١) الفقع : كاة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة » ، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميداني (٢ : ٥٩) . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطمئنة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أي أيقيت للأعداء .

(٣) أي جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعيد » بتشديد الباء الموحدة المسكورة ، وهو الذي يعبد الإبل ، أي يظليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فان المعيدى تصغير المعدي نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة في عيون الأخيار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأدياء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٢٩٧) إلى أبي زبيد . وصواب نسبته أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغانى (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المنزه (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلي البصرى ، أول من أسس للنحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا . انظر بقية نمته في بغية الوعاة ٢٧٤ . توفي سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٥) آذنه بالأم : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ أَلَّا تَبْرَنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي (١)
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصَدِ (٢)
وَقَالَ أَبُو السَّفَّاحِ (٣) يَرِثِي أَخَاهُ يَحْيَى بْنَ عَمِيرَةَ (٤) وَيَسْمِيهِ بِالشُّجَاعِ (٥) :
يَعْدُو فَلََّا تَكْذِبُ شِدَاتُهُ كَمَا عَدَا اللَّيْثُ بُوَادِي السَّبَاعِ
يَجْمَعُ عَزْمًا وَأَنَاةً مَعًا نُمَّتَ يَنْبَاعُ أَنْبِيَاعِ الشُّجَاعِ (٦)
وَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ ، وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا (٧)
وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ لَقِيْطٍ (٨) أَوْ ابْنُ ذِي الْقُرُوحِ (٩) :

شَمُوسٌ يَظُلُّ الْقَوْمَ مَعْتَصِمًا بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَا حِزْمٍ مِنَ الْقَوْمِ عَادِيًا

-
- (١) يقول : ليترك تحلف ألا تبرني ؛ فقد سئمت برك وما تحملني من المن .
(٢) في معجم الأدباء : « في ماصفاحيه » . وصواب ما في المعجم : « في ماضني حية » .
(٣) كذا في الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا في الموقفيات للزبير بن بكار
طبعة وستفيلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق الليدي بوعبي . والشعر
منسوب في المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير التلمبسي . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع .
(٤) وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قريظ ، يرفى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب
مصعب بن الزبير ، وكان وقى له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ،
وكذا خزنة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .
(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .
(٦) ينباع : يشب ويسطو .
(٧) روى : « وأطرق » في حاسة البحري ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميداني (١ :
٣٩٥) . وروى في سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام
المثنى الألف في أحوال الإعراب للثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ :
٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم
المرزباني ٢١٣) :
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغَا لِنَايِيهِ الشُّجَاعُ لَقَدْ أَرَمَ
(٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .
(٩) المعروف في الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذرى وأغدو على همى وإن بت طاوياً
 وإني أهض الضيم منى بصارم رهيّف وشيخ ماجد قد بنى ليا (١)
 وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبداً نابتة مستوية ، فإن أنكرت شيئاً
 فنشطها كالبرق الخاطف .

ووصف آخر أفعى ، فقال :

وقد أرائى بطوىّ الحسّ وذات قرنين طحون الضرس (٢)
 نضاضة مثل انشاء المرس (٣) تدير عيناً كشهاب القبس
 لما التقينا بمضيق شكس (٤) حتى قنصت قرنها بخمس (٥)

وهم يتهاجون بأكل الأفاعى والحيات . قال الشاعر :

فإياكم والرّيف لا تقربنه فإن لديه الموت والحتم قاضياً
 هم طردوكم عن بلاد أبيكم وأنتم حلول تشتون الأفاعياً

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور (٦)

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) في الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ما عند الديمري .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحيل . وقد سكن الراء للشعر . وفي الأصل :
 « الررس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) في اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفي س : ط : « قبوتها »
 وصوابهما في ه .

(٦) أنور ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد في الكامل ٣٨٣ ليسك : « وقوله :
 وأنور ، إن شئت هموت ، وإن شئت لم تهزم » . ورويت : « أنور » عند
 الهنئى (١ : ٣١٨) .

وغياب قَمِيرٍ كُنتَ أَرْجُو مَغِيْبَهُ وَرَوْحَ رُعْيَانَ وَهُوَ مَسْمُومٌ
وَنَفَضْتُ عَنِّي اللَّيْلَ^(١) أَقْبَلْتُ مِشِيَةَ الْحُبَابِ ، وَرُكْنِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَرْوَرُ^(٢)

(ضرب المثل بسم الأسود)

[و]^(٣) ضَرَبَ كَلْثُومٌ بِنَ عَمْرٍو المثلَ بِسْمِ الأَسْوَدِ ، فَقَالَ^(٤) :

تَلُومٌ عَلَى تَرْكِ الغِنَى^(٥) بِأَهْلِيَّةٍ^(٦) طَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرْفٍ وَتَالِدٍ
رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الكُسَا^(٧)

مَقْلَدَةً أَجِيَادَهَا بِالقِلاَئِدِ

بِسْرُكٍ أَنَّى نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ مِنْ المَلِكِ ، أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بِنَ خَالِدٍ^(٨)

(١) يروى : « ونفضت عنى العين » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيب وألطف . ورواية العيني : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغاني (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال ، فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والمقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحامسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .
والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفر البرمكى ، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْضَىٰ فِي مَعْصَمًا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَارِدِ! (١)
ذَرْنِي تَجَنُّنِي مِيتِي مُطْمَئِنَّةً وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ (٢) تِلْكَ الْمَوَارِدِ
فَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ (٣)

(حيات الجبل)

وفي التشنيع لحيات الجبل ، يقول اللعين المنقري (٤) : لرؤية
ابن العجاج (٥) :

= البرمكي فقد قتله الرشيد في قصة مؤسفة ، يرويها المسعودي في مروج الذهب .
وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا في حبسهما .
(١) أعضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى في البيان
والفرر وعيون الأخبار وحاسة ابن الشجري والأغاني : « أعضنى مخصمها » .
والمرهقات : السيوف المرققات . والبوارد : التي تثبت في الضريبة ، لا تنثني .
وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى
وفي الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه في البيان وعيون الأخبار وحاسة
ابن الشجري والمروج والزهر . وفي العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا في ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول »
ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً في البيان وعيون الأخبار . وفي الزهر : « فإن رفيعات المعالي » ،
والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحجاسة : « فإن رفيعات الأمور » ، والعقد :
« وجدت لذاذات الحياة » ، والأغاني : « رأيت رفيعات الأمور » ، وديوان المعاني
(١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف
الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت في محاضرات
الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحترى في حماسه ص ٨ البيتين منسوبين إلى المسكبر الضبسي . والعين المنقري
سبقت ترجمته في (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثاني من البيتين برواية : « خلت اللؤم والخور » في سيبويه ١ : ٦١ والعين ٢ :
٤٠٤ منسوباً إلى العين .

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا رُوبُ ، والحية الصماء في الجبل^(١)
أبا الأراجيز يا ابن اللؤم توعدني وفي الأراجيز جلب اللؤم والكسل^(٢)

(خبران في الحيات)

الأصمعي ، قال : حدّثني ابن أبي طرفة^(٣) ، قال : مرّ قومٌ حجاجٌ من أهل
العين مع المساء ، برجلٍ من هذيل ، يقال له أبو خراش ، فسألوه القرى ،
فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مسقاةٌ ، وبذلك الشعب ماء ! فقالوا : ما وفيتنا
حقّ قرانا ! فأخذ القرية فتقلدّها يسقيهم ، فهشته حية .

قال أبو إسحاق : بلغني وأنا حدث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
« نهى عن اختناث فم القرية ، والشرب^(٤) منه » . قال : فكنت أقول :
إن لهذا الحديث لثأناً ، وما في الشرب من فم قرية حتى يجيء فيها هذا
النهي ؟ ! حتى قيل : إن رجلاً شرب من فم قرية ، فوكمته^(٥) حية فمات ،
وإن الحيات تدخل في أفواه القرب . فعلمت^(٦) أن كل شيء لا أعرّف^{٨٩}
تأويله من الحديث ، أن له مذهباً وإن جهلته^(٧) .

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى للبحترى : « إن كنت
تنكرني » . قوله : « والحية الصماء » أي وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية للبحترى : « أبا لأراجيز » . في س ، ط :
« يوعدني » صوابه في هـ وحلمة للبحترى . وروى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم
والفشل ، على الإقواء . وعند البحترى : « إن الأراجيز رأس اللؤم والفشل » .

(٣) الخبر في الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختناث فم القرية والسقاء : ثناء إلى خارج فشرب منه . وفي الأصل : « اجنتاث »
بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه في نهاية ابن الأثير واللسان (مادة
خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكمته الحية : لئغته .

(٦) في الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلة أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا بما يغير ريحه ، ويأنه
يجعل الماء يترشش على المشارب لسعة فم السقاء . انظر للنهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سلخِ الحِيَّةِ :

حَتَّى إِذَا تَبَاعَ بَيْنَ سَلَخَيْنِ وَعَادَ كَالْمَيْسَمِ أَحْمَاهُ الْقَيْنُ (١)
أَقْبَلَ وَهُوَ وَاثِقٌ بِثَنَتَيْنِ : بِسَمِّهِ الرَّأْسَ وَنَهَشَ الرَّجْلَيْنِ (٢)
قال : كَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ سَمَّهُ لَا يَكُونُ قَاتِلًا مُجْهَزًا حَتَّى تَأْتِيَ
عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أَنَّ السَّلَخَ لِلْحِيَّةِ مِثْلُ الْبَرْزُولِ وَالْقُرُوحِ لِلخَفِّ وَالْحَافِرِ .
قال : وليس ينسلخ إلا بعد سنين كثيرة ، ولم يقفوا من السنين
على حدٍّ .

وزعم بعضهم أَنَّ الحِيَّةَ تَسْلُخُ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّتَيْنِ - وَالسَّلَخُ فِي الحَيَاتِ
كَالتَّحْسِيرِ مِنَ الطَّيْرِ - وَأَنَّ الطَّيْرَ لَا يَجْتَمِعُ قُوَّةً إِلَّا بَعْدَ التَّحْسِيرِ وَتَمَامِ
نباتِ الرِّيشِ . وَكَذَلِكَ الحِيَّةُ ، تَضَعُفُ فِي أَيَّامِ السَّلَخِ ثُمَّ تَشْتَدُّ بَعْدَ .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيّ : أَخْبَرَنِي أَبُو رِفَاعَةَ (٣) ، شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ ، قَالَ :
رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي أَتَخَطَّى حَيَّاتٍ . فَطَرَّتِ السَّمَاءَ ، فَجَعَلَتْ أَتَخَطَّى سُبُولًا .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رفاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أن رجلاً رأى في المنام في بيوته حيَّاتٍ ، فسأل من ذلك ابن سيرين أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزله أعداءُ المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ في بيته .

(شعر للعرجي والشمخ في الحيات)

قال العرجيُّ ، في ديباب السمِّ في المنهوش :

وأشربَ جِلْدِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمَشَى حُمَيْبَا الكَأْسِ فِي جِلْدِ شَارِبِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبُّهَا ، كَمَا دَبَّ فِي المِسْوَعِ سَمُّ العَقَّارِبِ
وقال العرجيُّ في العرماء^(١) من الأفاعي ، وكونها في صدوعِ

الصَّخْرِ ، فقال :

تَأْتِي بَلِيلٌ ذُو سَعَاةٍ^(٢) فَسَلَّهَا بِهَا حَافِظُ هَادٍ وَلَمْ أَرْقِ سَلِمًا^(٣)
كَمَثَلِ شِهَابِ النَّارِ فِي كَفِّ قَابِسٍ إِذَا الرِّيحُ هَبَتْ مِنْ مَكَانٍ تَضَرَّمَا
أَبْرًا عَلَى الحَوَاءِ^(٤) حَتَّى تَنَازَرُوا حِمَامَةً^(٥) مَحَامَاةً مِنَ النَّاسِ ، فَاحْتَمَى^(٦)

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفي الأصل : « العرما » . وكلمة « في » قبلها ساقطة من س ، ه .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعا » بدون إعجام . وصوابهما في ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر مع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجي ممن يحتج بكلامه ، فإنه توفي نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلاً ينحو نحو ابن أبي ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . واقتب بالعرجي لسكناه قرية العرج في الطائف . وفي س ، ه : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا في بيت للنابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفي الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) في الأصل : « فاحتما » .

يَظَلُّ مُشِيحاً سَامِعاً ، ثُمَّ لِإِنِّهَا إِذَا بُعِثَتْ لَمْ تَأَلُ إِلَّا تَقَدُّماً (١)

قال : ويقال : تطوّت (٢) الحية . وأنشد العرجي :

ذَكَرْتَنِي إِذْ حَيَّةٌ قَدِ تَطَوَّتْ بِرَقَا عِنْدَ عَرْسِهِ فِي الشَّيَابِ (٣)

وقال الشَّيْخُ ، أَوْ الْبَعِيثُ (٤) :

وَأَطْرَقَ لِأَطْرَاقِ الشَّجَاعِ وَقَدِ جَرَى عَلَى حَدِّ نَابِيهِ الدُّعَافُ الْمَسْمُومُ (٥)

(ما ينبغ من الحيوان)

٩٠ والأجناس التي تُذَكَّرُ بالنَّبَاحِ : الكلب ، والحية ، والطَّبْيُ إِذَا

أَسَنَّ ، وَالْمُهْدَهُدُ . وقد كتبنا ذلك مرة ثم (٦) .

قال أبو النَّجْمِ :

وَالْأَسَدُ قَدِ تَسْمَعُ مِنْ زَيْبِهَا وَبَاتَتْ (٧) الْأَفْعَى عَلَى مَحْفُورِهَا

تَأْسِيرُهَا يَحْتَكُ فِي تَأْسِيرِهَا (٨) مَرَّ الرَّحَى تَجْرِي عَلَى شَعِيرِهَا

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنها أخرى . والحية بما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا للشطر في ط ، هـ . وفي س : « عند عريسه » ، وكلا النصين

محرف . وانظر ديوان العرجي ١١٥ .

(٤) ليس البيت في ديوان الشيخ .

(٥) في الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت في ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الطَّبْيِ ما سبق في (١ : ٣٤٩) ولنباح المهدهد ما سبق في (١ : ٣٥٠) .

وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) هـ : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة في اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التأسير ، وهي في أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ،

وجمله هنا جلدتها . و « يحتك » هي في الأصل « يحنك » بالنون .

وصوابه ما أثبت .

كَرْعَدَةَ الْجِرَاءِ أَوْ هَدِيرِهَا (١) تَضْرُمُ الْقَصَبَاءَ فِي تَنُورِهَا (٢)
تَوْقُرُ النَّفْسَ عَلَى تَوْقِيرِهَا تَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ فِي تَنْقِيرِهَا
* فِي عَاجِلِ النَّفْسِ وَفِي تَأْخِيرِهَا *

(قَوْلٌ فِي آيَةٍ)

وَسَنَذَكُرُ مَسْأَلَةً وَجَوَابَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا زَعَمُوا أَنَّ جَمِيعَ الْحَيَوَانَ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ يَطِيرُ ، وَشَيْءٌ يَمْشِي ، وَشَيْءٌ يَبْعَثُ ، وَشَيْءٌ يَنْسَاحُ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي
عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وَقَدْ وَضَعَ الْكَلَامَ عَلَى قِسْمَةِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانَ ، وَعَلَى تَصْنِيفِ ضُرُوبِ
الْخَلْقِ ، ثُمَّ قَصَرَ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي وَضَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ (٣) ، فَلَمْ يَذْكَرْ مَا يَطِيرُ
وَمَا يَبْعَثُ . ثُمَّ جَعَلَ مَا يَنْسَاحُ ، مِثْلُ الْحَيَّاتِ وَالذِّيدَانِ ، مِمَّا يَمْشِي ، وَالْمَشْيُ
لَا يَكُونُ إِلَّا بِرِجْلِ ، كَمَا أَنَّ الْعَضَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَمٍ ، وَالرَّمْحُ لَا يَكُونُ
إِلَّا بِحَافِرٍ . وَذَكَرَ مَا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَهَاهُنَا دَوَابُّ كَثِيرَةٌ تَمْشِي

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها .
وفي الأصل : « الجزاء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة
الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :
من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كعمعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضاة » و : ه :
« النضا » و س : « القضاة » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .
(٣) هذا سكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم
في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمٍ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومن تفقّدَ قوائمَ
السّرطانِ وبناتِ وِرْدَانِ ، وأصنافَ العناكبِ - عرّفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التّأويل وحده . فما الدّليلُ على أنّه
وضع كلامه في استقصاءِ أصنافِ القوائمِ ؟ وبأى حُجّةٍ جزّمتُم على ذلك ؟
وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَفَوَدَّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ
الشَّيَاطِينِ وَالنَّارِ لَهُمْ آكُلٌ ، وعذابهم بها أشدُّ . فَتَرَكَ ذِكْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ
نِسْيَانٍ ، وعلى أن ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ :
﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (١) ، أخرج
من هذا العموم عيسى بنَ مريمَ ، وقد قصّدَ في مخرَجِ هذا الكلامِ [إلى (٢)]
جميعَ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ
شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أُدْخِلَ فِيهَا آدَمَ وَحَوَاءَ . ثم قال على صلة الكلامِ :
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وَحَوَاءَ
وعيسى بنَ مريمَ . وحسُنَ ذلك إذ كان الكلامُ لم يُوضَع على جميع ما تعرفه
النُّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللفظِ . فقولُه : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ٩١
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ (٣) كان على
هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أن كلَّ شَيْءٍ يَمْشِي على أربعٍ فهو مما يَمْشِي على
رجلين ، والذي يَمْشِي على ثمانٍ هو مما يَمْشِي على أربعٍ ، وعلى رجلين .

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يَمْشِي على أربعٍ » في ط ،
س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في ه .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبرت أن لك عليه ما بين درهم^(١) إلى عشرة آلاف .

وأما قولكم : إن المشى لا يكون إلا بالأرجل ، فينبغي أيضاً أن تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إن ذلك خطأ ؛ لأن السعى لا يكون إلا بالأرجل . وفي هذا الذى جهلتموه ضروب من الجواب : أما وجه منه فهو قول القائل وقول الشاعر : « ما هو إلا كأنه حية » ، و : « كأن مشيته مشية حية » يصفون ذلك ، ويذكرون عنده مشية الأيم والحباب ، وذكور الحيات . ومن جعل للحيات مشياً من الشعراء ، أكثر من أن نقف^(٢) عليهم . ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسيابها مشياً وسعياً ، لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل ، وأن قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبه به في حالات كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنه أجره مجرى كلامهم ، كقول حاتم حين أمرؤه بفسد بعير ، وطعنه في سنامه ، وقال : « هذا فصد^(٣) ! »

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفي هـ أيضاً : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفسد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية في شدة الأزمات يفضون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم في معى من الأمداء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميداني (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصلى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً في عنزة فأمرته أم منزله أن يفسد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصلى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربه .

وقال الآخر :

فقلتُ يا عمرو أطمعنيَ تمرًا^(١) فكان تمرى كَهْرَةً وَزَبْرًا^(٢)

وذمَّ بعضهم^(٣) الفأرَ وذكرَ سوءَ أثرها في بيته ، فقال :

ياعَجَلَ الرَّحْمَنُ بالعقابِ لِعامراتِ البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرَّجُلُ ، « مانرى من خيرك

ورفدك إلا مايلغنا من حطبك^(٤) علينا ، وقتك في أعضادنا^(٥) ! »

وقال النَّابِغَةُ في شبيهِ هذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلولُ من قِراعِ الكتابِ

ووجهُ آخر : أن الأعرابَ تزعمُ - وكذلك قال ناسٌ من الحوَّاثين

والرَّقائين - إنَّ للحية حوزا^(٦) في بطنه ، فإذا مشى قامت حُزوزه^(٧) ،

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطمعني عمير » ، والحيوان (٥ : ٢٢) :

« قالت أفاطم عميرا » . وروى في الخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطمعني

عمير تمرًا » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عمير :

تصغير عم . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهاز . وللزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل للبصرة فاشترى خبزاً فأكله فأثار . انظر الحيوان (٥ : ٥ :

٢٥٨) وديوان المغانى (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان

بفلان : سعى به » ؛ فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا .

وفى الأصل وكذا في بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « حطبك » بالحاء . ولا تتجه إلا

بتكلف . وما ييلغنا : أى ما يصل إلينا .

(٥) انت في ضده : رام لإضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته .

ط : « وقتك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضادنا »

صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « حوزوا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « حوزوه » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشىَ تراجعتُ إلى مكانها ، وعادتُ تلكَ المواضعُ مُلْساً . ولم
تُوجدَ بعينٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبلغها إلا كَلُّ حَوَاءٍ دَقِيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربىِّ ؛ فَإِنَّهُ يظهرُها كالدَّلْوِ ،
فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجعَ ذلكَ الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢
عليه بلمسٍ ولا عَيْنٍ . وكذلك عروقُ الكُلَى^(١) إلى المائة التى يجرى فيها
الحصى المتولدُ فى الكُلِيَّةِ إذا قَدَفْتَهُ^(٢) تلكَ العروقُ^(٣) إلى المائة ، فإذا
بال إنسانُ انضمتَ العروقُ واتصلتْ بأماكنها ، والتحمتْ حتى كان
موضعها كسائر ما جاوز تلكَ الأماكن .

ووجهُ آخر : وهو أن هذا الكلامَ عربىٌّ فصيحٌ ؛ إذ كانَ الذى جاء به
عربياً فصيحاً ، ولو لم يكنَ قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثمَّ كانَ كلامَ
الذى جاء به ، وكانَ ممن يجهلُ اللَّحْنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماءِ فى لغته ،
لكانَ هذا - خاصةً - ممَّا لا يجله .

فلو أننا لم نجعلَ لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبُوَّةٍ ، ولا مزِيَّةً
فى البيانِ والفصاحةِ ، لكنَّا لا نجدُ بدءاً من أن نعلمَ أنَّه كواحدٍ من الفصحاءِ .
فهل يجوزُ عندكم أن يخطىءَ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ،
أو خُطْبَةٍ أو رسالةٍ ، فيزعمُ^(٤) أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك
الذى قال^(٥) ليس من لغته ولا من لغة أهله ؟ ! فعلومٌ عندَ هذا الجوابِ ،
وعند ما قبله ، أن تأوليسكم هذا خطأ .

(١) ط : « الكلا » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع
كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت فى ط ، س بالألف .
وفى هـ : « انحصا » صوابهما ما أثبت . وفى الأصل : « قذفها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلكَ العروقِ » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وحلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴾
وأصحابُ الجنة لا يوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبرني
عن أهل الجنة ، بأيِّ شيء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول الحبيب : لا ،
ماشغلهم إلا في افتضاضِ الأبيكار ، وأكلِ فواكه الجنة ، وزيارة الإخوان
على منجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جوابِ عامر بن عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل
من جهة الحلبة^(١) ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله
عليه وسلم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إِيَّيْكَ أَسَأَلُكَ عَنْ
الْحَيْلِ ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بكرة وعشي . وقد صدق القرآن ، وصدق
المفسر ، ولم يتناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسرُ
ذهبَ إلى الموجودِ ، من دوران ذلك مع غروب الشمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى روى عن عمر أنه قال : « مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْهَيْتُهُمَا وَأَضْرَبْتُ عَلَيْهِمَا (٢) » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل في الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث في البيان
(٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبه إلى عامر . كما رواه في البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا
إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا في كتاب العباسية
من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهي ما يسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل
مسمى في العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا
في أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فَاِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ فَيُضِئَهُنَّ » ، ثم نسخ ذلك ينهى الرسول .

قد كان المسلمون يتكلمون في الصَّلَاة وَيُطَبِّقُونَ^(١) إذا ركعوا ، فنَهَى
عن ذلك إمامٌ من الأئمَّةِ ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ ، بعد أن أظهرَ النَّسَخَ ، وعرفَهم
أن ذلك من المنسوخ ، فَكَانَ قَائِلاً قَالَ : أُنْتَهَانَا عَنْ شَيْءٍ ، وقد كان على
عهد النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فيقول : نعم . وقد قَدَّمَ الاحتجاجَ ٩٣
في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ^(٢) .

ومن العَجَبِ أَنَّ نَاساً جَعَلُوا هَذَا الْقَوْلَ عَلَى الْمَنْبَرِ مِنْ عِيُوبِهِ . فَإِنْ
لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فَمَا فِي الْأَرْضِ أَجْهَلُ مِنْ عُمَرَ حِينَ يُظْهِرُ
الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَنبَرِ الْجَمَاعَةِ ، وَهُوَ إِتْمَاعُهُ بِالْإِسْلَامِ . ثُمَّ فِي شَيْءٍ
لَيْسَ لَهُ حُجَّةٌ فِيهِ وَلَا عِلَّةٌ . وَأَعْجَبُ مِنْهُ تِلْكَ الْأُمَّةُ ، وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ [الَّتِي^(٣)]
لَمْ تَنْكِرْ تِلْكَ السَّكَلِمَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَلَا بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ جَمِيعُ
التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ ، حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَهْلِ دَهْرِنَا هَذَا .
وَتِلْكَ الْجَمَاعَةُ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ عَلَى أَنْ سَيَّرَ رَجُلًا^(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ
قال في حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قوله
عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على
عهد رسول الله وحرمتا أيضاً في عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى
عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) في الأصل : « يضيعون » ، وهو تحريف صوابه ما في البيان (٢ : ٢٨٢) .
والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويحملهما بين ركبتيه في الركوع والتشهد .
وقد كان ذلك من فعل المسلمين في أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلزام الكفين
رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء في البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هذا الرجل الصحابي الجليل ، أبو ذر الغفاري . وكانت له ثورة مشهورة على
الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الريدة ، وهي من قرى =

وهذا لا يقوله إلا جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَبْسُ الْمَهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلَسَكِنَ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنَّارِ خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل في الجنة خزائن وجعل لها خزنة .

ولو أنَّ جهنَّمَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، ونُحِّيَ ^(١) عنها الخزنة ، ثم قيل لكلِّ لَصٍ في الأرض ، ولكلِّ خائنٍ في الأرض : دونك ؛ فقد أُبِيحَتْ لك ! لَمَّا دنا منها ، وقد جُعِلَ لها خزائنٌ وخزنة . وإِنَّمَا هذا على مثال ما ذكرنا . وهذا كثيرٌ في كلامِ الْعَرَبِ .

والآئِي التي ذكرنا في صِدْقِ هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين ^(٢) .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ .
واسم أبي ذر جنذب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان في مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث توجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .
(١) ط ، س : « نحى » ، صوابه في هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس في الآخرة إلا الفريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، فترتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد في النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين .

(شعر خلف الأحمر في الحيات)

وقال خلف الأحمر في ذكر الحيات :

يَرُونَ الْمَوْتَ دُونِي أَنْ رَأَوْنِي وَصِلَّ صَفًّا لِنَبَائِيهِ ذُبَابٌ^(١)
مِنْ الْمُتَحَرِّمَاتِ^(٢) بِكَهْفِ طَوْدٍ حَرَامٍ مَا يُرَامُ لَهُ جَنَابٌ^(٣)
أَبِي الْحَاوُونَ أَنْ يَطْنُوا حِمَاهُ وَلَا تَسْرِي بَعْقُوته الذُّنَابُ^(٤)
كَأَنَّ دَمًا أَمِيرَ عَلَى قَرَاهُ وَقَطْرَانًا أَمِيرَ بِهِ كُيَابٌ^(٥)
إِذَا مَا اسْتَجْرَسَ^(٦) الْأَصْوَاتَ أَبَدِي لِسَانًا دُونَهُ الْمَوْتُ الضُّبَابُ^(٧)

(١) ذباب التاب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرّمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل في ذمته وحمايته . يقول :
هو من تلك الحيات التي تحرمت بذاك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يجاوطها
أحد . في الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفي الأصل : « عرام » .
يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه في س ، هـ . والمعقوة ، بالفتح : الساحة ،
وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأسأله . وفي الأصل « أمر » في الموضعين ، بمعنى جعل يمر ،
وما كتبت أشبه . وجاء في الحديث : « أمر للدم بما شئت » . والمأثرات :
الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمأثرات حول حوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالنم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفي الأصل :
« استجرش » ولم أجد له وجها ، وما يميز هذا التصحيح ما جاء في ص ١٠٢
من قول عنبرة :

رفقد صحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذ واحله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفي اللسان : « والموت
الصهاني : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدي :

فجئنا إلى الموت الصهاني بعدما تجرد عريان من الشر أحذب » .

إذا ما الليلُ ألبسه دُجَاهُ سَرَى أصمى تصيحُ له الشُّعَابُ^(١)
فقلت لحَيَّان^(٢) بن عتبى^(٣) : [لِمَ^(٤)] قال موسى بن جابر
الحنفي^(٥) :

طَرَدَ الأَرْوَى فَمَا تَقَرَّبَهُ وَنَفَى الحَيَّاتِ عَن بَيْضِ الحَجَلِ^(٦)
قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتُ . [قلت^(٧)] : فلم قال خلفُ الأَحرَم :

* ولا تسرى بعقوته الذناب * ؟

قال : لَأَنَّ الذَّنَابَ تَأْكُلُ الحَيَّاتُ . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ حَدَسَ^(٨) ولم يقل بعلم .

(١) الأسمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه في س ه . و « تصيح » هي في
س : « تصيح » . ولو كانت « تصيح » لزادت حسنا .

(٢) ط : « حيات » صوابه في س ، ه .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعر له على تحقيق . وجاء في عيون الأخبار (٢) :

(٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذي ورث نصف دار أبيه ،

فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري النصف الباقي فتصير كلها لي !

فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بني حنيفة ، يقال له ابن الفريعة ، وهي أمه ، كما أن حسان

ابن ثابت يقال له ابن الفريعة . المؤلف ١٦٥ . وقال المرزباني في معجمه ٣٧٦

إنه نصراني جاهلي ، يلقب أزيق النيامة . والحق أنه إسلامي ، وأنه قال شعراً

في الإسلام . انظر الأغاني (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره في الحماسة (١) :

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفي شرح الحماسة للتبريزي

(١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن في العرب

من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا في الإسلام ، لما نزل القرآن

وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه في س ، ه .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتنخمين .

(مناقضة شعرية لازيادي ويحيى بن أبي حفصة)

وقال الزيادي في يحيى بن أبي حفصة (١) :

إني ويحيى وما يبغى كملتَمِسِ صَيْدًا وما نال منه الرِّىَّ والشَّبَعَا ٩٤
 أَهْوَى إِلَى بَابِ جُحْرٍ فِي مَقْدَمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فِي رَأْسِهِ قَزَعَا (٢)
 اللَّوْنُ أَرِيدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ عَصَلُ تَرَى السَّمَّ يَجْرِي بَيْنَهَا قِطْعَا (٣)
 يَهْوَى إِلَى الصَّوْتِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ تَقْوَرُ السَّيْلُ لَاقِيَ الْحَيْدَ فَاطْلَعَا (٤)
 لَوْ نَالَ كَفَّكَ آبَتْ مِنْهُ مَخْضِبَةٌ بَيْضَاءُ قَدْ جَلَّتْ أَنْيَابُهَا قَزَعَا (٥)
 بِيَعَتْ بُوَكْسٍ قَلِيلٍ فَاسْتَقَلَّ بِهَا مِنْ الْهَزَالِ أَبُوهَا بَعْدَ مَا رَكَعَا
 فَرَدَّ عَلَيْهِ يَحْيَى فَقَالَ :

كَمْ حَيَّةٌ تَرْهَبُ الْحَيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمَى لِرَيْدِيهِ (٦) قَدْ غَادَرْتَهُ قِطْعَا

- (١) هو جد مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) :
 « وليحيى أشعار كثيرة » .
 (٢) العسب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها .
 والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .
 (٣) شابكة : مشبكة . ط ، س : « شائلة » ه : « سائلة » . وصوابه ما
 أثبت . وانظر ما سياتى في (٥ : ٣٣٤) . والعصل : المتلويات . وفي الأصل :
 « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .
 (٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شيء . والتقور : الثنى . وفي
 الأصل : « تمود » . وانظر ما سبق في ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى في مشيه
 كما يتلوى ماء السيل إذا لاق حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع
 لجره وتلويه .
 (٥) كذا ورد هذا البيت . وفي ط : « قذعا » بالذال المعجمة .
 (٦) أى تدركه الحمية والأنفة إذا اعتدى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناق*
 من الجبل . س : « لذيزه » .

يَلْقَيْنَ حَيَّةَ قَفٍّ ذَا مُسَاوِرَةٍ يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعًا (١)
 تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ ؛ لِمَا يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنَهُ ، قَزَعًا (٢)
 أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضْرَاءِ أَبِيسْهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَا (٣)

(شعر في الحيات)

وقال آخر :

وَكَمْ طَوَّتَ مِنْ حَنْشٍ رَاصِدٍ لِلسَّفْرِ فِي أَعْلَى الثَّنِيَّاتِ (٤)
 أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عَصَلٍ حَدِيدَاتِ (٥)
 مَنَهَتْ الشَّدَقِ رَقُودِ الضَّحَى سَارٍ طَمُورٍ فِي الدُّجُنَاتِ (٦)
 ذِي هَامَةٍ رَقَطَاءٍ مَقْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ (٧)
 صِلْ صَفًّا ، تَنْظِفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٨)

- (١) القف : بالضم : مرتفع حجري . و « يسق » هي في الأصل : « تسق » .
 والوجه ما أثبت .
- (٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س :
 « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه في ه .
- (٣) سبق الكلام على هذا البيت في (٢ : ١٣٧) وفي هذا الجزء ص ١٨٣ .
- (٤) الثنية : الطريق العال في الجبل .
- (٥) الأنياب المصل : الملتوية . ه : « عضل » ، صوابه في س ، ط .
- (٦) منهت الشدق : واسعه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا »
 صوابه في س ، ه .
- (٧) مقطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، ه .
- (٨) تنظف أنيابها ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسام ، بالكسر : جمع سم .
 والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ،
 ولعلها « ميرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت في ٢٣٤ .

مُطِلْنَ فِي الْأَحْيَيْنَ مَطْلًا إِلَى رَأْسِ وَأَشْدَاقِ رَحِيَّاتِ (٤)
 قَدَّمْنَ عَنْ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى سِمَاخِينِ وَلَهْوَاتِ (٢)
 يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفْحٌ وَنَفْثٌ فِي الْمَغَارَاتِ (٣)
 وَتَارَةً تَحْسُبُهُ مِيَّتًا مِنْ طَوْلِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتِ (٤)
 وقال آخر ، وهو جاهليٌّ :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمُ
 فَابَعَثَ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَمِيمَةٌ مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصْمٌ (٥)
 أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرَّقِطِ الْعُرْمِ (٦) قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمِشِي بَدَمٌ ٩٥
 فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجَوْعُ شَمٌ (٧) حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ
 يَمَسَّ مِنْهُ مَضَضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقَمَّ

(١) سبق هذا البيت في ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه في س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرسين .
 والسماخ بكسر السين : لغة في الصباخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات
 جمع للهامة ، وهي اللحمية المشرفة على الخلق . وقد سكنت الماء للشعر ، كما أنه
 جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لغة واحدة .

(٣) س : « المغارات » ، صوابه في ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفي الأصل :
 « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفمى ينفث السم صل

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصله من الخبت ، وهو المظنن
 من الأرض .

(٥) سبق في ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد
 ضمت الراء في (العرم) لضرورة للوزن . وفي الأصل : « القدم » ،
 ووجهه ما أثبت .

(٧) في الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أنصده الجوع : أسابه . وفي الأصل :
 « أفضل » ووجهه ما أثبت ، كما سبق في ١١٩ . وشم ، أى تسم الهواء
 ليغتنى به . وانظر ما سبق في ص ١١٩ .

ولم يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَمَمٌ وَلَا لُخُوفٍ رَاعَهُ وَلَا لِيَهُمٌ
 حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصْمٍ ^(١) فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ ^(٢)
 بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍ ^(٣) كَأَنَّ وَخَزَ نَابِهِ إِذَا انْتَضَمَ
 * وَخَزَةٌ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمٍ ^(٤) *

ومخالب الأسد وأشباؤه الأسد من السباع ، تكون في غُلفٍ ^(٥) ، إذا
 وطئت على بطنون أكفها ترفعت المخالب ، ودخلت في أكام لها . وهو قول
 أبي زبيد :

بُحْجِنُ كَالْحَاجِنِ فِي فَتُوخٍ يَقِيهَا قِصَّةَ الْأَرْضِ الدَّخِيسِ ^(٦)
 وكذلك أنياب الأفاعي ، هي مالم تعضَّ فَمُؤَنَةٌ في أكام . ألا تراه
 يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ بِمِذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كُمٍ ^(٧)

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه
 في س ، ه .

(٢) هو من خاضه بالسيف خووضاً : وضعه في أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . ه . « لمذوب » ، صوابه في س ، ه . والكُم ،

بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشق : الخرز ، يذكر ويؤنث . والعطوف ، بالفتح : المعطوف . وذا أظهر

لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، ه .

(٦) الحجن : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زيد بنعته . والحاجن : جمع

بحجن ، وهو العصا الموعجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالحاء المعجمة في آخره : هو

من الأسد مفصل مخالبه ، كما في القاموس . وفي الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة

مصحف . والفضة ، بكسر القاف وفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى

الصغار . وفي الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت في التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه

في س ، ه . ه . ه : « لمذوب » ، محرف .

(رجز وشعر في لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضناضاً كثيرَ الصَّقْرِ (١) مولده كمولدِ ابنِ الدَّهْرِ (٢)
كاناً جميعاً وُلِداً في شَهْرِ يَظُلُّ في مرَأى بَعِيدِ القَعْرِ
* بَيْنَ حَوَا فِي سَدِيرٍ وَصَخْرٍ (٣) *

وقال :

وكيفَ وقد أسهرتُ عَيْنَكَ تبتغى عِنَادًا لِنبأِي حَيَّةٍ قد تَرَبَّدَا (٤)
من الصَّمِّ يَكْفِي مرَّةً من لُعَابِهِ وما عَادَ إِلَّا كَانَ في العَوْدِ أَحْمَدَا (٥)
(شعر لخلف في الأفعى)

وقال خلفُ الأَحر - وهي مخلوطةٌ فيها شيءٌ ، وله شيءٌ ، من الغبرة (٦)

- (١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفي الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر .
وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .
- (٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد
فسره الثعالبي في ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومي :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله
في الأصل : « ومولد ابن الظهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عني الراجز
أن ذلك الحية متقادماً الميلاد ، وذلك مما يزيد في شدة سمه .
- (٣) الحواري : جمع حافة ، بفتح الفاء الخفيفة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب .
والسدر ، كسكتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفي
الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
- (٤) تربد : صار أربد . والريدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ،
والحية تذكر وتؤنث .
- (٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » ، صوابهما ما أثبت . والشطر الثاني
فيه تمهك .
- (٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا في صدر الفقرة مسبوقتين بنحو
كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحاً لها ، كما أسلفت في التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أن أحداً وصف عينَ الأفعى على معرفةٍ واختبارٍ غيره -
وهو قوله :

أَفْعَى رَخُوفِ الْعَيْنِ مِطْرَاقِ الْبُسْكَرِ^(١)

داهية قد صغرت من الكبير

صِلَّ صَفْئاً مَا يَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ^(٢) طويلة الإطراق^(٣) من غير حسر

كَأَنَّمَا قَدَّ ذَهَبَتْ بِهِ الْفِسْكَرُ شُقَّتْ لَهُ الْعَيْنَانِ طُولاً فِي شَتْرٍ

مهروثة الشديقين حولاء النظرُ جاءَ بها الطوفان أيامَ زَخَرٍ^(٤)

كَأَنَّ صَوْتَ جَلْدِهَا إِذَا اسْتَدْرَ^(٥) نَشِيشُ جَمْرٍ عِنْدَ طَاهٍ مَقْتَدِرٍ

(أحاديث في الوزغ)

هشام بن عروة قال : أخبرني أبي أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
كانت تقتل الأوزاع . ٩٦

يحيى بن أبي أنيسة^(٦) ، عن الزهري ، عن عروة^(٧) ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رخص بمعنى استرخى . ط ، ه ، « زحوف » صوابه في س .

ومطراق البكر : أى يطرُق إطراقاً في الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أمه
انتباهها فيكون على أشده في الليل .

(٢) صلال الصفا من أحيث الحيات . وقد بالغ الراجز في جعله الصل لا ينطوى من

شدة قصره . في الأصل : « صل صفاً ينطوى » ، وضوابه ما سبق في ص ١١٩ .

(٣) في الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون

مع النظر في الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عني أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبي أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة

ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبي بكر =

قالت : « سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسقِ » .
قالت : « ولم أسمعُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال (١) قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرني (٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة
« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويسقِ » .

أبو بكر الهذليُّ ، عن معاذ عن عائشة قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ وفي يدي عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : يا عائشة ، ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزغَ في بيتي . قال : إن تفعلِي فإنَّ الدَّوابَّ كُلَّها حين ألقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم في النَّارِ ، كانت تُطفى عنه ، وإنَّ هذا كان ينفخُ عليه ، فَصَمَّ وبرِص » .

وهذه الأحاديثُ كُلُّها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الأشياءَ كُلَّها كانت ناطقةً ، وأنها أمٌّ مجراها مجرى الناس .

(تأول آيات من الكتاب)

وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهري . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفي سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست في س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرني » .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
غَابِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾
وقال (١) تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ .

فذهبت الجهمية ومن أنكر إجماع الطوائع مذهباً ، وذهب ابن
حائط (٣) ومن لفَّ لفَّه من أصحاب الجهالات مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير
المتكلمين ، وأتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار ، وزعموا (٤) أن الحجارة
كانت تعقل وتنتطق ، وإعما سلبت المنطق فقط . فأما الطير والسباع
فعلى ما كانت عليه .

قال : والوطواط ، والضفدع ، والضفدع ، مطيعات ومثابات (٥) .
والعقرب ، والحية ، والحيدة ، والغراب ، والوزغ ، والكلب ، وأشباه
ذلك ، عاصيات معاقبات .

(١) في الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن

كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . السفاقي .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه

وأق في مذهبه بمنكرات عجبية . وما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة

على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمة أمثالكم » ، وقال :

إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها

نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ - ٨١) والفرق ٢٥٥ - ٢٥٩ حيث تجد

قولاً فكها ضارباً في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في س ، هـ .

ولم أفق^(١) على واحدٍ منهم فأقول له : إنَّ الوزَّغَةَ الَّتِي تَقْتُلُهَا عَلَى أَنَّهَا
كَانَتْ تُضْرِمُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، أَمْ هَذِهِ أُمُّ هِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا فَأُخَوِّدُ
هِيَ بِذَنْبِ غَيْرِهَا ؟ أَمْ تَزْعَمُ أَنَّهُ فِي الْمَعْلُومِ أَنَّ تَكُونُ تِلْكَ الْوَزَّغُ لَا تَلِدُ
وَلَا تَبْضُ وَلَا تُفْرِخُ إِلَّا مِنْ يَدَيْنِ بَدِينِهَا ، وَيَذْهَبُ مَذْهَبُهَا ؟ !
وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يَفْهَمُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا
يَكُونُ مَرْدُوداً ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يَكُونُ مَتَأَوِّلاً ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنْهَا يُقَالُ
٩٧ إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ بَعْضِ الْقَبَائِلِ .
وَلِذَلِكَ أَقُولُ : لَوْلَا مَكَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهَلَكَتِ الْعَوَامُّ ، وَاخْتِطَفَتِ
وَاسْتَرْقَتِ ، وَلَوْلَا الْمُعْتَزِلَةُ لَهَلَكَ الْمُتَكَلِّمُونَ^(٢) .

(أحاديث في قتل الوزغ)

شريك عن النَّخَعِيِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنَّ ابْنَ عَمْرٍو كَانَ يَقْتُلُ الْوَزَّغَ
فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ : هُوَ شَيْطَان !

هشام بنُ حَسَّانَ ، عن خالد الرَّبْعِيِّ ، قال : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ خَشَاشِ
الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ يُطْفِئُ النَّارَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا الْوَزَّغُ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَنْفِخُ عَلَيْهِ .
حنظلة بن أبي سفيان ، قال : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : إِنَّ
الْأَوْزَاقَ كَانَتْ يَوْمَ حُرْقِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَنْفِخُهُ وَالْوَطَاوِطَ^(٣) بِأَجْنِحَتِهَا .

شريك عن النَّخَعِيِّ ، عن جابرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الْوَزَّغُ
شَرِيكُ الشَّيْطَانِ .

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطاوط على وطاويط ووطاوط . كما هنا وكما في القاموس .

أبو داود الواسطي قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وَزْغَةً حَطَّ
اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ خَطِيئَةً ، وَمَنْ قَتَلَ سَبْعًا^(١) كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ .
هشامُ بن حَسَّان ، عن واصل مولى أبي عيينة^(٢) ، عن عقيل ،
عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنَّ أَقْتَلَ مِائَةً مِنَ الْوَزْغِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ
مِائَةَ رَقَبَةٍ .

وهذا الحديث ليس من شكل الأول ؛ لأنَّ يحيى بن يعمر لم يزعم
أنَّهُ يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابةٌ تُطَاعَمُ الْحَيَّاتِ وتُزَأَّقُهَا
وتقاربُها ، وربما قتلَتْ بَعْضُهَا ، وتكرَعُ في المَرَقِ واللَّبَنِ ثُمَّ تَمْجُجُهُ فِي الْإِنَاءِ
فينالُ النَّاسَ بِذَلِكَ مَكْرُوهٌ كَبِيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتلُهُ في سبيل
قَتْلِ الْحَيَّاتِ وَالْعُقَارِبِ .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ^(٣) يعملون منها سموماً أنفذَ من سَمِّ اللَّيْشِ^(٤) ، ومن ريق

(١) تحتل الرواية أن تكون سبعا بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتل
أيضا أن تكون سبعا بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواء
الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له للسيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥
بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة
تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلمهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا من يلون
أمرهم من المساجين ، أولتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذاً لما يوحى به إليهم
أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السحر » ، والأوفق ما أثبت كما في حيون
الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتي من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم
هذا السم .

(٤) الليش ، بالكسر : نبت صيني وهندي ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوزاق .
وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعي ؛ وذلك أنهم يُدخلون الوزغ قارورة ، ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ، ويضعونها في الشمس أربعين يوماً ، حتى تختلط بالزيت وتصير شيئاً واحداً . فإن مسح السجين منه على رفيف مسحة يسيرة فأكل منه عشرة أنفس ماتوا (١) . ولا أدري لم توخوا من مواضع الدفن عتب الأبواب (٢) .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبي أنيسة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعٍ ونهانا عن أربع : أمرنا أن نجفف أبوابنا ، وأن نخمر آيتنا ، وأن نوكي أسقيدنا ، وأن نطفيء سرجنا (٣) فإن الشيطان إذا وجد باباً مجافاً لم يفتحه ، وإناءً مخمراً لم يكشفه ، وسقاءً موكياً (٤) لم يحلّه . وإن الفويسقة (٥) تأتي المصباح فتضرمه على أهل البيت . ونهانا عن أربع : نهانا عن اشتغال الصائم (٦) ، وأن يمسي أحدنا في النعل

(١) ط : « ماتوا » ، صوابه في س ، ه .

(٢) أي دفنهم ما يقتلون من الأوزاع تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمر الآنية : تغطيها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أي شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، ه : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفي س : « موكا » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتغال الصائم : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيخطيما جميعاً ، فن ذلك ما قيل للصائم . ولفقها تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضمه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س : الصائم محرف .

الواحدة أو الخُفُّ الواحد ، وأنَّ يُحْتَبَى الرَّجُلُ مِنَّا فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ^(١) ليس عليه غيره ، وأنَّ يَسْتَلْقَى أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ وَيَرْفَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى^(٢) .
وهذا الحديثُ ليس هذا موضعه ، وهو يقع في باب جملة القول في النَّارِ ، وهو يقع [بعد^(٣)] هذا الذي يلي القول في النعام .

٩٨

(ما جاء في الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرني أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قَيْسٍ^(٤) ، وربيعة بن خثيم^(٥) فقال ربيع : قولوا وافعلوا خيراً^(٦) تُجْزَوُا خيراً . وقال علقمة : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَلَّا يَرَى الْحَيَّةَ ، إِلَّا قَتَلَهَا ، إِلَّا الَّتِي مِثْلُ الْمَيْلِ^(٧) ؛ فَإِنَّهَا جَانٌّ^(٨) . وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ قَتْلُ حَيَّةٍ أَوْ كَافِرٍ .

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه في الحرج . ط : « أن يجتسى الرجل منا في الثوب الواحد » ، وهو على الصواب في س ، ه .
(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في (٥ : ٤١) .
(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفي بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائد بن عبد الله الثوري الكوفي . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفي الأصل : « خثيم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نهت عليه في تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيراً » ، وتصحيحه وإكاله من س ، ه .
(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذي يكتحل به . والنص مضطرب في الأصل . ففي ط ، س : « إلى مثل الميل » وفي ه : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ما ورد في نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هي الحيات التي تكون في البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) ه : « فانه جاني » .

إسماعيل المسكى^(١) ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حيَّةً فقتل كافراً .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زيد^(٢) يقول : من قتل حيَّةً أو عقرباً قَتَلَ كافرًا .

وهذا مما يتعلق به أصحابُ ابن حنبلٍ^(٣) ، وتأويله في الحديث الآخر^(٤) . عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي^(٥) قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ، يقول : قال عبد الله^(٦) : من قَتَلَ حيَّةً أو عقرباً فكأنما قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليفُ الحديث .

سعيد بن أبي عروبة^(٧) ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا سَأَلْنَا هُنَّ مُدَّ حَارِبِنَاهُنَّ »^(٨) .

(١) في الأصل : « المسكى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ، ولد في حياة الرسول ، وولي إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : « عبد الرحمن بن يزيد » ، من ولد في عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر في الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) في الأصل : « ابن حنبل » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق في ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ما ذهب إليه ابن حنبل وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والظالم .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود البكوفي المسعودي ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . في الأصل : « السعودي » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعني عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبي عروبة اليشكري — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس في قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبي عروبة مهرا . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاويناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عمرو^(١) عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ] (٢) قَتَلَ حَيَّةً مَخَافَةَ أَنْتَارِهَا (٣) فعليه لعنة الله والملائكة » .
 الربيع بن صبيح^(٤) عن عطاء الخراساني^(٥) قال : كان فيما أُخِذَ على الحيات ألا يظهرون . فمن ظهرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتلهنَّ كقتال الكفار ، ولا يتركُ قتلهنَّ إلا شاكًّا .
 وهذا مما يتعلَّقُ به أصحابُ ابنِ حائطِ .

محمد بن عجلان قال : سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سألناهنَّ مذحجاً ربناهنَّ » .
 ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير^(٦) قال :

(١) ط : « سعيد بن عمرو » ، صوابه ما أثبت من س ، خ . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقلوله : « مخافة أنأرها » ، فأخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بشر الجن إذا قتل ، وربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بحبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ .
 وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أنأرها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيبى الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازياً سنة ١١٣ . وفى الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق فى (٢ : ٢٩٣) .

أخبرني أبو الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين ^(١) ، والكلب الأسود البهيم ^(٢) ذا العرتين ^(٣) » . قال : والغرة ^(٤) : حوة تكون بعينه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير على ضربين : أوابد وقواطع . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيره وإن لم يكن ذا سلاح . فأما ذو السلاح فواجب أن يكون طعامه اللحم . ومن الطير ما يأكل الحبوب لا يعدوها ، ومنه المشترك الطباع ؛ كالعصفور والدجاج والغراب ، فإنها تأكل النوعين جميعاً ، وكطير الماء ، يأكل السمك ويلقط الحب . ومنه ما يأكل شيئاً خاصاً ، مثل جنس النحل المعسل ^(٥) الذي غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعام النحل المعسل العسل ^(٦) ، والعنكبوت يعيش من صيد الذباب ^(٧) .

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذي لاشية فيه .

(٣) في الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت في (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب ، « والفرة » س : « والقرة » صوابها ما أثبت . وانظر ما كتبت في (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذي يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « العسل » ، صوابه في س ، ه .

(٦) ط ، ه : « فإن طعام النحل المعسل » س : « فإن طعام النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) ه : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوى ؛ كأنخلد^(١) والفأر ، والنَّسَلِ ، والنَّحْلِ ، والضَّبِّ . ومنه ما لا يتَّخَذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحَيَّاتِ^(٢)] ؛ لأنَّ ذُكُورَةَ الحَيَّاتِ سَيَّارَةٌ ، وإناثُها^(٣) إنَّما تُقيمُ في المكانِ إلى تمامِ خُرُوجِ الفِرَّاخِ مِنَ البَيْضِ ، واستغناء الفِرَّاخِ بأنفسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شقوقِ الصُّخُورِ والحِيطانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقَةِ ، مثل سامِّ أبرص . قال : والحَيَّاتُ تَألفُها كما تَألفُ العقاربُ الخنافس . والعَظايا تَألفُ المزابيلَ والحراياتِ . والوزغُ قَريبةٌ مِنَ النَّاسِ .

(زعم زرادشت في العظايا وسوام أبرص)

[وزعم^(٤)] زَرَادَشْتُ^(٥) أَنَّ العَظايا لَيْسَتْ مِنْ ذِواتِ السُّمُومِ ، وَأَنَّ سامَّ أBRصَ مِنْ ذِواتِ السُّمُومِ ، وَأَنَّ أَهرَمْنَ^(٦) لما قعدَ لِيَقسِمَ السُّمُومَ ،

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) في الأصل : « وإناها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميري : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر في عهد كيشتاسب من ملوك الفرس السكيانيين ، ودعا إلى دين الجوسية ، وهو صاحب الأبتا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثة سنة ، على ما في التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأزل الأبتا ، وجعل لظاهاها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . في ط ، س : « درادشت » وب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو في مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان في نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن في نهاية الأمر . وبديل هذه الكلمة والتي قبلها في كل من ط ، ه : « لأنه » صوابه في س .

كَانَ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَقَ إِلَى طَلْبِهِ ؛ كَالْأَفَاعَى ، وَالشَّعَابِينَ ،
وَالْجُرَّارَاتِ . وَأَنَّ نَصِيبَ الْوَزْغِ نَصِيبٌ وَسَطٌ قَصْدٌ ، لَا يَكْمَلُ أَنْ يَقْتُلَ ،
وَلَكِنَّهُ يَزَاقُ الْحَيَّةَ (١) ، فَتَمِيمِرُهُ (٢) مِمَّا عِنْدَهَا . وَمَتَى دَبَرَ (٣) الْوَزْغُ جَاءَ مِنْهُ
السَّمُّ الْقَاتِلُ ، أَسْرَعَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ ، وَمَنْ لُعَابَ الْأَفَاعَى . فَأَمَّا الْعِظَايَةُ (٤)
فإنَّهَا احْتَبَسَتْ عَنِ الطَّلَبِ حَتَّى نَفِدَ السَّمُّ ، وَأَخَذَ كُلُّ شَيْءٍ قِسْطَهُ ، عَلَى
قَدْرِ السَّبْقِ وَالْبُكُورِ ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْعِظَايَةُ وَقَدْ فَنِيَ (٥) السَّمُّ ، دَخَلَهَا مِنَ
الْحُسْرَةِ ، وَمِمَّا عَلَاهَا مِنَ الْكَرْبِ ، حَتَّى جَعَلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْخِرَابَاتِ
وَالْمَزَابِلِ . فإِذَا رَأَيْتَ الْعِظَايَةَ تَمْشِي مَشْيًا سَرِيعًا ثُمَّ تَقِفُ ، فَإِنَّ تِلْكَ
الْوَقْفَةَ إِنَّمَا هِيَ لِمَا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ التَّنْكَرِ وَالْحُسْرَةِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ نَصِيبِهَا
مِنَ السَّمِّ .

(رَدٌّ عَلَيْهِ)

وَلَا أَعْلَمُ الْعِظَايَةَ فِي هَذَا الْقِيَاسِ إِلَّا أَكْثَرَ شُرُورًا مِنَ الْوَزْغِ ؛ لِأَنَّهَا
لَوْلَا إِفْرَاطُ طَبَاعِهَا فِي الشَّرَارَةِ (٦) ، لَمْ يَدْخُلْهَا مِنْ قُوَّةِ الْهَمِّ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَهَا

(١) يَزَاقُ الْحَيَّةَ : مِفَاعِلَةٌ ، مِنْ زَقَّ الطَّائِرُ فَرَخَهُ : أَطْعَمَهُ . س ، ب : « يَزَاقُ »
صَوَابُهُ فِي ط .

(٢) مَارَهُ يَمِيرُهُ ، وَأَمَارَهُ يَمِيرُهُ : جَلَبَ الطَّعَامَ إِلَيْهِ . س : « فِيمِيرُهُ » ، صَوَابُهُ
فِي ه ، ط .

(٣) دَبَرَ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ : أَدْرَكَهُ الْمَرْمُ وَالشَّيْخُوخَةُ . وَمِنْهُ فِي الْكِتَابِ : « وَاللَّيْلِ
إِذَا دَبَرَ » ، فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ .

(٤) الْعِظَايَةُ ، بِالْفَتْحِ : دَوِيْبَةٌ كَسَامِ أَرْصَصٍ . ط : « الْفِظَايَةُ » ، صَوَابُهُ فِي س ، ه .

(٥) ه ، ط : « قَنِي » بِالْقَافِ ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٦) يُقَالُ شَرَّ يَشُرُّ وَيَشُرُّ شَرًّا وَشَرَارَةً ، فَهُوَ شَرِيرٌ — بِفَتْحِ الشِّينِ وَكَسْرِ الرَّاءِ —
وَشَرِيرٌ ، كَسَكَيْتَ .

ولم يستَبِنَ لِلنَّاسِ ^(١) من اغتباطِ الوَزَغِ بنصيبه من السمِّ ، بقدرِ ما استَبَانَ من تُكَلِّ العِظَايَةِ ، وتسَلُّها وإِحْضَارها ^(٢) وبكَاثِها وحُزْنِها ، وأسْفِها على ما فاتها من السمِّ .

(زعم زرادشت في خَلْقِ الفأرةِ والسَّنورِ)

ويزعم زَرَادُشْتُ ^(٣) ، وهو مذهبُ المَجُوسِ ^(٤) ، أَنَّ الفأرةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَنَّ السَّنورَ مِنْ خَلْقِ الشَّيْطَانِ ، وهو إبليس ، وهو أَهْرَمَن ^(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفْسِدَةٌ ، تجذبُ فِتِيلَةَ المِصْبَاحِ فتحرقُ بذلكَ البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمدنَ العِظَامَ ، والأرباضَ الواسعةَ ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموالِ ، وتقرِضُ دفاقرَ العِلمِ ، وكتبَ اللَّهِ ، دقاتقَ الحِسابِ ، والصِّكَاكَ ^(٦) ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثَّيَابَ ، وربَّما طلبتِ القُطْنَ لتأْكُلَ بزره فتدعُ اللِّحافَ غِرْبَالاً ، وتقرِضُ الجُرْبَ ^(٧) ، وأوْكِيَةَ الأَسْقِيَةِ والأزْقاقِ والقِرْبِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقعُ في الآنيَةِ

(١) في الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) في الأصل : « زرادشت » وهو تحريف . وانظر ما سبق في ص ٢٩٦ التنبية الخامس .

(٤) ذلك الزعم مذهب المَجُوسِ ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكالة من س ، هـ . وانظر التنبية السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضي . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفي البئر ، فتموت فيه ، وتُحَوِّج النَّاسَ إلى مُوْنٍ عِظَامٍ ، وربما عَضَّتْ
 رِجْلَ النَّاسِ ؛ وربما قتلت الإنسان بعضها . والفَأْرُ (١) بُحْرَاسَانٌ رَبَّمَا قَطَعَتْ
 أُذُنَ الرَّجُلِ . وجرذانٌ أَنْطَأَكِيَّةٌ تَعَجِزُ (٢) عنها السَّنَانِيرُ ، وقد جلا عنها قومٌ ١٠٠
 وكرهها آخرون لمكانِ جِرْدَانِهَا . وهي التي فجرت المسنأة (٣) ، حتى كان
 ذلك سببَ الحُسْرِ (٤) بأرضِ سبأ ؛ وهي المضروب بها المثل . وسبيل العَرمِ مِمَّا
 تَوَرَّخُ بزمانه العَربُ . والعَرمُ : المسنأة . وإنما كان جِرْدَا .
 وتقتل النَّحْلُ والفَسِيلُ (٥) ، وتخرَّب الضَّبَّعةُ ، وتأتى على أَرِمَّةِ الرِّكَابِ
 وَالْحُطَمِ (٦) ، وغير ذلك من الأموال .
 والنَّاسُ ربما اجتلبوا السَّنَانِيرَ ليدفعوا بها بوائق الفَأْرِ (٧) - فكيف
 صار خَلْقُ الضَّارِّ المُفْسِدِ من الله ، وخالقُ النَّافِعِ من الضَّرَرِ مِنْ
 خَلْقِ الشَّيْطَانِ ؟ !

- (١) أراد بالفأر هنا الجماعة . ط : « الفأر » صوابه في س ، ه .
 (٢) ط : « تفجر » ، تصحيحه من س ، ه .
 (٣) المسنأة : السد الذي يعترض به الوادي لتنظيم تدفق المياه . وفجر ، تقال بالتخفيف
 والتشديد ، بمعنى جملة ينفجر ويسيل .
 (٤) الحسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدأ ماتحته . وجاء في معجم
 البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالرمل فطمها » . وطمها : من قولهم :
 جاء السيل فطم الركبة : أي دفنها وسواها . ط : « الحسر » بالخاء المعجمة .
 وأثبت ما في س ، ه .
 (٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهي النخلة الصغيرة . س : « النحل والعسيل » ، صوابه
 في ط ، ه .
 (٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم :
 جمع خطام ، وهو ما يوضع على مخطم البعير ليقاد به . وفي الأصل : « على أفرحة
 الركاب والخطم » . وهي عبارة لا تتجه . والصواب ما أثبت .
 (٧) بوائق : جمع بائقة ، وهي الداھية ، أو الشر .

والسُّنُورُ يُعَدَى بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ الشَّيْطَانُ^(١) مِنَ الْحَيَّاتِ ،
وَالعقارب ، وَالجِعلان ، وَبناتِ وِردان . وَالفأرةُ لَا تَنفَعُ^(٢) لَهَا . وَمَوْنَهَا
عَظِيمَةٌ .

قال : لِأَنَّ السُّنُورَ لَوْ بَالَ فِي الْبَحْرِ لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلَافِ سَمَكَةٍ !
فَهَلْ سَمِعْتَ بِحُجَّةٍ قَطُّ ، أَوْ بِحِيلَةٍ ، أَوْ بِأَصْحُوكةٍ ، أَوْ بِكَلَامٍ ظَهَرَ عَلَى
تَلْفِيحِ هِرَّةٍ^(٣) ، يَبْلِغُ مَوْنُ هَذَا الْاِعْتِلَالِ ؟ !
فَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ هَذَا مَقْدَارَ عَقولِهِمْ وَاِخْتِيَارِهِمْ^(٤) .
وَأَنشُدُ أَبُو زَيْدٍ :

وَاللهُ لَوْ كُنْتُ لِهَذَا خَالِصًا لَكُنْتُ عَبْدًا آكِلَ الْأَبَارِصِ^(٥)
بِعَنَى جَمَاعٍ^(٦) سَامٌّ أَبْرَصٌ : أَبَارِصٌ .

(١) هذا مجازاة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تنفع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لانعدام الرابط فى الصلة ، ومنهم
الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن
حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا :
الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجاوز أيضاً
أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء
حذفه فى قوله :

فألميته غير مستعجب ولا ذاكر الله إلا قايلاً

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى

الاتنصاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سامّ أبرص ونحوه)

وسامّ أبرص ربّما قتلَ أكله^(١) ، وليس يؤكل إلاّ من الجُوع الشّدِيد .
وربّما قتلَ السّنَانِيرَ وبناتِ عِرْس ، والشّاهْمُرَكَ ، وجميعَ اللّقْاطَاتِ^(٢) .
وقال آخر^(٣) :

كَانَ الْقَوْمَ عَشُوا لَحْمَ ضَانٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ ظِلَاهِمُ^(٤)
وهو شيءٌ يعرض عن أكلِ دَسَمِ الضّانِ ، وهو أيضا يلقي على دسّمه^(٥)
النّعاس . وقد يفعل ذلك الحَبِيقُ^(٦) ، والحشخاش .

[والحشخاشُ] يسمّى بالفارسيّة « أنار كَبُو »^(٧) ، وتأويله رَمَانُ الحَسِّ .
وإنّما اشتقّ له ذلك إذ كان يورث النّعاس ، كما يورثه الحَسِّ .

-
- (١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .
(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « الفاهات » ، صوابه ما أثبت
من س ، ه .
(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعيم) .
(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فتقل على قلبه فهو نعيم » . ومثل
هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبي ، ولسان العرب (نعيم) ، مع رواية
البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يمجون » بالباء ، وهذه للرواية مع احتمال صحتها
لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيأتى من الكلام . والبعج : المتسع للبطن .
والطلل ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت ظلام لما غلب عليهم
من النوم . س : « كلام » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .
(٥) كذا فى ط ، ه ، وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابها :
« يلقي عن دسّمه » .

- (٦) الحبيق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .
(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان .
ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السماني)

وأكل الطعام الذي فيه سماني يُورث الدوار . وزعموا أن صبيًا من الأعراب فيما مضى من الدهر ، صاد هامة^(١) على قبر ، فظنها سماني ، فأكلها فعتت نفسه ، فقال :

* نفسي تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانِي الْأَقْبَرِ^(٢) *

(استطراد لغوي)

ويقال : عَثَّتْ نفسه عَثِيَانًا وَعَثِيًّا^(٣) ، وَلَقِستُ تَلَقَّسْتُ لَقَسًا ، وَتَمَقَّستُ^(٤) تَتَمَقَّسُ تَمَقَّسًا : إذا غَثَّبتُ^(٥) .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرني صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناسًا حَوْلَ نَارٍ فسألْتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُّونها ويأكلونها ؛ إِذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حيةً قد أخرجها من الجمر ، فرأيته إذا

= والثاني (كبو) ومعناه الخس . وفي لغات : (كيبو ، كيبو ، كيو ، جيو) .
وهذه الكلمة منحرفة في الأصل . فهي في ط ، هـ : « أباركوا » وفي س :
« أباركو » . واعتمدت في تصحيحها على معجمي بالمر وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من البوم .
(٢) الأقبَر : جمع قبر . والخبر في اللسان (مقس) بصورة أخرى .
(٣) س : « عثت نفسه عثيانا وعثيا » بالعين المهملة في الكلمة الأولى والثانية ،
والمعجمة في الثالثة . صوابه في ط ، هـ .
(٤) في الأصل : « وتمقس » . والوجه ما أثبت .
(٥) س : « عثيت » محرف .

امتنعت عليه يمدّها كما يمدُّ عصبٌ لم ينضج . فما صرفتُ بصرى عنه حتى لبطَ
به (١) ، فما لبثتُ أن مات ، فسألتُ عن شأنه ، فقيلَ لي : عجلَّ عليها قبلَ ١٠١
أن تنضجَ وتعملَ النارَ في مَنها .

(أكل الحوائن للحيات)

وقد كان في بغدادَ وفي البصرةِ جماعةٌ من الحوائن ، يأكلُ أحدُهم أيَّ
حيّةٍ أشرتَ إليها في جُونتِه ، غيرَ مشويّةٍ . وربّما أخذَ المرارةَ (٢) وسطَ
راحتهِ ، فلطعها بلسانه ، ويأكلُ عشرينَ عقربانةً (٣) نيّةً (٤) بدرهم . وأما
المشويُّ فإنَّ ذلكَ عنده عُرْسٌ (٥) .

(شعر في الحيات)

وقال كثيرٌ :

وما زالتَ رُفَاكَ تَسَلُّ ضِغْنِي فتمخِرُجُ من مكانِها ضِبابِي (٦)
وترقيني لك الحاوونَ حتى أجابتَ حيّةٌ خلفَ الحِجابِ (٧)

(١) لبط به : صرع . وفي الأصل : « لبط به » ، بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أي مرارة الحية ، أو لعلها « الحرارة » هـ : « النواه » محرفة .

(٣) كذا في الأصل . ولعلها : « عقربا » .

(٤) النيء بالكسر والهمز : اللحم الذي لم ينضج . وفي اللسان : « وقد يترك الهمز

ويقلب ياء ، فيقال : في ، مشددا » . فاهو هنا صواب . وانظر (٣٥٦ : ٥) .

(٥) العرس ، بالضم وبضمّتين : طعام الوليمة .

(٦) س : « وتخرج » . وفي الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق

في ص ٢٥٠ .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين في ص ٢٥٠ .

وقال أبو عدنان^(١) ، وذكر ابن ثروان^(٢) الخارجي ، حين [كان]

صار إلى ظهر البصرة ، وخرج إليه من خرج من بني ثمير :

حَسِبْتَ ثُمَيْرًا يَا ابْنَ ثُرَوَانَ كَالْأَلَى لَقَيْتَهُمْ بِالْأَمْسِ : ذُهْلًا وَيَشْكُرًا^(٣)

كما ظنَّ صَيَّادُ الْعَصَافِيرِ أَنَّ فِي

بَجَمِيعِ الْكُؤَى ، جَهْلًا ، فِرَاخًا وَأَطِيرًا^(٤)

فَأَدْخَلَ يَوْمًا كَفَّهُ جُحْرَ أَسْوَدٍ فَشَرَّشَرُهُ بِالنَّهْشِ حَتَّى تَشَرَّشَرًا^(٥)

أراد قول رؤبة :

كُنْتُمْ كَمَنْ أَدْخَلَ فِي جُحْرِ يَدَا فَأَخْطَأَ الْأَفْعَى وَلَا فِي الْأَسْوَدَا

لَوْ مَسَّ حَرْقِي حَجْرِي تَقْصِدًا^(٦) . بِالشِّمِّ لَا بِالسِّمِّ مِنْهُ قَصْدًا^(٧)

فَقَدَّمَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْأَفْعَى . وهذا لا يقوله مَنْ يَعْرِفُ مِقْدَارًا^(٨)

سُمِّ الْحَيَاتِ .

(١) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو صحنان » ، بحرف .

(٢) في الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتي .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه في س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكؤى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهي الحرق في الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفي الأصل : « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال

لا وجه له هنا .

(٧) كنا في ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفي

س : « أقصدا » ، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى في الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧

والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنتره :

حَلَفْنَا لَهُمْ وَالْحَيْلُ تَرْدِي بِنَا مَعاً نَزَائِلُكُمْ حَتَّى تَهْرُوا الْعَوَالِيَا (١)
عَوَالِي سُمُرٍ مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةَ هَرِيرَ الْكِلَابِ يَتَّقِينَ الْأَفَاعِيَا (٢)

(حديث في الحية)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطَّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ » .
شبهه الخيطين على ظهره بخوص المقل (٣) وأنشدت لأبي ذؤيب :
عَفَّتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَا يَأْ أُبِينُهُ وَأَقْطَاعِ طُفْيِ قَدَعَفَتْ فِي المَعَاقِلِ (٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجعت الأرض بجوارفها . نزائلكم ، أى لا نزائلكم .
فحذف الناقى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفنؤ تذكر يوسف »
أى لا تفتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأما المرتضى (٣ : ١٣٧)
والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته .
انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رموس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ،
ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئاً نبحه ، حتى
إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ - ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والسكامل ١٧٥ ليسك : « عوالى زرقا »
فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ،
فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . واليهتان من قصيدة لمترة يقوفا فى يوم
(الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :
ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر
يعنى المقطوع . والمعائل : جمع مقل ، كجلس ، وهو المكان تغفل فيه الإبل -

والطُّفِيُّ (١) : خَوْصُ المَقْل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المِرْأَةِ الهِفَاءِ الحَمِيصَةِ البَطْنِ ، بِيظِنِ الحَيَّةِ . وهي (٢)

الأيْم . وقال العجَّاج :

* وَبَطْنَ أَيْمٍ وَقَوَاماً عَسَلِجاً (٣) *

(مناقضة شعرية)

وقال أدهمُ بنُ أبي الزَّعرَاءِ (٤) ، وشبَّهَ نَفْسَهُ بِحَيَّةٍ :

١٠٢ وما أسودُّ بالبأسِ تَرْتاحُ نَفْسُهُ إِذَا حَلْبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرَقُ لِلْحَسِّ
به نَقَطُ حَمْرٍ وَسودُّ كَأَنَّمَا تَنْضَحُ نَضْحاً بِالْكُحَيْلِ وَبِالْوَرْسِ (٥)

= أى تشد ، وفي الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طئي) ومعجم البلدان (المنتضى) . ويروى أيضاً : « في المنازل » ، و : « في المنازل » كما في اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طئي بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :
وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذلل الطئي من رقية الراقي
أى ذوات الطئي ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثى ويميل .

(٤) أدهم بن أبي الزعراء الطائي ، شاعر محسن ، له أشعار جياد في أوصاف الحيات ، كما ذكر ذلك الأدهي في المؤلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة . وهو كذلك شاعر إسلامي له شعر في وقعة المنبهب ، التي كانت في أيام مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية . انظر شرح التبريزي (٢ : ٨٢) . وفي ط :
« أدهم بن أبي الزبير » و س : « أدهم بن أبي الزبير » . و ه : « ابن أبي الزبير » ، والصواب في ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطل به الإبل ، وهو أسود اللون .
والورس ، بالفتح : نبت يصيب به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أصمُّ قطارىٌّ يكونُ خروجهُ قبيلَ غروبِ الشمسِ مُختَلطَ اللَّمسِ (١)
 له منزلٌ ، أنفُ ابنِ قِترَةَ يَغتذى بهِ السمُّ ، لم يَظهر نهاراً إلى الشمسِ (٢)
 يَقبيلُ إذا ما قالَ بين شواهِقِ تزلُّ العُقَابُ عن نَفَانِيفِهَا المِلسِ (٣)
 بأَجْرًا مِنِّي يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقَدِّمًا (٤) إذا الحربُ دُبَّتْ أولَيَسْتُ لها لِبْسِي (٥)
 فأجابه عَنترَةَ الطائِي (٦) ، فقال :

عَسَاكَ تَمْنِي مِن أَرَاقِمِ أَرْضِنَا بِأَرْقَمٍ يُسْقِي السَّمَّ مِن كُلِّ مَنْطِفٍ (٧)

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمه من كثرتة ، أو ضخم . مختلط اللمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ١٨) منسوباً إلى تأبط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرسم *

(٢) ابن قتره ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقر ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قتره » س : « ابن قتره » صواهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهِق : الجبال العالية . والتفانفان جمع نفتف ، يفتح التونين ، وهو صتق الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، هـ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الأمدى فى المؤلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشيء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات لراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنظف : الموضع ينظف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنظف » على وزن أفعّل ، قال التبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعّل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونظف يقال من باي نصر وضرب .

(شعر في الأسود)

وقال عنتره :

أترجو حياة يا ابن بشر بن مُسهرٍ وقد علقَت رجلاك في ناب أسودا
أصمَّ جباليّ^(١) إذا عضَّ عضَّةً تزايلَ عنه جلدهُ فتبدَّدا^(٢)
يسلِّعُ صَفًّا لم يبدُ للشمس قبلها إذا ما رآه صاحب اليمِّ أُرعدًا^(٣)
له رِبْقَةٌ في عنقه من قيصه وسائره عن متنيه قد تقدَّدا^(٤)
رَقودٍ ضحيَّاتٍ ، كأنَّ لسانه إذا سمع الإجراس مكحَّالُ أَرمدًا^(٥)
يُفِيَّتُ النُّفوسَ قبل أن يقع الرُّقى وإن أبرق الحاوِي عليه وأرعدًا^(٦)

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتريدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفي اللسان (سلع) : « راكب » يدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربقة ، بالكسر : الجبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمئن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام في الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ في الظلام . والإجراس : جمع جرس ، بالفتح وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس » بالكسر ، وهو التصويت . ومكحَّال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحَّال في دقته ، وفي سواده أيضاً . ومكحَّال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريف ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنا لسانه على فيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية في ١٦٣ .

(٦) يفيت للنفوس : يميتها موت الفجاءة . و « يقع الرقى » كذا في الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لَا يَنْبِتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ (١) وَلَا يَجَاوِرُهَا وَخَشٌ وَلَا شَجَرٌ
رَبْدَاءُ شَابِكَةَ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ يَنْبُو، مِنَ الْيُبْسِ، عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ (٢)
لَوْ سَرَّحْتَ بِالنَّدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا (٣)
قَدْ حَاوَرُوهَا فَمَا قَامَ الرَّقَاةُ لَهَا وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفِرُوا (٤)
تَقْصِدُ الْوَرَلَ الْعَادِي بِضَرْبَتِهَا نَسْكَزًا، وَيَهْرُبُ عَنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ (٥)

- = « يسمع الرقي » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .
(١) تكون به : أي تكون تلك الحية به . وليس يعني أنها تمتع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .
(٢) ربداء : من الربدة ، وهي الغبرة . شابكة : مشبكة . س ، هـ : « شائكة » وانظر ما سبق في ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخة » ، صوابه في ط ، هـ . واليافوخ : ملتحق عظم مقدم الرأس ومؤخره .
(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراق .
(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : « فانا نالوا » ، صوابه في ط .
(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد في ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح : Varanus والبادي : الذي يعدو ، أي يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق في ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكر : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول في الظلم

فمَّا فِيهِ مِنَ الْأَعَاجِيبِ أَنَّهُ يَغْتَذِي الصَّخْرَ ، وَيَبْتَلِعُ الْحِجَارَةَ ، وَيَعِيدُ إِلَى ١٠٣ المَرْوِ ، [والمَرْوُ] من الحجارة التي توصف بالملاسة؛ ويبتلع الحصى ، والحصى أصْلَبُ من الصَّخْرِ ، ثُمَّ يُعِيْعُهُ وَيُذِيْبُهُ فِي قَانِصَتِهِ (١) ، حَتَّى يَجْعَلَهُ كَالْمَاءِ الْجَارِي . وَيَقْصِدُ إِلَيْهِ وَهُوَ وَاثِقٌ بِاسْتِمْرَائِهِ وَهَضْمِهِ ، وَأَنَّهُ لَهُ غِذَاءٌ وَقِيَامٌ .
وَفِي ذَلِكَ أَعْجُوبَتَانِ : إِحْدَاهُمَا التَّغْذَى بِمَا لَا يُتَغَذَى (٢) بِهِ . وَالْأُخْرَى : اسْتِمْرَاؤُهُ وَهَضْمُهُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَوْ أُلْقِيَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ طَبَخَ أَبَدًا مَا انْحَلَّ وَلَا لَانَ . وَالْحِجَارَةُ هُوَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ فِي الشَّدَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* حَتَّى يَلِينُ لِضِرْسِ الْمَاضِعِ الْحَجْرُ *

وقال آخر (٣) :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرَ تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومٌ (٤)
ووصف الله قلوب قوم (٥) بالشدة والقسوة ، فقال : ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال في التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٦)

(١) في الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله في س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبي عقيل ، كما في ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغني ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف في هذه الآية في النسخ الثلاث . ففي ط : « النار » وفي س ،

ه : « نار » . وهذه الآية هي السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد

لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفي سورة البقرة أيضاً : « فإن لم

تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

لأنه حين حذر النَّاسَ أعلمهم أنه يُلقَى العُصاة في نارٍ تأكلُ الحجارةَ .
ومن الحجارةِ ما يتخذُه الصَّفَّارونَ (١) عِلاَةً (٢) دونَ الحديدِ ؛ لأنَّه
أصبرُ على دقِّ عِظامِ المطارقِ والفِطِّيساتِ (٣) .
فجوفُ النِّعامةِ يُذيبُ هذا الجِوهرَ الذي هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرِّمَّة :

أذاكَ أمَّ خاضبٍ بالسِّيِّ مرَّعُه أبو ثلاثينِ أمسى وهو منقلبٌ (٤)
شختَ الجزارةَ مثلُ البيتِ سائرُه من المُسوحِ خَدبٌ شوقبِ خشبٌ (٥)

(١) الصَّفَّارونَ : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون»، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما في ط ، هـ .
(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهي المطرقة العظيمة . ط : « الفطيسات » س :
« العظيسات » ، صوابها ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب :
الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى أحمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء
مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان
(سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة
ص ٢٨ كبرذج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فا
فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ،
فهو حينئذ ينتهى من الرعى يهرع إلى أديته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده
فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته .
منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابها فى س والمخصص والأمالى
والديوان . ط : « مرّعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو
منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالمعالة أجر
العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كَأَنَّ رَجُلَيْهِ مِسْمًا كَانَ مِنْ عَشْرِ صَقْبَانَ لَمْ يَتَقَشَّرْ عَنْهُمَا النَّجَبُ (١)
أَهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ ، وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرُوءِ ، وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ (٢)

وقال أبو النجْم :

وَالْمَرُوءُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ (٣) فِي سِرْطَمٍ مَا دَ عَلَى التَّوَائِهِ (٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والخدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حذب » صوابه في س ، هـ والديوان والسكامل ٤٤٩ ليسك .

(١) المسالك : عود يكون في الخياء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو . صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجله كالمسكين الطويلين الخشنين . وفى الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه في س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية فى المرعى : رعت الخلة عقبه ثم تحولت إلى الحمض عقبه أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرؤ . والمرؤ : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرؤ فسر قريباً . فى الأصل : « والمرء » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) . والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثانى . فى الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجمعفر : البلعوم . فى الأصل : « سرطه » وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلعوم : مال واضطرب . فى الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يتركب بها الرجز لما سياتى فى البيت بعده . وفى عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظلم .

يَمُورُ فِي الْحَلْقِ عَلَى عِلْبَائِهِ^(١) تَمَعَجَ الْحَيَّةُ فِي غِشَائِهِ^(٢)

* هَادٍ وَلَوْ حَارَ بِحَوْصَلَائِهِ *

(إذابة جوف الظلم للحجارة)

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ جَوْفَ الظَّلْمِ إِنَّمَا يُذِيبُ^(٤) الْحِجَارَةَ بَقَيْظِ الْحَرَارَةِ فَقَدْ
أَخْطَأَ . وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ مَقْدَارِ الْحَرَارَةِ [و^(٥)] نَحْوِ غَرَازِنَ آخَرَ ، وَخَاصِيَّاتٍ
آخَرَ . أَلَا تَرَى أَنَّ القُدُورَ الَّتِي يُوقَدُ تَحْتَهَا الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي ، لَا تَذُوبُ .

(القول في الخاصيات والمقابلات والغرازن)

وَسَادِدُكَ عَلَى أَنَّ القَوْلَ فِي الخَاصِيَّاتِ وَالْمَقَابِلَاتِ وَالغَرَازِنِ حَقٌّ . أَلَا
تَرَى أَنَّ جَوْفَ الكَلْبِ وَالذِّيبِ يَذِيبَانِ العِظَامَ وَلَا يَذِيبَانِ نَوَى التَّمْرِ ،
وَنَوَى التَّمْرِ أَرْخَى وَأَلِينٌ وَأَضْعَفُ مِنَ العِظَامِ المَصْمُتَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا يَهْضِمُ

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » ه :
« يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت
بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ،
والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم
العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جالده الذى يسلكه . والحية
يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظلم كحركة الحية حين تضطرب
فى جلدها قبل تمام انسلحه . فى الأصل : « عشاؤه » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلاً فى وصوله إلى حوصلة الظلم ، فهو هاد بها فى
آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » محرفة . س : « حاد » .
والأرفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلائه » : أى هو
مهتد بحوصلائه ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلائه » .

(٤) ط ، ه : « تذيب » ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم^(١) بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام .

والبراذين التي يُجِيلُ^(٢) أجوافها القت والتبن^(٣) روثاً ، لا تستمرى

الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانها على أغصانِ أمَّ غيلان ، وله شوكٌ كصياصي

البقر^(٤) ، والقضبانُ علكة^(٥) يابسةٌ جرد ، وصلابٌ متينة ، فتستمرُّها^(٦)

وتجعلها ثلثاً^(٧) ولا تقوى على هضم الشعير المنتع . وليس ذلك إلا

بإلحصائص والمقابلات .

وقد قدر كلُّ شيءٍ لشيءٍ . وأولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضة والجرجسة

في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغاس في الماء

مرةً ومرةً يتلطح بالطين ، ومرةً يجعله أهله ربيث الدكان^(٨) . ولو دفعوا

إليك مسألةً شديدةً المئن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلّف ،

والأببعص الاعتماد .

والذي سخر جلد الجاموس حتى أنفري وانصدع لطفعة البعوضة ،

(١) البضة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم ، جمعها بضع بالفتح ، وكنب ، وصحاف ، وتمرات .

(٢) في الأصل : « يجيل » .

(٣) القت : يابس القصفصة ، والقصفصة ما يعرف في مصر بالبرسيم . في الأصل : « أقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصي البقر : قرونها ، مفردها صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) في الأصل : « تستمرها » .

(٧) الثلث ، بالفتح : البروث . س ، هـ : « ثلثا » صوابه في ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفي الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخَّر^(١) جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخَّر الحجارة لجوف الظليم ،
والعظم لجوف الكلب - هو الذى سخَّر الصخر الصلب لأذنان الجراد ،
إذا أرادت أن تلتقى بيضها ؛ فإنها فى تلك الحال متى عمدت ذنبها فى ضاحى
صخرة^(٢) انصدعت لها . ولو كان انصداعها من جهة الأسر^(٣) ، ومن قوَّة
الآلة^(٤) ، ومن الصدم^(٥) وقوَّة الغمز ، لانصدعت لما هو فى الحسِّ أشدُّ
وأقوى . ولكنه على جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك^(٦) عود الخلفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نبت
فى عمق الأرض ، وتلقَّاه الأجرُّ والخزفُ الغليظ ، ثقبَ ذلك ، عند نباته
وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقرٌ نصير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأردنُّ ، أنهم وجدوا الخلفاء قد خرَّق
جوف القار^(٧) .

وزعم لى أبو عتاب الجرَّار^(٨) ، أنه سمع الأكرة يُخبِرون أنهم وجدوه
قد خرَّق فلساً^(٩) بصريًّا .

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، ه .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، ه : « ضاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، ه : « الصدم » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « القار » س : « عار » كذا . صوابهما فى ه .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، ه . وانظر ما سبق فى (٣ : ٢٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدت عنه المحقق الكبير الأب

أنتاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ - ٦٨ . ط : « وقد قلع

فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدة الغمز وحدة الرأس ، ولكنه يكون على قدر ملاقاته الطباع .

ويزعمون أن الصاعقة تسقط في حانوت الصيقل^(١) فتذيب السيوف بطبعها^(٢) ، وتدع الأغمد على شبيه بحالها . وتسقط على الرجل ومعه الدراهم فتسبك الدراهم ، ولا يصيب الرجل أكثر من الموت .

والبحريون عندنا بالبصرة والأبلة التي تكون عليها الصواعق^(٣) ، لا يدعون في صون^(٤) دورهم وأعلى سطوحهم ، شيئاً من الصفر إلا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقض من أصل مخارجها ، على مقدار من محاذة الأرض ، ومقابلة المكان ، فإذا كان^(٥) الصفر لها ضاحياً ، عدلت إليه عن سننها^(٦) .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يسقط النوى^(٧) في تراب المتوضئ ، فإذا صهرج نبت^(٨) ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصاروج أمسك . وإن كان الصاروج رقيقاً فإن قير ، وجعل غلظه بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النوى حتى يحرق ذلك القار .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلأؤها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) في الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) سخن الدار : وسطها .

(٥) في الأصل ، « كانت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سننها » . والوجه ما أنبت من س ، ه .

(٧) في الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضئ : عمل بالصاروج ، وهو النرة أو أحلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه في س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خَرَقَهُ بِسِمَارٍ أَوْ سِكَّةٍ (١) ، لما بلغ إرادته حتى يشقَّ على نفسه .
والذى سَخَّرَ هذه الأمور القويَّة في مذهب الرأى وإحساسِ النَّاسِ ،
هو الذى سَخَّرَ التَّمَقُّمَ ، والطَّيِّجَنَ ، والمِرْجَلَ ، والطَّسْتَ ، لإبرة العقرب .
فما أَحْصَى عِدَدَ مَنْ أَخْبَرَنِي مِنْ (٢) الحَوَائِثِ ، من أهل التَّجَارِبِ ، أنها رَبَّما
خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فِي اللَّيْلِ لِطَلَبِ الطَّعْمِ (٣) ، ولها نشاطٌ وَعُرَامٌ (٤) ،
فَتَضْرِبُ كُلَّ مَالِقِيَّتٍ وَلَقِيهَا : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جمادٍ .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح - واستشهد المثنى بن بَشْرٍ ، وما كان
يحتاجُ خَبْرَهُ إلى شاهدٍ ؛ لصدقه - أنه سَمِعَ فِي داره نَقْرَةً وَقَعَتْ عَلَى قُفْمِ
- وقد كان سَمِعَ بهذا الحديث - فنهض (٥) نحو الصوت ، فإذا هو بعقربٍ
فتعاورها هو والمثنى بنعلهما (٦) حتى قتلاها ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّاهُ فِي القُفْمِ
فِي عَشِيَّتَيْهِمَا ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شيءٌ .

فن تعجَّبَ من ذلك فليصرفُ بَدِيًّا (٧) تعجُّبه إلى الشيء الذى

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المخرات ط : «سلة» ، وأثبت ما في
س ، ه .

(٢) فى الأصل : «عن» .

(٣) ط ، ه : «الطعام» ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ،
بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدَّة . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ،
فهى فى ط ، س : «غرام» و ه : «غرام» .

(٥) ه : «فناهض» ، صوابه فى ط ، س .

(٦) التماور : التداول والتناوب . س ، ه : «بتعلهما» وهو وجه جائز ، وأثبت
ما فى ط .

(٧) بديا : أى يدها وأولا . وجاه فى س : «بدها» .

تقذفه بنقبتها^(١) العقربُ في بدن الإنسان والحميرِ والبعال ، فليفكر^(٢) في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العسكر^(٣) أنهم وزنوا جرارة^(٤) بعد أن ألسعوها^(٥) فوجدوا وزنها على تحقيق الوزن على مقدار واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحار ، فلم قصرت النارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شكل الشيء البارد فلم قصرت الثلج عن مبلغ عمله ؟ ! فقد وجب الآن أن السمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجدنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغ الثلج والنار لذكرناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أن جوفَ النعامةِ ليس يُذيبُ الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنه لا بدُّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصياتٍ أُخرى ، ليست^(٦) بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلا بالوهم في الجملة .

(١) ط ، هـ : « بدبها » س : « بدبها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، هـ : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهي تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميري عند ذكر الجرارات : « وهي عقارب صغار صفراء على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهي ضرب من العقارب صفراء تجرر أذناها وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعواها : أي مكثوها من لسع حيوان . ط ، هـ : « التقيها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسم يقتل بالكم والكيف والجنس . والكم : المقدار . والكيف :
الحد . والجنس : عين^(١) الجوهر وذاته .

وتزعم الهند أن السم إنما يقتل بالغرابة ، وأن كل شيء غريب
خالط جوف حيوان قتله . وقد أبى ذلك ناس فقالوا : وما باله يكون
غريباً إذا لاقى العصب واللحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعاً . بل ليس
يقتل إلا بالجنس ، وليس تحس النفس إلا بالجنس . ولو كان الذي يميت
حسهما إنما يميته لأنه غريب ، جاز أيضاً أن يكون الحساس إنما حس^(٢)
لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لتبيل في كل شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أن الذهب المائع ، والفضة المائعة ، يجمدان
إذا صارا في جوف الإنسان ، وإذا جمدا لم يجاوزا مكانهما - لكانا^(٣) ٩٠٦
من القوائل بالغرابة .

وهذا القول دعوى في النفس ، والنفس تضيق جداً . وما^(٤) قرأت
للقدماء في النفس الأجلاد الكثيرة . [و^(٥)] إنما يستدل ببقاء
تلك الكتب على وجه الدهر إلى يومنا هذا ، ونسخ الرجال لها أمة
بعد أمة ، وعمراً بعد عمر ، على جهل أكثر الناس بالكلام . والمتكلمون

(١) في الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هي صحيحة . وفي القاموس : « وحست الشيء : أحسته » .

(٣) في الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلَمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب
الظلم .

باب آخر

وهو عندي أعجب من الأول

وهو ابتلاعهُ الجمرِ حتى ينفذَ إلى جوفه ، فيكون جوفه هو العامل
في إطفائه ، ولا يكون الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيارِ النِّظَام - وكنا لانتساب
بحديثه إذا حكى عن سماعٍ أو عيان - أنه شهد محمد بن عبد الله ، يلتقي
الحجرَ في النار ، فإذا عاد كالجمرِ قَذَفَ به قَدَامَهُ ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع
الجمرَ . وكنتُ قلتُ له : إنَّ الجمرَ سخيْفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقي
الرُّطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيءٌ يُحوِلُ بينه وبين النَّسيمِ خَدَّ ، والحجرُ
أشدُّ إمساكاً لما يتداخله من الحرارة ، وأثقلُ ثِقَلًا ، وألزقُ لزوقاً
وأبطأ انطفاءً ، فلو أحميتَ الحجارةَ ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع
الأولى فارتبت به ، فلما ثنى وثلثَ اشتدَّ تعجبي له ، فقلتُ له : لو أحميت
أواقَ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ،
فقلتُ : هذا أعجبُ من الأولِ والثَّاني ، وقد بقيتُ علينا واحدةً ، وهو أن
ننظر : أيسْتَمْرِي^(١) الحديدُ كما يستمري الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

(١) يستمري : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الحرق^(١) أن نتعرف ذلك على الأيام . وكنت عَزَمْتُ على ذبحه وتفتيش جوفه وقانصته ، فلعل الحديد يكون قد بقي هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمد بعض زُدمائه إلى سِكِّين فَأَحْمِي ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوز أعلى حلقة حتى طلع طرف السكين من موضع مَذْبَحِهِ ، ثم خرَّ مَيِّتاً .
فَمَنَعْنَا بِحُرْقِهِ من استقصاء ما أردنا .

(شبه النعامه بالبعير وبالطائر)

وفي النَّعَامَةِ أُنْهِيَ طَائِرٌ ولابعير . وفيها من جهة المنسَمِ [والوظيف^(٢)]
والْحَرَمَةِ^(٣) ، والشقّ الذي في أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجنّاحين
والذَّنْبِ وَالْمِنْقَارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها
إلى البيض^(٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى
الوُلْدِ^(٥) . وسماها أهل فارس : « أَشْتَرُ مُرْغ^(٦) » ، كما هم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

(١) الحرق ، بالضم : الحرق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .
(٣) الحرمة ، بالتحريك : موضع الحرم من الأنف . وفي كل أنف خرمات ثلاث ،
ثنتان خارجتان عن العين واليسار ، والثالثة الوتره التي بين المنخرين . ط :
« الخزامة » ، وهي بالسكسر : ما يوضع في خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ،
هـ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالسكسر أيضاً : جمع بانض وبيوض . والعبارة محرفة
في الأصل . ففي جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة
« الطائر » في كل من ط ، هـ : « حذقها » ، وفي س : « حذفها »
وهو تحريف جد مضلل ، وقد هداني إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين
هذه الجملة والجملة التي تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكسر : جمع والد بمعنى والدة . وفي اللسان : « وشاة والدة
وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، هـ :
« الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهززة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهززة ونقل =

(شعر في شبه النعام بالبعير والطارء)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحشايا تصير إلى الحبيث من المصير^(١)
ومثلُ نعامٍ تُدعى بعيراً تعاضمها إذا ما قيلَ طيرى^(٢)
فإن قيل أحلى قالت فإني من الطير المربة بالوكور^(٣)
ثم هجا خالدًا^(٤) فقال :

وكنتَ لدى المغيرة عيرَ سوءٍ تصول ، من المخافة ، للزبير^(٥)

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله من يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء في حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضيافة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشايه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاضمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الديميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاضمه » ، أى تعاضم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلهية على ، وتكفير أنى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والبعير : الحمار الوحشى =

لأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةٍ وَعِلْجٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ (١)
هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعَمُونِي شَرَاباً ؛ ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ (٢)
وإنما قيل ذلك في النعامِ ؛ لأنَّ النَّاسَ يَضْرِبُونَ بِهَا المِثْلَ لِلرَّجُلِ
إِذَا كَانَ يَمُنُّ بِعَيْتٍ فِي [كُلِّ] شَيْءٍ يَكْلِفُونَهُ بَعْلَةً ، وَإِنْ اخْتَلَفَ ذَلِكَ
التَّكْلِيفُ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « إِنَّمَا أَنْتَ نَعَامَةٌ » ، إِذَا قِيلَ لَهَا أَحْمَلِي قَالَتْ : أَنَا طَائِرٌ ،
وَإِذَا قِيلَ لَهَا طَيْرِي قَالَتْ : أَنَا بَعِيرٌ .

(قصة أذني النعامة)

وتزعُمُ الأعرابُ أنَّ النعامَةَ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ ، فَرَجَعَتْ مَقْطُوعَةً
الأذنين ؛ فَلِذَلِكَ يَسْمُونَهُ « الظَّليمُ » (٤) ، وَيَصِفُونَهُ بِذَلِكَ .
وقد ذَكَرَ أَبُو العِيَالِ (٥) الهُدْلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالبعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى
أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من
طباع البعير . والبيت محرف في الأصل وفي البيان أيضاً . فهو في الأصل :
« عبد سوء تصول من الخفاة للزئير » ، وفي البيان : « تبول من الخفاة للزئير » .
وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والمرزباني حديث عن هذا البيت في الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق في (٢ : ٢٦٧ من ١٠) والخواشي .

(٣) الظليم ، أي المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتي في ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء
في هذا قول بشار : كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنت كالحقيق غدا يبتغي قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل في آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ،

وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغاني (٢٠ : ١٦٧) .

الجمحي : « كان رجلاً من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر

والآخر يقال له أبو العيال بن أبي غشير . فبينما ابن أخ لأبي العيال قائم عند قوم =

- وإِخَالٌ^(١) أَنْ أَخَاكُم وَعِتَابُهُ^(٢) إِذْ جَاءَكُمْ بَتْعُفٍ وَسُكُونٍ^(٣)
يُمْسِي إِذَا يُمْسِي بِيظَن جَائِعٍ صَفْرٍ وَوَجْهٍ سَاهِمٍ مَدْهُونٍ^(٤)
فَعْدَايُمْتُ^(٥) وَلَا يُرَى فِي بَطْنِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ موزونٍ^(٦)
أَوْ كَالنَّعَامَةِ إِذْ غَدَتِ مِنْ بَيْتِهَا لِيُصَاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أذِينٍ^(٧)
فَاجْتَثَتِ الْأُذُنَانِ مِنْهَا فَانْتَثَتِ صَلْمَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونٍ^(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه . وقد قال بدر بن عامر يرى نفسه بما قيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ . وهذا الشعر الآتي هو المحاوية الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

- (١) س : « وأخاك » ، صوابه في ط ، هـ وبقية أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعناته » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفًا ساكنًا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .

(٤) ط : « يمسي إذا يمسي » صوابه في س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالي الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

- (٥) يمث : يرى على سحنته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت » ، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .

(٦) مِثْقَالٌ : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ من طعام . وجعله موزونًا مبالغة منه وإظهارًا للمعنى .

- (٧) بغير أذنين : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ » ، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذَهَبَ الْغُرَابُ يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ الْعُصْفُورِ (١) ، فلم يتعلمها ، ونسي مِشْيَتَهُ ، فلذلك صارَ يَحْجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفْزَانَ الْعُصْفُورِ (٢) .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوثُ والجُرادةُ ذاتُ قَفْزٍ ، ولا تمشي مِشْيَةَ الدِّيكِ والصقْرِ والبازي ، ولكن تمشي مِشْيَةَ المقيِّدِ أو المَحْجَلِ (٣) [خِلْقَةٌ (٤)] .

قال أبو عمران الأعمى (٥) ، في تحوُّل قضاة إلى قحطان (٦)

(١) الشعر الذي رواه الدميري يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطة . وهو :

إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطة ورام يمشي مشيا فأصابه ضرب من العقاب
فأضل مشيته وأخطأ مشيا فلذاك سموه أبا المرقال

(٢) هي صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم فتحة خفيفة — وقفوزاً .
والأسير والأعراف : نقز العصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذي قيدت قوائمه . وفي الأصل : « الحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، ه . وهي في أصلها : « خلقتة » .

(٥) كذا في ط ، ه ، وفي س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد

كما في كتاب العقبة والبررة لأبي عبيدة ، في نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاة ، هو قضاة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حير فعدت في اليمن .

انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضع ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاة

ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حير من اليمن ، فلما توفي

والد قضاة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ

وتكنى به ، فنسب إليه ، أي إلى معد ، في أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته

فصار يعرف بقضاة بن مالك بن حير . انظر النص في الروض الأنف (١ : ١٦) .

وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حير =

عَنْ نَزَارٍ (١) :

كَمَا اسْتَوْحَشَ الْحَيُّ الْمَقِيمُ فَفَارَقُوا أَلَّ حَلِيْطَ فَلَ عَزَّ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا
كِتَارَكَ يَوْمًا مِشِيَةً مِنْ سَجِيَّةٍ لِأُخْرَى فَنَفَاتَتْهُ فَأَصْبَحَ يَحْجِلُ (٢)

(عظام النعام)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنها مع عِظَمِ عظامها ، وشدة عدوها ، لا مخ فيها .
وفي ذلك يقول الأعمى الهذليُّ :

عَلَى حَتِّ الْبُرَايَةِ (٣) زَمْخَرِيٌّ أَلَّ سَوَاعِدِ (٤) ظَلَّ فِي شَرِي طِوَالِ (٥)
يعنى ظليماً شَبَّهَ [بِهِ (٦)] عَدُوَّ فَرَسِيهِ . وَالْحَتُّ (٧) : السَّرِيْعُ . وَالشَّرِي :

= النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكيت يعاتب قضاة في انتسابهم إلى النبي :
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل : السبى يحمل من بلد إلى بلد .

- (١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفي الأصل : « بن نزار » وليس شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .
- (٢) المشية ؛ بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضامتين بالظرف ، وهو جائز . وفي الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى » أى لمشية أخرى . وانظر العقدة والبرة لأبي عبيدة ٣٥٥ .
- (٣) حت ، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفي الأصل : « حث » بالمثلثة ، وهو وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حثت ، زخر ، برى) وحاسة البحرى ٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .
- (٤) الزمخري : سيفسره الجاحظ . س : « ذمخري » ، صوابه بالزى كما أثبت .
- (٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جنى « يريد أنهم إذا كن طولا سترته فزاد استبحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ، وطابت نفسه ، فخفض عدوه » .
- (٦) ليست بالأصل .
- (٧) ط ، هـ : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمشاة . انظر التنبيه الثالث .

الحنظل . وبرايته : قوّته على ما يبرّيه من السّير^(١) . والسّواعد : مجارى مخّه
فى العظم وكذلك مجارى عروق الصّرع ، يقال لها السّواعد .

قال : ونظنّ أنّما قيل لها ذلك لأنّ بعضها يُسعدُ^(٢) بعضاً ؛ كأنّه من
التّعاون أو من المواساة^(٣) .

قال : والزّمخريّ : الأجوف . ويقال : إنّ قصب عظم الظّليم لا مخّ
له . وقال أبو النّجم :

* هاوٍ يظلُّ المخّ فى هوائه^(٤) *

وواحد السّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخّ إلّا فى الجوفة^(٥) ، مثل عظم
الأسد .

وفى بعض عظامه مخّ يسير . وكذلك المخّ قليلٌ فى عظام الحنازير ،
وليس فى بعضها منه شيء البتّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومنّ أعاجيبها أنّها مع عظم بيضها تكثّر عدد البيض ، ثمّ تضع
بيضها طويلاً حتّى لو مددت عليها خيطاً لما وجدت لها منه^(٦) خروجاً عن
الأخرى ، تُعطى كلّ بيضةٍ من ذلك قسطه . ثمّ هى مع ذلك ربّما تركت

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أنّ «حت البراية» بمعنى منحت الريش .

لما ينفض عنه عفاه من الربيع . والبراية : النّحاة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفى ط ، ه : «يساعده» ، وأثبت ما فى س .

(٣) ط ، ه : «المساواة» ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاوٍ تضل الطير فى خوائه * .

(٥) أى العظام الجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : «منها» .

بيضا وزهبت تلتمس الطعام ، فتجد بيض أخرى فتحضنه . وربما حضنت هذه بيض تلك ، وربما ضاع البيض بينهما .

وأما عدد بيضها ورتالها فقد قال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسيِّ مرتعه أبو ثلاثين أمسى وهو منقلبٌ (١)

وفي وضعها له طويلاً وعرضاً على خطٍّ وسَطْرٍ ، يقول (٢) :

وَمَا بَيِّضَاتُ ذِي لَيْدٍ هَجَفَ سُقَيْنَ بَزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا (٣)

وُضِعْنَ فَكَلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانَ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَعِ جَنِينَا (٤)

يَبِيْتُ يَحْفَهُنَّ بِمِرْفَقَيْهِ وَيَلْحَفُهُنَّ هَهَفَانًا ثُنِينَا (٥)

(١) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : «أخاك» . ه : «بالسي» ط : «بالسي» . وكل ذلك محرف . س ، ه : «فهو منقلب» .

(٢) القائل هو عمرو بن أحر الياهلي ، كما سيأتي في ص ٣٤١ والكامل ٢٥ ليسك وعيون الأخباز (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى بالبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسن . ط ، ه : «نجف» س : «بنجف» ، صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : «بداجل» ، صوابه في ط ، ه والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذي يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال لتواحد والجمع . و «لم تقرع» هكذا جاءت في الأصل ، ورواية البرد : «قد وسقت» ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت بيت عمرو بن كلثوم :

ذراعي حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك اللوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصني وهم أيضاً في شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الأمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما هو في صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاه بالحاف . ههفاها ، يعني به الجناح . وثنينا : أى =

وقال الآخر (١) :

تهوى بها مُكْرَبَاتٌ فِي مِرَافِقِهَا فَتُلُّ صِلَابٌ مِيَاسِيرٌ مَعَاجِيلُ (٢)
 يَدَا مَهَاةٍ ، وَرِجْلَا خَاضِبِ سِنِقُ كَانَهُ مِنْ جِنَاهُ الشَّرَى مَحْلُولُ (٣)
 هَيْتِي هِجْفٌ وَزِفَانِيَّةٌ مَرَطَى زَعْرَاءُ ، رِيْشٌ جَنَاحِيهَا هَرَامِيلُ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت في الأصل :

تبيت تحفهن بمرقبيها وتلحفهن هفهافا ثخيناً
 واللوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظلم . ورواية اللسان في مادة
 (هفف) : « بيت يحفن بفقفقيه » . وفي مادة (قفف) : « فظل يحفن بفقفقيه » .
 وقتقفا الظلم : جناحاه .

(١) هو الشاخر ، من قصيدة له في ديوانه ٧٧ - ٨٢ مطلعها :

بانث سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر من عهدا طول

(٢) تهوى بها : أي تصرع . والضمير عائد إلى الناقة في بيت سابق . والمكربات :
 المشدودات ، يعني أن أذرعها مشدودة بمرافقها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى
 متدبجة شديدة . ط ، ه : « ملزمات » ، س : « مكرمات » ، وهما تحريف
 ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظلم احمرت ساقه . والسنق : الذي أصابه
 السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أي من تناوله الخنظل ، وهو أطيب
 طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمحلول ، هو الفصيل
 يجمل في لسانه عود لينمه من الرضاع . جعل الظلم ، في امتناعه عن الطعام ، بما
 شبع ، كالفصيل المحلول الذي لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف في الأصل
 تحريفاً كبيراً ، ففي الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود
 لها في اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » ه : « من حناة »
 صوابه في ط والديوان . س : « محلول » صوابه في ط ، ه والديوان .

(٤) الهيتي : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفي الديوان واللسان (هرمل) .
 والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر
 كما في القاموس (زفف) - السريعة . ط ، ه : « زفانية » س : « زنافية » .
 محرفتان . وضبطت في المخصص ضبط قلم وكذا في الديوان بالفتح . والمرطى ،
 بفتحات : السريعة . وفي الأصل والديوان : « مرطا » صوابه في المخصص واللسان .
 (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات .
 وفي الأصل : « هذا ميل » ، صوابه في الديوان والمخصص واللسان .

- كأَما مُثْنِي أَقْصاعٍ ما هَصَرَتْ مِنْ العِصْءِ بِلَيْتَيْهَا ثالِيلٌ^(١)
 تَرَوْحاً مِنْ سَنامِ العِرْقِ فَالتَبْطَأُ إِلَى القِنانِ الّتي فيها المِداخِيلُ^(٢)
 ١٠٩ إذا اسْتَهْلَأَ بِشَوْبُوبٍ فَقَدْ فَعِلَتْ بِما أَصاباً مِنْ الأَرْضِ الأَفاعِيلُ^(٣)
 فَصادَفَ البَيْضَ قَدْ أَدَّتْ مَنابِئُها مِنْها الرِّثالُ ، لها مِنْها سَرايِيلُ^(٤)
 فَسَكَباً يَنْقُفانِ البَيْضَ عَنِ بَشَرٍ كَأَها ورقُ البَسْباسِ مَغسُولُ^(٥)

(١) يقول : كأن رموس مغارز الريش الذي هصرته تلك النعامة ونزعته ، بثور ظاهرة . والبيت ، بالكسر : صفحة العنق . في الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والمفاء ، بالكسر : الريش . س : « بليديها » ه : « بليها » بهذا الإهمال . وصوابها في ط والديوان .

(٢) تروحا : أي سارا في الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت ما في ط ، ه والديوان . والتبطا : توجهها . والقنان : جمع قنة بالضم ، وهي الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفي الأصل : « الفقار » وأثبت ما في الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التي تحت الجرف ، التي تسمى الدحال . وفي الديوان : « المداخيل » بالحاء المهملة .

(٣) أي إذا اشتدا في الجري بدفعة منه فإنهما يحدان الأرض بمناسهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . في الأصل : « إذا استهل . . . بما أصاب . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما في الديوان .

(٤) أي وجدا البيض وقد أخرجت منه القراخ الصغار منابئها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لمن كالسراييل . في الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفي الديوان أيضا : « منه الرثال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحد الهاء نحو يقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب في هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك القراخ ، وكان بشرها ورق ذاك النبات حين يفسل . مكان « عن بشر » في ط : « أعينها » وفي س : « عن » فقط ، وفي ه : « عنها » وتصحيحه وإكاله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما في التنبيه السابق . والبسباس : نبت له أوراق متراكمة شقر . تذكرة داود . وفي الديوان : « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التي تكون بِمَنْزِلِ العَظِيمِ وأشباهِهِ
من الأَجواد ، بالنَّعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مَيَّادَةَ (١) :

وقلت لها لانعجلى كذلك تقرى الشوك ما لم تردد (٢)
إلى جامع (٣) مثل النِّعامة يلتقى عوازيه (٤) فوق

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثل النِّعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليد بن يزيد :

نتاج العشار المنقيبات إذا شئت (٥) روابؤها مثل النِّعَامِ العَوَاطِفِ (٦)

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء
الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « ما لم تردد » . وفى هذا البيت والذى بعده
نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة
وجامع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة .
وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، هـ : « عوازيه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيبات : ذوات الشحم . والثقى ، بالكسر :
الشحم . وشئت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيبات شئت » ، هـ : « العشار إذا شئت »
س : « العشار إذا تثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابيد : من ربه ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار .
والعواطف : الحائيات على أولادها .

وقال (١) الفرزدق (٢) :

وقدرٍ كحيزوم النعامه أحمشت^(٣) بأجدالٍ خشبٍ زال عنها هشيمها^(٤)

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كلدة^(٥) حين أنشد شعر ابن النطاح^(٦) ، وهو قوله :

* والذئب يلعب بالنعام الشارد *

قال : وكيف يلعب بالنعام والذئب لا يعرض لبيض النعام وفرأخيه حين لا يكونان حاضرين ، أو يكون أحدهما ؛ لأنهما متى ناهضاه ركضه الذكر فرماه إلى الأنثى ، وأعجلته الأنثى فركضته ركضةً تلقيه إلى الذكر فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه أو يُعجزهما هرباً . وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يقوَ عليه . قال : فكيف يقول :

- (١) قبل هذا في هـ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهي زيادة لاموضع لها .
- (٢) البيت في محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس في ديوان الفرزدق مع وجود أخواته في ص ٨٠٣ .
- (٣) حيزوم النعام : ما استدار بطنها وظهرها . ويقال أحش القدر وأحش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحشمت » ، صوابه في س والبخلاء ١٩٠ وأمال المرتضى (٤ : ٢٩) والحامسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .
- (٤) الأجدال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفي الأصل : « أجفال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبي تمام والمرضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والهشيم : المهشم . ط : « هشما » ، صوابه في س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت ما في سائر المراجع .
- (٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره في (١ : ٢٣٤) .
- (٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته في (٣ : ١٩٦) .

* وَالذَّنْبُ يَلْعَبُ بِالنَّعَامِ الشَّارِدِ *

وهذه حاله مع النعام ؟ !

وزعم أن نعامتین اعتورتا ذئباً فهزمتاه (١) ، وصعد شجرة ، فجالدهما ، ففتره أحدهما ، فتناول الذئب رأسه فقطعه ، ثم نزل إلى الآخر فساوره فهزمه .

(جُبْنِ الظَّالِمِ وَنِفَارِهِ)

وَالظَّالِمُ يُوصَفُ بِالْجُبْنِ ، وَيُوصَفُ بِالنَّفَارِ وَالتَّوْحُشِ .

وقال سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ (٢) ، فِي هِجَائِهِ بَنِي عَامِرٍ :

إِذَا مَا رَأَيْتَ بَنِي عَامِرٍ رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا كَثِيرًا (٣)
نِعَامٌ تَجُرُّ بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نُوكُهَا أَنْ تَطِيرَ (٤)

(ضُرَرُ النِّعَامَةِ)

وَالنِّعَامَةُ تَتَّخِذُهَا النَّاسُ فِي الدُّورِ (٥) ، وَضُرُّهَا شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّهَا رَبَّمَا
رَأَتْ فِي أُذُنِ الْجَارِيَةِ أَوْ الصَّبِيَّةِ قُرْطًا فِيهِ حَجْرٌ ، أَوْ حَبَّةَ لَوْلُؤٍ ، فَتَخْطِفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولتاه . هـ : « فهيرتاه » .

(٢) فِي الإِصَابَةِ ٤٧٠٣ : « سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ خَاقَانَ — صَوَابِهِ حُلْوَانٌ — بْنُ خُوَيْلِدِ بْنِ حَرْمَانَ — كَذَا — الْغَنَوِيُّ . قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : شَاعِرٌ شَايَ مَخْضَرَمٌ » . وَذَكَرَهُ صَاحِبُ الْمُؤْتَلَفِ وَالْمَخْتَلَفِ ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفي عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية في عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمتد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ في الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرقتها ! وربّما رأيت ذلك في لبّة^(١) الصبيّ أو الصبيّة ،
فتضربه بمنقارها ، فرّبما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظلم)

ومّا يشبّه به الفرسُ ممّا في الظلم ، قولُ امرئِ القيسِ بنِ حُجْرٍ :
وخذُ أسيلٌ كالْمِسْنِ وبركةٌ كَجَوْجُو هَيْقٍ دَفَّهُ قد تموراً^(٢)
وقال عَقْبَةُ بنِ سَابِقٍ^(٣) :

وله بركةٌ كَجَوْجُو هَيْقٍ ولَبَانٌ مَضْرَجٌ بالخضابِ^(٤)
وقال أبو دُوَادٍ^(٥) الإياديُّ :

- (١) اللبّة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .
(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجوّجُو : الصدر أيضاً . والهيق : الذكر من النعام .
والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما
يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط
عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد
سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .
(٣) هو عقبه بن سابق الهزاني ، شاعر من شعراء الأصمعيّات (٦ - ٧) . وفي
الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء
الأول ص ٢٧٣ .
(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء
الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ
بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره
بدم ما يسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ :
١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛
فيصيب فرسه نصيب من ذلك .
(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة
أبي داود تقدمت في (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعمات الخليل المحيدين .

يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَتَيْنِ يُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ^(١)
وقال آخر^(٢) :

كَانَ حَمَاتَهُ كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ^(٣)
وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ :

كَالسَّيِّدِ مَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَإِذَا وَلِيَّ تَقُولُ مُلْمَلَمٌ ضَرْبٌ^(٤)
لَأُمٍّ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ وَمَشَى مُتَتَابِعًا مَا خَانَهُ عَقَبٌ^(٥)
يَمْشِي كَمْشِي نَعَامَةً تَبَعْتُ أُخْرَى إِذَا مَا رَاعَهَا خَطْبٌ

القولُ فيما اشتقَّ له من البيض اسم

قال العَدْبَسِيُّ^(٦) الْكِنَانِيُّ : باضت البُهْمَى^(٧) : أى سقطت نِصَالُهَا^(٨)

(١) أَشَقَّ : يعنى ظليماً واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت في (١ : ٢٧٤) .

(٢) في (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحِجَاة : عضلة الساق . والكردوس ، بانضم : واحد الكراديس ، وهى زحوس العظام . وفى الأصل : « نخل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شئ » س : « على سقى » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العدبس الكنانى : أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر .

وفى القاموس (مادة عدبس) ، أن العدبس رجل كنانى . وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً)

« ومنه سمي العدبس الأعرابى الكنانى » . وفى الأصل : « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت

من المراجع المتقدمة .

(٨) البهيمى ، كحبل : نبت هينته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان .

فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكرة

داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبله البهيمى .

وباض الصَّيف ، وباض القَيْظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ ما فيه - من ذلك .
وقال الأَسَدِيُّ :

فَجِئْنَا وَقَدْ بَاضَ الْكَرَى فِي عَيُونِنَا (١) قَبِيٍّ مِنْ عِيُوبِ الْمُقْرِفِينَ مُسَلِّمًا (٢)
وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

رَكِبْتُ بَيْضَةَ الْبِيَّاتِ عَلَيْهِمْ لَمْ يُحْسُوا مِنْهَا سِوَاهَا نَذِيرًا (٣)
وقال الرَّاعِي ، يَهْجُو ابْنَ الرَّقَاعِ (٤) :

لَوْ كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوَتُكُمْ
يَا ابْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَقْبَلْ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا زِرَارٍ فَانْتَمِ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وفي المديح قولُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « أَنَا بَيْضَةُ الْبَلَدِ »

ومنه بَيْضَةُ الْإِسْلَامِ . وبَيْضَةُ الْقَبَّةِ : أَعْلَاهَا ، وَكَذَلِكَ الصَّوْمَعَةُ (٥) .
والبَيْضُ : قَلَانِسُ الْحَدِيدِ .

(١) الكرى : النوم والنعاس . في الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) في الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجيناً ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم في الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه في س ، ه .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين في الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للتصاري ، سمي بذلك لدقة في رأسه .

وقال أبو حية النُميرِي (١) :

وصدَّ الغانياتُ البيضُ عني وما إن كان ذلك عن تقالِي (٢) ١١١
رأينَ الشَّيبَ بأضَ على لِدَاقِي (٣) وأفسدَ ما علىَّ من الجَمالِ (٣) !
وبيضُ الجُرحِ والحِجَبِ (٤) : الوعاء الذي يجمع فيه الصَّديد ،
إذا خرَجَ برئٌ وصلَحَ .

وقد يُسمُّونَ ما في بطونِ إناثِ السَّمكِ بيضاً ، وما في بطونِ الجرادِ
بيضاً ، وإن كانوا لا يروُنَ قِشراً يشتمِلُ عليه ، ولا قيضاً يكونُ لما
فيه حضناً (٥) .

والحِرشاءُ : قشرة البيض إذا خرَجَ ما فيه . وسلَخَ الحيةَ يقال له
الحِرشاء .

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من
مخضري الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصدًا راجزاً من ساكني
البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ،
ليس بينه وبين الخشب فرق . توفي نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغاني
١٥ : ٦١ . وفي الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) التقالِي : المباغضة . هـ : « ثقال » مصحفة .

(٣) لداقي : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدم . ط : « الحبن » تصحيف سبق مثله في ٢ : ٣٣٦ ،
وصوابه في س ، هـ .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر :
بمعنى ما يحيط بالشيء . وأصله من حضن الجبل ، وهو ما يطيف به .

(شعر في التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى في تشبيه اللِّفاء^(١) الحسناء بالبيضة :

أو بيضة في الدَّعصِ مكنونةٍ أو دُرَّةٌ سِيَقَتْ إلى تاجرٍ^(٢)

وقال في بيض الحديد :

كأنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ إذا شامَ يوماً للصَّرِيخِ المنددِ^(٣)

وقال الأعشى :

أَتَتْنَا مِنَ البَطْحَاءِ يَبْرُقُ بِيضُهَا وقد رُفِعَتْ نيرانها فاستقلت^(٤)

(١) في الأصل : « اللِّفاء » ، وهي القصيرة الأنف الصغيرة . ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو

أقرب تصحيح للكلمة . واللِّفاء : الضخمة الفخذين في اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة في الدعص : خبأة في الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة

شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضة » و « درة »

بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب في مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » .

والبيت في صفة كنيية . جعل البيض الذي يحسى رموس الرجال شيها ببيض النعام ؛

لكثرته . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللظلم :

أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بلمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماع وجند مؤيد

فصير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه . والصريخ :

صوت المسترخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت

المبالغ في رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفي أو لصوت مندد » ،

وفي الأصل : « الممدد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) في الأصل : « أتينا » صوابه من أمالي ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر آباد) .

ورواية الديوان : « أتهم » . س ، ه وحامسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق »

ط ، س : « بيضنا » صوابها في ه وأمالي وحامسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخليل :

كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاصَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ أَقْهُمُ تَحْتَ الحَدِيدِ حَوَازِرُ^(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تَقَيَّضَتِ البَيْضَةُ ، والإِنَاءُ ، والقارورة ، تَقَيُّضًا^(٢) : إذا انكسرت فِلَقًا . فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ^(٣) [فِلَقًا] وهي^(٤) متلازقة ، فهي منقَاضَةٌ انقياضاً . وقَبِضَ البَيْضَةُ : قشرتها اليابسة . وغَرَّقَهَا : القشرة الرقيقة التي بين اللحم وبين الصَّمِيمِ . قال : والصَّمِيمِ : الجلدة .

= الأعرشي ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعرشي يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :
فتاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجملت
نحاسيمهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت
ومثله للأعرشي في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :
لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازبة من الأعاجم في آذانها النطف
من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجرى مدامعها أكبادها وجلا بما ترى تجف
وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذي قار العقدة (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميداني (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمعمر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقات البيضة : إذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقة (١) .

قال الرّدَاد : غرقات الدّجاجة بيضا ، فالبيضة مُغرّقة (٢) . والخرشاء : القشرة الغليظة (٣) من البيضة ، بعد أن تُثقب فيخرج ما فيها من البلل ، وجماعها الخراشي ، غير مهموز .

قال : وقال رَدَاد : خرشاء الحية : سلخها حين تنسلخ (٤) .
قال : وتعدى أعرابيٌّ عند بعض الملوك ، فدبّت على حلقيه قلةٌ ، فتناولها فقصّعها بإهامه وسبّابته ، ثمّ قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ما صنعت؟! فقال : بأبي أتممّ وأمي ، ما بقي إلا خرشاؤها !

وقال المرقّش :

إِنْ يَغْضَبُوا يَغْضَبُ لَذَا كَمَا يَنْسَلُّ مِنْ خِرْشَائِهِ الْأَرْقَمُ (٥)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي بَيْضِ الْحَدِيدِ (٦) :

قال : ويقال في الخافر نزا (٧) ينزو . وأما الظلم [فيقال (٨)] قعا يقعو ،

١١٢

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الفرق » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقات » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلد الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلد الغليظة » ، صوابهما في س .

(٤) ط ، هـ : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من الفضليات ٢٤٠ والمقصود والمدود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، هـ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصود .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتم بعد إلى شعر لدريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزي » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعاً^(١) وقِيَاعاً ، وقَعَا يَقْعُو قَعَوًا . فهذا مايسوون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنعامه .

وقال الراعي :

وَرَجُلٌ كَرَجُلِ الْأَخْدَرِيِّ يُشِيلُهَا وَظَيْفٌ عَلَى خُفِّ النَّعَامَةِ أَرْوَحُ^(٢)
وقال جران العود :

لَهَا مِثْلُ أَظْفَارِ الْعَقَابِ وَمَنْسِمٌ أَرْجٌ كَطَنْبُوبِ النَّعَامَةِ أَرْوَحُ^(٣)
قال : والزَّاجِلُ^(٤) : ماء الظلم ؛ وهو كالسكراضِ من ماء الفحل .
وَأُنْشَدَ لابنِ أَحْمَرَ^(٥) :

وَمَا بِيضَاتُ ذِي لَبِيدٍ هِجَفٌ سُقَيْنَ بَزَاجِلٍ حَتَّى رَوَيْنَا^(٦)
وقال الطَّرِمَّاحُ :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبْتَدَا ةٌ أَمَارَتُ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكِرَاضِ^(٧)

(١) كذا على الصواب في هـ . وفي ط : « قعيا » و س : « قيعا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع ما بينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعامه . والأزج : المقوس . ولطنبوب : أنف عظم الساق » . في الأصل : « أظفار الكنانه » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبقير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحر » ، صوابه في س . وانظر ما سبق في ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه في ص ٣٢٨ .

(٧) السبتادة : الناقة الجرئية لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبتاة » وهما لغتان يقال بالتاء وبالذال . أمارت : أسالت . وماء السكراض : ماف جوفها =

وربما استعاروا المناسم : قال الشاعر :

توعدني بالسَّجْنِ والآدَاتِ (١) إذا عَدَّتْ تأظبتِ آدَاتِ (٢)

* تربطُ بالحبلِ أ كَبْرِعَاتِ *

قال : ويقال لولد النَّعَامِ : الرَّألُ ، والجمع رِئَالٌ ورئِلَانٌ ، وَحَفَّانٌ .

وَحَفَّانَةٌ لِلوَاحِدَةِ ، والجمع حَفَّانٌ ؛ وَحِسْكَالٌ . ويقالُ : هَذَا حَيْطٌ نَعَامٌ وَخَيْطَانٌ (٣) . وقال الأَسْوَدُ بْنُ يَعْقَرَ (٤) .

وَكَأَنَّ مَرَجْعَهُمْ مَنَاقِفُ حَنْظَلٍ لِعِبِّ الرَّئَالِ بِهَا وَحَيْطٌ نَعَامٌ (٥)

ويقال : قَطِيعٌ مِنْ نَعَامٍ ، وَرَعْلَةٌ مِنْ نَعَامٍ .

= من ماء الفحل . س ، هـ : « سوف ينيك » ، وأثبت ماني ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه في هـ والديوان . والبيت من قصيدة للطرماح ، مطلعها :

قل في شط نهران اغتاضى ودعاني هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل .

(٢) وفي ط : « عدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثّر . وكان ينادم

النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه في أعاشي

العرب : أعشى بنى نهشل . الأغاني (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية)

والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس

سمعت روبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر

الصحاح (عفر) والخزانة والأغاني وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول

ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعفر »

صوابه في س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مريهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج

حبه المسمى بالهييد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعْلَةُ : القِطْعَةُ مِنَ النَّعَامِ . وَالسَّرْبُ مِنَ الطَّيِّبِ
وَالقَطْأُ . وَالإِجْلُ (١) مِنَ الظَّلْفِ .

وقال طَفِيلُ الغَنَوِيُّ فِي بَيْضَةِ الحَيِّ (٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ :

ضَوَابِعُ تَنْوِي بَيْضَةَ الحَيِّ بَعْدَمَا أَذَاعَتْ بَرِيْعَانَ السَّوَامِ المَعْرَبِ (٣)

قال : وَيُقَالُ : لِلظَّلِيمِ إِذَا رَعَى فِي هَذَا النَّبَاتِ سَاعَةً وَفِي هَذَا سَاعَةً :

قَدْ عَقَبَ يُعَقِّبُ تَعْقِيْبًا (٤) . وَأَنْشَدَنِي لَدَى الرُّمَّةِ :

أَهْمَاهُ آءٌ وَتَنْوُمٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ المَرْوِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ (٥)

قال : وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ ، إِذَا كَانَ صَغِيرَ الأَذْنَيْنِ لِاصْتِقَاتِنِ بِالرَّأْسِ : أَصْمَعٌ ؛

وَامْرَأَةٌ صَمْعَاءُ . وَيُقَالُ : خَرَجَ السَّهْمُ مُتَصَمِّعًا (٦) : إِذَا ابْتَلَّتْ قُدْذَهُ (٧) ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه في ط ، ه .

(٢) في الأصل : « الحلي » ، صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتي وشرحه .

(٣) ضوابع : تمد أضباعها في سيرها ، أي أعضادها . ط ، س : « صوانغ »

ه : « صوانغ » صوابها من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، ه :

« تنوى » س « تنوى » صوابها من الديوان . وفي الأصل : « الحلي » موضع

« الحلي » تحريف أيضاً . وفي شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحلي : معظمهم »

أذاعت : فرقت . وريعان كل شيء : أوله . « والسوام ، كسحاب : ما يسرح من

إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعرب ، بتشديد الزاي المفتوحة : الذي عزَّب

عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » ه : « السقام المغرب » ،

تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « غضب يعضب تعضيْباً » صوابه في س ، ه .

(٥) سبق شرح هذا البيت في ٣١٢ . ط ، ه : « آء آء » بالتكرار . صوابه

في س .

(٦) ط : « أصمع » ه : « صمء » س : « صمءاً » صوابه ما أثبت من القاموس

واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتي .

(٧) قذذ السهم : جمع قذذ بالضم ، وهي ريشة السهم .

من الدَّم وانضمت . وقال أبو ذؤيب :

* سهماً فخرٌ ورِيشُهُ متصمُّعٌ (١) *

ويقال : أنانا بريدةٍ مُصمَّعةٌ (٢) : إذا دَقَّقَهَا (٣) وحدَّدَ رأسَهَا ،
وصومعة الرَّاهِبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمِعَ القلبِ : إذا كان
ذكيًّا حديداً [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمري لقد مرَّتْ عواطِسُ جَمَّةٌ ومَرَّ قُبَيْلَ الصَّيْحِ ظُبِي مُصمِّعٌ (٤)
أراد : ماضياً .

(شعر في البيض)

وقال الشاعر في بيضة البلد (٥) :

(١) عجز بيت في صفة صائد رى أنانا بهم فنفذ فيها ريشه ثم سقط . وصدوره :

* فرى فأنفذ من نحوص عائط *

في الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمغ) وديوان الهذليين (١ : ٨) ،
والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) في الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً :
« مصومعة » كما في القاموس .

(٣) في الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر
اللسان والقاموس (صمغ) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، في أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند
بالبحرين ، وكان قد سنحت له في الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ .

والعواطس : جمع عاطس ، وهو ما استقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة
عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهي دابة يتشام بها . وفي مادة

(صمغ) : « عواطس » كما هنا . والمصمغ : بكسر الميم المشددة : الذهاب السريع
كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمغ » يفتح الميم المشددة ، وهو الصغير

الأذنين . وفي الأصل بدل : « ومر » : « ومى » تحريف ، صوابه ما أثبت من
اللسان في موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ما سبق في (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِعُ بِكْرًا لا خِطَامَ لها حَسِبْتَ رَهْطَكَ عِنْدِي بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
ويشبهه عظام جماجم الرءوس ببيض النعام . وقال الأعرج القيبي^(٢) :

بَكِينًا بِالرَّمَاحِ غِدَاةَ طَرَقَ عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةٍ كِرَامِ^(٣)
جَمَاجِمَ غُودِرَتَ بِحِمَامِ عَرَقَ كَأَنَّ فَرَاشَهَا بَيْضُ النِّعَامِ^(٤)
وقال مقاتل بن طلببة^(٥) :

رَأَيْتُ سَحِيبًا فَاقَدَ اللَّهُ بَيْنَهَا تَذِيكَ بِأَيْدِيهَا وَتَأَبَى أُيُورُهَا^(٦)
وقال السُّحَيْمِيُّ يَرُدُّ عَلَيْهِ :

مُقَاتِلُ ، بَشَّرَهَا بِبَيْضِ نِعَامَةٍ وَإِنْ لَمْ تَبَشِّرْهَا فَأَنْتَ أَمِيرُهَا
وقال أبو الشَّيْصِ الْخَزَاعِيُّ^(٧) فِي بَيْضَةِ الْخَدْرِ :

(١) البكر ، بالكسر : الثاقة لم تحمل ، أو التي ولدت بطنا واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الثاقة يوضعها : جعلها تضع في سيرها ، أي تعدو عدوا خفيفاً . وفي الأصل : « ترضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف في الشعراء : الأعرج المعنى ، نسبة إلى معن طييء . واسمه عدى بن عمرو ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قأما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والتداما

معجم المرزباني ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . ولالأعرج المعنى شعر في

البيان (١ : ٢٤٦) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، صوابه في ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلببة بن قيس بن عاصم ، كما في عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلبية ،

بالتحريك . انظر القاموس واللسان . هـ : « كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بني حنيفة . وفاقده الله بينها : جعل بعضهم يفتقدون بعضها . ورواية

عيون الأخبار : « وتما » موضع : « وتأبى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن علي الخزاعي . وكان معاصراً =

وأبرز الخلدُر من ثنْيَيْهِ بَيْضَتَهُ وأعجلَ الرَّوْعُ نصلَ السَّيْفِ يُخْتَرَطُ^(١)

هَتْمٌ تَفْدِيكَ مِنَّا كُلُّ غَانِيَةٍ وَالشَّيْخُ يَفْدِيكَ وَالْوَالِدَانُ وَالشَّمْطُ^(٢)

وقال جحش بن نصيب :

كَأَنَّ فَلَاقَ الهَامِ تَحْتَ سَيُوفِنَا خَذَارِيْفٌ بِيضٌ عَجَلُ النَقْفِ طَائِرُهُ^(٣)

وقال مهلهل في بيضة الخلدُر :

سَوْتَجُولُ بِيضَاتُ الخُلُودِ حَوَاسِرًا يَمَسَّخَنَ فَضْلَ ذَوَائِبِ الأَيْتَامِ^(٤)

وهو وما قبله يدلان^(٥) على أنهم لا يشبهون ببيض النعام إلا الأبكار .

قال الشاعر^(٦) :

= لأبي نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفي في نكت المبيان ٢٥٧ وذكر أنه توفي سنة مائتين أو قبلها .

(١) اللثى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهي الحافى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف في كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه في ط ، هـ . مختلط : أى يستل من غنمه . يقول : استعجل الخوف نصل السيف في حال اختراطه . في الأصل : « مختلط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهي القلعة . والهام : الروس . والخذاريْف : جمع خذروف بالضم ، وهي كل شئ مبعثر من شئ . س : « خذاريْف » صوابه في ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقها ليساعد الفرخ في الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رهوسهن . وفي الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما في الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيويه (١ : ٥٦) .

وَبَيْضُ أَفْقَانَا (١) بِالضُّحَى مِنْ مُتُونِهَا سَمَاوَةَ بَيْضٍ (٢) كَالْحَبَاءِ الْمَقْوُضِ (٣)
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَى يُرَمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّخْصِ يَنْهَضُ (٤)
يعنى بالبَيْضِ بَيْضُ النَّعَامِ . وَسَمَاوَةُ الشَّيْءِ : شَخْصُهُ . لِأَنَّ الظِّلْمَ لَمَّا
رَأَاهُمْ فَزِعَ وَنَهَضَ . وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَرُوقَةٌ (٥) .

١١٤

وقال ذو الرُّمَّة في بَيْضِ النَّعَامِ :

تراه إِذَا هَبَّ الصَّبَا دَرَجَتْ بِهِ غَرَابِيبُ مِنْ بَيْضِ هَجَانٍ دَرْدَقُ (٦)
قال : وَالصَّبَا وَالْجَنُوبُ تَهَيَّانُ فِي أَيَّامِ يَبِيسِ الْبَقْلِ ، وَهُوَ الْوَقْتُ الَّذِي

(١) كَذَا فِي س ، هـ . وَفِي ط : « فُلْقَانَا » . وَفِي مَخَاضِرَاتِ الرَّاغِبِ : « كَشَفْنَا » وَرَوَايَةٌ
الْقَالِي (٢ : ٢٩٤) : « رَفُونَا »

(٢) كَذَا . وَاعْلَمْنَا : « هَيْق » وَهُوَ الظِّلْمُ . وَرَوَايَةٌ الْقَالِي : « جُون » بِمَعْنَى ظَلِيمٍ
أَسْوَدَ .

(٣) الْحَبَاءُ ، بِالْكَسْرِ : الْبَيْتُ مِنْ وَرَبٍ أَوْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرِ . س ، هـ : « كَالْحَبَاءِ »
صَوَابُهُمَا فِي ط ، وَالْمَخَاضِرَاتُ وَالْأُمَالِي . وَالْمَقْوُضُ : الْمَهْدُومُ . وَجَعَلَهُ كَذَلِكَ حَيْثُ
حَضَنَهُ لِلْبَيْضِ وَرَقُودِهِ عَلَيْهِ .

(٤) هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسُهُ : أَي يَهْجُمُ عَلَى الْبَيْضِ نَفْسُهُ وَيَلْقِيهَا حَاضِنًا لَهَا . وَقَدْ أَنْثَ الْبَيْضُ
هِنَا . وَاسْتَشْهَدَ بِهِ سَبِيوِيهِ عَلَى إِعْمَالِ صِيغَةِ فَعُولٍ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ . وَفِي الْأَصْلِ :
« هَجُومٌ عَلَيْنَا » وَصَوَابُهُ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَرَوَى الْقَالِي وَسَبِيوِيهِ : « بِالشَّيْخِ »
مَكَانَ : « بِالشَّخْصِ » ، وَهِيَ بِمَعْنَى . وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخُ ، بِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ ، لَفْتَانٌ .
(٥) الْفَرُوقَةُ ، بِالْفَتْحِ : لِلْكَثِيرِ الْفَرْعِ ، يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . وَهُوَ نَظَائِرٌ فِي
الْمُزْهِرِ (٢ : ١٣٤) وَانظُرْ شَوَاهِدَ ذَلِكَ فِي اللِّسَانِ (فَرْق) . وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّهُ
يُقَالُ لِلْمُؤَنَّثِ « فَرُوقٌ » بِنَزْعِ الْمَاءِ . وَفِي أَسْلِ الْكِتَابِ : « رَوْحُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ . « ذَرَفَتْ بِهِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ دِيوَانَ ذِي الرُّمَّةِ ٣٩٨ وَمِنْ الشَّرْحِ
الْآتِي لِلْجَاحِظِ . وَ« دَرْدَقٌ » صِفَةٌ لِكَلِمَةِ « غَرَابِيبٌ » فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ . وَالْبَيْتُ
مِنْ قَصِيدَةِ لَذِي الرُّمَّةِ ، أَوَّلُهَا :

أَدَارًا بِجَزْوِي هَجْتِ لَعِينِ عِبْرَةٍ فَاءَ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقُّقُ
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

بِمَشْتَبِهِ الْأَرْبَاءِ يَرَى بَرَكِبَهُ يَبِيسُ الثَّرَى نَائِي الْمَنَاهِلِ أَخُو

يَتَقَبُّ النَّعَامُ فِيهِ الْبَيْضُ . يَقُولُ : دَرَجَتْ بِهِ رِثْلَانُ سَوْدٌ غَرَابِيبُ ، وَهِيَ مِنْ بَيْضٍ هِجَانٌ : أَيْ بَيْضٌ . وَالذَّرْدَقُ : الصَّغَارُ ، وَهُوَ مِنْ صَغْرٍ ^(١) الرُّثْلَانُ .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوف الغنوي ^(٢) ، وذكر كيف يأخذون بيض النعام :
 عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ ^(٣)
 سِوَى نَارِ بَيْضٍ أَوْ غَزَالٍ مُعَقَّرٍ أَعَنَّ مِنَ الْخُنُسِ الْمُنَاخِرِ تَوَامٍ ^(٤)

- (١) جمع صغرى . وفي اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغرى . قال سيبويه : يقال نسوة صغرى ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .
 (٢) طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهل فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب الخيل . ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : الحبر الغنوي . المؤلف ١٨٤ .
 (٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم
 والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون .
 يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ :
 « بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق في (١ : ٣٤٨) . هـ :
 « حمامة » موضع « مقامة » صوابه في س ، ط والديوان . ورواية القائل :
 « نُبُوحٌ مُقَامَةٌ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم
 الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبلى عوازب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شامت
 لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى
 نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

- (٤) معقر : مقتول ممرغ في العفر . س : « معقر » بالقاف . والأعن : الذى فيه
 غنة ، وهو من صفة الظباء . وفي الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ،
 والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد
 لضوئوكه وصغره جسمه .

هذه إبلٌ راعٍ معزِبٍ^(١) صاحب بوادٍ^(٢) وبدوةٍ ، لا يأتى المحاضر والمياه حيث تكون النيران^(٣) . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحب بقلٍ ، فإنه لا ترى ناراً سوى نارٍ بيضٍ أو غزالٍ .

(نار الصيد)

وهذه النارُ هي النارُ التي يُصطاد بها الظباء والرثلان وبيض النعام^(٤) لأن هذه كلها تعشى إذا رأت ناراً ، ويحدث لها فكرة فيها ونظر . والصبيُّ الصغير كذلك . وأوّل ما يعايش^(٥) الرضيعُ ، أوّل ما يناغى ، المصباح^(٦) . وقد يعترى مثل ذلك الأسدُ ، ويعترى الضفدعُ ؛ لأنّ الضفدعَ ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكّت . وهذه الأجناس قد تغترّ^(٧) بالنار ، ويُختال لهاها .

(١) هـ : « معرب » ، صوابه في ط ، س .

(٢) كتبت في الأصل بإثبات الياء . وهو جائز في العربية في حالة الوقف فقط . وفي كتاب سيويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازى وراى وعمى . أظهروا في الوقف ، حيث صارت في موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « النيران » بالناء . صوابه بالنون كما في س .

(٤) تسمح الجاحظ في التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد ، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها بالنار . جاء في ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام في أفاحيصها ومكائنها » .

(٥) يعايش ، من المعايشة ، وهى الملاعبة . وفي الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة الملاعبة . و « المصباح » هـ في ط ، هـ : « المصباح » صوابه في س .

(٧) تغترّ : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستمعها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تغتر » ، صوابه في هـ .

(تشبيه الغيوم بالنعام)

وتوصف الغيوم المراكمة (١) بأنَّ عليها نعاماً . قال الشاعر (٢) :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ (٣)

وقال آخر :

خَلِيلِي لَا تَسْتَسْلِمَا وَاذْعُوا الَّذِي لَهُ كُلُّ أَمْرٍ أَنْ يَصُوبَ رِيحٌ

حَيًّا لِبِلَادٍ أَبْعَدَ الْمَحَلِّ أَهْلِهَا وَفِي الْعَظْمِ شَيْءٌ فِي شَطَاةٍ صُدُوعٌ (٤)

بِمَتْنَصِكَ (٥) عَر (٦) النَّشَاصُ كَأَنَّهَا جِبَالٌ عَلَيْهِنَّ النَّسُورُ وَقُوعٌ (٧)

(١) المراكمة : المتكاثفة . ط ، ه : « المراكمة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما في اللسان (ريب) - عن الأصمعي - ومعجم الأديباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبي عبيد . ونسبه الحمصى في زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب في الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا في شرح المفصليات ٢٤٨ (عن الأصمعي) إلى المازني . قلت : المازني الذي عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازني ، كما في الأغاني (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما في اللسان . وقيل :

إذا الله لم يسق إلا الكرام فأسق وجوه بني حنبل
أجش ملثاغزير السحاب هزير الصلاصل والأزبل
تكركره خضخضات الجنوب وتفرغه هزة الشمال

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفي الأصل : « جنا » . والمحل : الجذب وانقطاع المطر .

والشظى : عظيم لاصق بالركبة . ه : « شطاه » . س : « وفي الفطم في شطاه

صدوع » وأثبت ما في ط . ولعل صوابه : « وَعَى الْعَظْمُ حَتَّى فِي شَطَاهُ

صُدُوعٌ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق في شطاه . ووعى

العظم : انجبر على عم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه في الزهرة ٢٠٣ .

(٥) ه : « بمتنصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك »

وأصله البعير يجبو جبوأ ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكا لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « عر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَصَعَ النَّعَامَاتِ الرَّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ مَخْفُوضٍ وَبَيْنِ مَظَلٍّ (١)
والنعائم في السماء (٢) . والنعائم والنعامتان من آلات البئر (٣) .
و [النعامة (٤)] : بيت الصائد (٥) .

وقال في مثل ذلك عروة بن مرة الهذلي (٦) :

(١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، وربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الثاني من الجبل . في الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيهه بلفظه قوله :
لا شيء في ريدها إلا نعائمها منها هزيم ومنها قائم باقي
و « مظلل » هي في الأصل « مضلل » وصوابه في المخصص .
(٢) هي منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها في المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعلىان ويركز طرفاهما الأسفلان في الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقمان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين في الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتي النعامتين . قلت :
فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . في الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا الله حيف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، هـ : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتي منسوب في اللسان (سرب) إلى أبي خراش الهذلي . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلي ، وكانوا جميعاً شعراء دهاء سراعاً لا يدركون عنوا . أما عروة فقتل في الجاهلية وورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، في الحفاصة . وأما أبو خراش - واسمه خويلد بن مرة - فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات في زمن عمر . الأغاني (٢١ : ٣٨ - ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١١ : ٤٠٠ . سلفية) .

وَذَاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الْفَأْسِ مُشْرِفَةٍ طَرِيقَهَا سَرِبٌ بِالنَّاسِ مَجْبُوبٌ^(١)
١١٥ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَرَسِهَا إِلَّا نَعَامَتُهَا حَالَانٍ مِنْهَزِمٌ مِنْهَا وَمَنْصُوبٌ^(٢)

(مسكن النعام)

وفي المثل : « مَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ^(٣) » ؛ لِأَنَّ الْأَرْوَى تَسْكُنُ
الْجِبَالَ وَلَا تَسْهَلُ^(٤) ، وَالنَّعَامَ تَسْكُنُ السَّهْلَ وَلَا تَرْقُ فِي الْجِبَالِ . وَلِذَلِكَ
قَالَ الشَّاعِرُ^(٥) :

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، هـ : « وذات
زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك :
أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون
لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، هـ : « بزلف »
س : « بدلف » . وفي اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت .
وأما كلمة « الرخ » في اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية
تشرف على ما حولها . والطريق المرب — ككتف — : الذي يتتابع فيه
الناس . في الأصل : « طويها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه المهمد
من قولهم : سنام مجبوب ، أي مقطوع . ط ، س : « مجبوب » صوابه في هـ .
ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذي يسلكه
الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطي البيت الشتوي لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف
ليكون البيت أدفأ . والنعام : الظلة . حالان أي تلك النعام لها حالان فيعض أجزائها
منهزم أي متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فتطامنت . ومنسوب :
أي قائم . انظر مثيل هذا البيت في حواشي الصفحة السابقة . في الأصل : « مصبوب »
والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل في الميداني (١ : ١٢٦) وكنائيات الجرجاني ١١٨ والدميري : « تكلم
فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أي تكلم بكلمتين مختلفتين . وفي اللسان .
« ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعام ؟ ! » . وَالْأَرْوَى : جمع
أَرْوِيَّةٌ ، أو اسم جمع ، وهي أنثى الوعول .

(٤) أسهل : نزل في السهل من الأرض .
(٥) هو مهلهل ، كما في اللسان (ظهر ، كدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما في مختصر
تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) . والبيت بدون نسبة في المقاييس (كدس) .

وَوَحِيلٌ تَسْكَرْدُسُ بِاللِّدَارِعِينَ كَمْشَى الْوُعُولِ عَلَى الظَّاهِرَةِ (١)
وقال كثيرٌ :

يَهْدَى مَطَايَا كَالْحَنِيِّ ضَوَامِرًا بِنِيَاطٍ أُغْبِرَ شَاخِصَ الْأُمِّيَالِ (٢)
فَكَانَهُ إِذْ يَغْتَدِي مُتَسَمًّا وَهَذَا فَوْهَدًا نَاعِقٌ بَرْتَالِ (٣)

(شعر في التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، في تشبيه النعام بما يتدلَّى من السحاب من قطع
الرياب :

(١) ط : « وتبيل » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠)
والمختص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتسكردس : تمشى مشية المقيد . ط :
« يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صوابها من سادس الحيوان .
والرواية في المختص واللسان والمختصر : « تَسْكَدَّسُ » أى تتكدس . والتكدس :
أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدي . والظاهرة :
أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفي الأصل : « الظاهر » صوابه من المختص
واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى في (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحني : كفتى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالتقى في نحوها . وانظر
الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه في هـ .
والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأيمال : جمع ميل ، بالكسر ، وهو
المنار بيني للمسافر في أنشاز الأرض وأشرفها . وفي الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ،
صوابه ما أثبت .

(٣) تسَم الشيء : علاه . س : « متسما » صوابه في ط ، هـ . والوهد ،
بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسَم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التي حوله .
ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهلى فوهلى » صوابها ما أثبت .
وناعق : هو من نعق الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من
س ، هـ .

يا هل ترى برقاً على الـ جَبَدَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهُ (١)
 مِنْ سَاقِطِ الْأَكْتَاكِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهُ (٢)
 مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقاً لَمَّا زَقَا وَدَنَا رَبَابُهُ (٣)
 وقال وشبهه ناقته^(٤) بالظلميم :
 وإذا أطاف لبابه بسديسه^(٥) ومسافراً ولجابه وتزيداً^(٦)
 شبهته هقلاً يبارى هقلةً ربداءً في خيطنفاقٍ أربداً^(٧)

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » فى قراءة الكسافى ، وكقولہ :

يالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمان من جار
 برقع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلان
 طيسى : أجأ وسلمى . وانجياه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح
 الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتاً » . ط ، س : « انجياه »
 تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكتاف : أى من سحاب ساقط النواحي . وفى الأصل : « متساقط » .
 و « الأكتاف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين
 من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقاً ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من
 الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح .
 وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت
 البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت ما فى س . ورواية الديوان :
 « لمادناً قرداً ربابيه » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغَامَهُ بِسَدِيْسِهِ » و « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجابه » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان :

« ثنى فهب هبابه وتزيداً »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صملاً » . والصلع ،
 بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » .
 والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهير^(١) الظلم وأولاده ، حتى^(٢) شبه ناقة بالظلم :
 كأنني وردني والقرباب وممرقي على خاضب الساقين أرعن نقيق^(٣)
 ترامي به حب الصحاري وقد رأي سماوة قشراء الوظيفين عوهق^(٤)
 نحن إلى مثل الجبابير جثم لدى سكن من قيضها المتفلق^(٥)
 تحطم عنها [قيضها] عن خراطم وعن حدق كالتبئخ لم يتفلق^(٦)
 التبئخ^(٦) : الجدرى^(٧) .

= أى رمادية اللون . والحيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س :
 « نبط » ه : « نبط » تصحيحه من الديوان . والنقائق : جمع نقتق ونقتقة ،
 وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا »
 صفة لحيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . ه والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان
 زهير ٢٤٥ أن زهيرا وكعبا اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقرباب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى :
 « والنقتان » وهو غشاء الرجل . والنزق : ما يوضع فوق الرجل يقعد عليه الراكب . خاضب
 الساقين : عنى به ظلها احمرت ساقاه . والنقتق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغانى : و « تراخى » ، أى تناول . ط ، ه : « وقد أرى » . وأثبت
 ما فى س ، والديوان والأغانى ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البيئة
 القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف :
 مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » و ه : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت .
 والعوهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيق » ه : « عبق »
 محرقتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغانى . والجبابير : جمع
 جبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجائمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث
 تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغانى . والقيض :
 قشر البيض .

(٦) التكلفة من الديوان والأغانى . وفى ط ، ه : « خراطم أسيح » . والنبيخ : الجدرى .
 س ، ط : « كالمخ » ، ه : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغانى واللسان (نبيخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، ه : « السيح » ، محرقتان .

(٨) فى الأصناف : « الحذور » ، تحريف ما أثبت .

(النعامه فرس خالد بن نضلة)

وكان اسم فرس خالد بن نضلة^(١) : « النعامه » . قال :

تَدَارَكَ إِرْحَاءُ « النَّعَامَةِ » حَنْثَرًا وَدُودَانَ أَدَّتُهُ إِلَى مُكْبَلًا^(٢)

(تشبيهه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عروة بن الورد^(٣) :

أَلَيْسَ وَرَأَى أَنْ أَدَبًا عَلَى الْعَصَا فَيَأْمَنَ أَعْدَائِي وَيَسَامِنِي أَهْلِي^(٤)
رَهِينَةً قَعْرَ الْبَيْتِ كُلِّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِي الْوَلْدَانُ أَهْدِجُ كَالرَّأْلِ^(٥)

(١) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر في يوم النصار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه في القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتي يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، ه : « أرحاء » ، والوجه ما أثبت ، كما في بلوغ الأرب . و « حنثراً » هي في الأصل : « جيداً » صوابه في بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفي الأصل أيضاً : « أدته » صوابه ما أثبت . وفي بلوغ الأرب : « ودودان أدت في الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صملوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصماليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورأى إن سألت الناس ، وتركت مخاطر التصمك ، أن يلحقني الكبر فأهون ويضجر مني أهلي ؟ ! فهو يحتاج للتصمك بما ترى . س ، ه : « على الصفا » س : « وييأس بي » ، ه : « وييأس أهاني » ، صواب ذلك في ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أي ملازم لا يبرح . وهديج الشيخ في مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شَبَّهَ هَدَجَانَ^(١) الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فِي مَشِيئِهِ بِهَدَجَانَ الرَّألِ .

وقال أبو الزَّحَفِ^(٢) :

أشكو إليك^(٣) وجعاً برُكْبَتِي وَهَدَجَانًا لم يكنْ في مِشْيَتِي^(٤)

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ المِيقَاتِ^(٥) *

وقال آخر ، ولست أدرى أيُّهُمَا حَمَلَ على صاحبه :

أشكُو إليك وَجَعًا بِمِرْفَقِي^(٦) وَهَدَجَانًا لم يكنْ في خُلُقِي

* كَهَدَجَانَ الرَّألِ حَوْلَ النَّقْنِقِ *

ولم يفضحه إلا قوله :

* أشكو إليك وجعاً بِمِرْفَقِي *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أن وجعه في المكان الذي يصيبُ الشُّيوخَ ، ووجع

المرفق مثلُ وجعِ الأذُنِ ، وضربانِ الضَّرْسِ ، ليس من أوجاع الكِبَرِ

في شيء .

(١) في الأصل : « وشبهه بهذا أن » ، تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته في (٢ : ١٩٧) . وفي الأصل : « أبو المرهف » ،

محرقة . والرجز في الشعراء ٦٦٩ في ترجمة أبي للزحف . وقد نسب في نوادر

أبي زيد ٢٥٥ إلى (ابن عُلُقَةَ التَّمِيمِي) ، برواية أخرى . وأراه رجلاً آخر

اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة في أمالي القائل (١ : ١٨٩) . ونسب

في العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابي .

(٣) في العقد : « إلى الله » .

(٤) في الشعراء والنوادر والامالي : « من مشيتي » .

(٥) الحقيقة : النعمة الطويلة . وقد أراد : « الحقيقة » فصيهاة التأنيت تاء في المرور

عليها . في الأصل : « النقق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان

(هنج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً .

وروى : « خلف » مكان « حول » في جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كتبر ، مجلس : موصل الذراع في العضد .

(شعر فيه ذكر النعامه)

وقال ابن ميادة ، وذكر بنى نعامه من بنى أسد - وقد كان قَطْرِيُّ
ابن الفجاءة يكنى أبا نعامه (١) - :

فهل يَمْنَعُنِي أَنْ أُسِيرَ بِيَلْدَةِ نَعَامَةٍ ، مِفْتَاحُ الْخَازِي وَبَابُهَا
وهجا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ رَجُلًا فَجَعَلَ الْبَيْضَةَ الْفَاسِدَةَ مِثْلًا لَهُ ، ثُمَّ أَحْلَقَ
النَّسْرَ بِأَحْرَارِ الطَّيْرِ وَكِرَامِهَا - وَمَا رَأَيْتُهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ لِنَسْرِ - فَقَالَ :

فَأَيُّ أَعْلَى رَغْمِ الْعَدُولِ لَنَازِلُ بِحَيْثُ التَّقَى عَيْطُ وَبَيْضُ بَنِي بَدْرِ (٢)
أَيَا حَكَمِ السُّوْءَاتِ لَا تَهْجُ وَأَضْطَجِعْ

فهل أنتَ إن هاجيتَ إلَّا من الخضرِ
وهل أنتَ إلَّا بَيْضَةٌ ماتَ فَرَحُهَا ثَوَتْ فِي سُلُوحِ الطَّيْرِ فِي بَلَدٍ قَفْرٍ (٤)
حَوَاهَا بَغَاثٌ : شَرُّ طَيْرِ عِلْمَتِهَا وَسَلَاءٌ لَيْسَتْ مِنْ عُقَابٍ وَلَا نَسْرِ (٥)

(١) قطري ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهى نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجاءة فلقب بذلك . واسم قطري جمونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامه كنيته في الحرب ، ونعامه فرسه ، وكنيته في السلم أبو محمد . خرج قطري في زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذة فات وجيء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريري في المقامة السادسة : « فقلدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميري وشرح التبريزي للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الحضرة » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو ما يسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول في سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « سلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأثى من ولد النعام : قلوص ؛ على التشبيه بالنعام من الإبل .
وهذا الجمع^(١) إلى ما جعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخف^(٢)
والنسم ، والخزامة^(٣) ، وغير ذلك .
قال عنتره :

تأوى له قُلُوصُ النِّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِرْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طِمْطِمِ^(٤)
وقال شَماخُ بنُ ضِرار^(٥) :

* قلوص نعام زفها قد تمورا^(٥) *

(وصف الرئال)

ووصف لبيد الرئال فقال :

- (١) كذا . ولعلها : « يجمع » .
(٢) الخزيمة ، بالتحريك : سبق شرحها في ص ٣٢١ . وفي الأصل :
« الخزيمة » محرقة .
(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظلم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :
وكأنما أقص الإكام عشية يقرب بين المنسبين مسلم
وفي الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المملقات واللسان (قلص) . والقلوص
الشابة . من الرئال ، أى فراخ النعام . والخزق : الجماعات . والمراد بها جماعات
الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لا يفهم الكلام .
(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له في ديوانه ٢٦ — ٣٤ .
(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، هـ : « زحها » محرقة . وتمور :

سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فَأَضَحَتْ قَدْ خَلَّتْ إِلَّا عِرَارًا وَعَزْفًا ، بَعْدَ أَحْيَاءِ حَلَالٍ (١)
١١٧ وَحَيْطًا مِنْ خَوَاضِبِ مُؤَلَّفَاتٍ كَأَنَّ رِنَالَهَا وَرُقُ الْإِفَالِ (٢)

(قول في بيت لحسان)

وقال حسان بن ثابت ، رضى الله عنه (٣) :

لِعَمْرُكَ إِنَّ إِلَكَ فِي قُرَيْشٍ كِبَالُ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (٤)

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عرير عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « عرارا » ، صوابه في س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفي الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون ، تتجاورون . ينعت تلك الديار بعد ما رحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احرمت سوقها . مؤلفات : ألقت الرمل . وفي الأصل : « مؤلفات » صوابه من الديوان . ورثاها : فراخها . والورق : جمع أورك ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفي الأصل : « الإمال » بالميم ، محرقة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة في ديوانه ٤٠٧ - ٤٠٨ . ويعدده :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام

وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام

فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللثام بنى هشام

(٤) الإلال : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س ،

هـ : « السيف » صوابها ما أثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١)

وأمال القتالي (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش »

وهناك بيت آخر يشته بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما في الحيوان (١ : ١٤٦)

٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما في

الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما في العقد

(٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليه هذا البيت ناسٌ ، وظنُّوا أنَّه أراد التبعيد ، فذكر
شيتين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانٌ لم يردُّ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ
نَسبه في قُرَيْشٍ ، وأنَّه حينَ وَجَدَ أدنىَ نَسبٍ (١) انتحل ذلك النَسبَ .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ - وذكرَ الفرسَ الذي يقال له : « النعامة » ، وهو
فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التي يقول فيها :

قَرِيبًا مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالِ (٢)
وقولُ الفرزدقِ (٣) :

تُرِيكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةً (٤)

كِرَامُ (٥) بَنَاتِ الحَارِثِ بنِ عِبَادٍ

نِسَاءُ أبُوهُنَّ الأَغْرَى ، وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الحُتِّ فِي أَجْبَالِهَا وَهَدَادِ (٦)

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حِيَالٍ ، أى بعد حِيَالٍ . والحِيَالُ ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال
الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها في (يوم قضى) من أيامهم .

(٣) يقوله لئنوار زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له :
تزوجتها أعرايبة دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت في الموشح ١٠٤ والأغاني (١٩ : ٩) . وروى :
« أرتك » في الأغاني (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » في الديوان ١٥٩ . يقول
لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها .
والعبارة مثل ، كما جاء في قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تتوله ففقد تمنعه وتره النجم يجرى بالظهر

(٥) روى في الديوان والموشح والأغاني (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزيباتي كلام
في هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزدي . ط : « من الأزدي في جاراتها .
وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغاني (١٩ : ٩) =

أبوها الذى آوى النعماء بعد ما أبت وائل في الحرب غير تماد (١)
وقد مدحوا بنات الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله (٢) :

جاءوا بحارشة الضباب كأنهم جاءوا ببنت الحارث بن عباد (٣)
ويلحق (٤) هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باض الصيف (٥) ،
وباض القيظ (٦) . وقال مضرس :

بلماعة قد باكر الصيف ماءها وباضت عليها شمسه وحرائر (٧)

= لكن في س ، ه : « من الحب في إحاطها » ، وتصحيح هذا التحريف من
الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعماء » إشارة إلى قوله : قربا مرتبط
النعماء . ط : « قاد النعماء » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية
الأغنى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدق » . والتامى : اللجاجة .
ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما
تحارب الأخرى .

(٢) في (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه في
نجر القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيلها . وقد عدت هذه
حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى في ذلك شيئاً . انظر
تفصيل هذا الخلاف في (٦ : ٧٧ - ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثقل في
الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدأ هذا إلى نهاية بيت مضرس ساقط من س . وربما دل هذا
على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ما سبق
في ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) في الأصل : وهو هنا ط ، ه : « السيف » . وانظر ما سبق في ٣٣٦ .

(٦) في الأصل : « ومن باض القيظ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه في ه ، واللسان
(حرر) . وفي اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والحرائر : جمع
حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية
اللسان : « فاضت » .

(ابن النعمامة ، فرس خرز بن لوزان)

وابن النعمامة : فرس خرز بن لَوْذَانَ (١) . وهو الذى يقول لامرأته حين
أنكرت عليه إثارة فرسه بالبن :

كَذَّبَ الْعَتِيقُ وَمَاءَ شَنْ بَارِدٍ إِنَّ كُنْتُ سَأَلْتَنِي غَبُوقًا فَادْهَبِي (٢)
إِنِّي لِأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي (٣) هَذَا غِبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِي (٤)

(١) خرز بزايين ويوزن عمر ، ابن لوزان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خرز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة للشعر الآتى إلى خرز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنبرة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المني (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع تلوم وماأدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس النمر ، ويشرب الماء البارد الذى فى القرية الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهري الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، لسكنه جاء مسموعا كثيرا فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بحليلته زوجته . ط ، س : « خليل » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ الْعَدُوَّ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ^١ إِنَّ يَأْخُذُوكِ تَكْحَلِي وَتُخْضِي^(١)
ويكون مَرَكَبُكَ الْقَعُودَ وَحِدْجَهُ وابنُ النِّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرَكَبِي^(٢)

(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهذلي :

١١٨ وَضَعَ النِّعَامَاتِ الرَّجَالُ بِرَيْدِهَا يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشْعَعٍ وَمُهَلَّلٍ^(٣)

وقال ذو الإصبع العدواني :

ولى ابنُ عَمِّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مَخَالَفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي^(٤)
أُزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتَنَا فَخَالَتِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتُهُ دُونِي^(٥)

= وأثبت مافى هـ والبيان واللسان (لب) . ورواية ابن الشجري في الحماسة :
« ظعنيتى » . والظعنينة : المرأة . والغبار الساطع الذى تعنى : هو ما يظنار من
جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنتين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ
واحد . روى ابن الشجري في الأمل : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب
بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ
مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبي » .

(٢) أى يملك الأعداء حين تسيين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحلج
بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقضاء العدو
فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق .
وأول الثلاثة أحصها .

(٣) « وضع » هى فى الأصل : « وقع » و « بردها » هى فى ط ، س « بردها »
وفى هـ : « بردها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ٣٥١ . و « يرفعن »
هى فى الأصل : « يدفعن » . والمشعع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس .
وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أى أبغضه ويبغضنى .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان
من قصيدة فى المنفصليات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوَادٍ الإِيَادِيُّ فِي ذِكْرِ الصَّيْدِ ، وَذَكَرَ فَرَسَهُ :

وَأَخَذْنَا بِهِ الضَّرَارَ وَقَلْنَا بِحَقِيرٍ بَنَانَهُ أَضْمَارٌ^(١)
فَأَتَانَا يَسْعَى تَفْرُشَ أُمَّ الِ بَيْضٍ شَدًّا وَقَدْ تَعَالَى النَّهَارُ^(٢)
غَيْرَ جَعْفٍ^(٣) أَوَابِدٍ وَنَعَامٍ وَنَعَامٍ خِلَالَهَا أَثْوَارُ
فِي حَوَالِ الْعُقَارِبِ^(٤) الْعَمْرِ فِيهَا حِينَ يَنْهَضُ^(٥) بِالصَّبَاحِ عَذَارُ
ثُمَّ قَالَ :

يَتَسَكَّفُنْ مِنْ صَرَائِعِ سَتِّ قَسَّمَتْ بَيْنَهُنَّ كَأْسُ عُقَارُ
بَيْنَ رَبْدَاءَ كَالْمِظَلَّةِ أَفْقٍ وَظَلِيمٍ مَعَ الظَّلِيمِ حِمَارٌ^(٦)
وَمَهَائِينَ حَرَبِينَ وَرِئَالٍ وَسَيُوبٍ كَأَنَّهُ أَوْتَارُ^(٧)

(١) كَذَا جَاءَ الْبَيْتَ مَحْرَفًا فِي الْأَصْلِ . س : « الضَّرَارُ » . ه : « فَلَسْنَا » مَوْضِعَ

« وَقَلْنَا » . س : « بِحَقِيرٍ » مَوْضِعَ : « بِحَقِيرٍ » .

(٢) أُمُّ الْبَيْضِ ، عَنَى بِهَا النَّعَامَةُ . وَالتَّفْرُشُ : أَنْ تَرْفُوفَ بِجَنَاحِهَا . فِي الْأَصْلِ :

« وَأَتَى يَبْتغِي تَفْرُسَ » ، صَوَابُهُ فِي الْمَعَانِي الْكَبِيرِ ٧٧٥ وَاللِّسَانِ وَالْمَقَابِيسِ (فَرَسٌ) .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلِ .

(٤) كَذَا فِي ط . وَفِي س ، ه : « فِي حَوَالِ الْقَارِبِ » ، مَحْرَفَتَانِ .

(٥) س ، ه : « يَنْهَضُ » .

(٦) رَبْدَاءُ : أَى نَعَامَةٌ رَمَادِيَّةُ اللَّوْنِ . وَالْمِظَلَّةُ : بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، الْكَبِيرُ مِنَ الْأَخْيَةِ ،

وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ ص ٣١١ :

* شَخَتْ الْجَزَارَةَ مِثْلَ الْبَيْتِ سَأْرُهُ *

وَسَيَأْتِي مِثْلُهُ لِذِي الرِّمَّةِ ص ٣٦٨ . ط : « كَالْمِصْلَةِ » س ، ه : « كَالْمِظَلَّةِ »

صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . وَالْأَفْقُ ، بَضْمَتَيْنِ : الرَّائِعُ ، يُقَالُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى ، وَقَدْ سَكَنَ

الْفَاءَ لِلشَّمْرِ .

(٧) كَذَا فِي س ، ه . وَفِي ط :

وَمَهَائِينَ حَرَسَ وَرِئَالٍ وَسَيُوفٍ كَأَنَّهُ أَوْتَارُ

وَالنِّصَانُ مَحْرَفَانِ . وَفِي الْمَعَانِي الْكَبِيرِ ٧٧٦ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ فَقَطْ « كَأَنَّهُ أَوْتَارُ » .

بِإِثْنَاءِ الْمِثْلَةِ . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : « قِيلَ هُوَ الثُّوبُ الْأَبْيَضُ الْمَحْشُوعُ ، وَقِيلَ : الْبُرْدَعَةُ » .

(شعر في تشبيه الناقه بالظلم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبَّهها بأشياء منها^(١) ثمَّ أظن

في تشبيهه إياها بالظلم :

تلاحظ السَّوْطَ شَزْرًا وهى ضامزة كما توجَّس طاوِي الكَشْحِ مَوْشُومٌ^(٢)
 كأنها خاضب زُعْرٌ قِوَامُهُ أُجْنِي له باللَّوِي شَرِيٌّ وَتَنُومٌ^(٣)
 يظُلُّ في الحَنْظَلِ الخَطْبَانِ يَنْقَهُ وما اسْتَطَفَّ من التَّنُومِ مَحْنُومٌ^(٤)
 فُوهُ كَشَقَّ العَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسَكٌ ما يَسْمَعُ الأصواتِ مَصْلُومٌ^(٥)
 يكادُ منسَمه يَحْتَلُّ مُقْلَتَهُ^(٦) كأنه حاذِرٌ لِلنَّحْسِ مَشْهُومٌ^(٧)

- (١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .
 (٢) نظر شزراً : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاي : أى ساكنة خائفة . س ، هـ والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، هـ : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، هـ : « مرشوم » ، محرف .
 (٣) الخاضب : الظلم قد احمرت ساقاه . والزرع : القليلات الريش . هـ : « زعر » . مصحفة . روى فى المفضليات : « قوادمه » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نيت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنبيه . س ، هـ : « أحنى » صوابه فى ط : والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) . والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .
 (٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : « الخطبان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج ليه . واستطف : أى بدا للآخذ . والمحنوم : المقطوع . هـ : « محنوم » وأثبت ما فى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان : « محنوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .
 (٥) لأيا تبينه ، أى لا تبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتينه » . س ، هـ : « لأيا يبينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .
 (٦) المنسم ، كجلس : طرف خف النعامة . يحتل مقلته : ينفذ فيها وينتظها .
 (٧) المشهوم : الفرع . س ، هـ : « موسوم » س : « حازم النحين » هـ : =

حتى تذكرَ بَيْنَصَاتٍ وَهَيَّجَهُ يومُ رِذَاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغِيومٌ (١)
 فلا تزيُّدهُ في مَشِيهِ نَفَقٌ (٢) ولا الزَّرْفِيفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْتُومٌ (٣)
 يَأْوِي إلى حِسْكِ لِزَعْرِ حَوَاصِلِهَا (٤) كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّكْنَ جُرْثُومٌ (٥)
 وَضَاعَةٌ كَعِصِي الشَّرْعِ جُوجُوهٌ كَأَنَّهُ بِنْتَاهِي الرَّوْضِ عُلْجُومٌ (٦)
 حَتَّى تَلَاقَى وَقْرُنُ الشَّمْسِ مَرْتَفَعٌ أُدْحِي عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومٌ (٧)

= « حارم التبخر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

- (١) في المفضليات : « عليه الدجن » . ه : « معتوم » .
 (٢) التزويد : الزيادة . والنفق ، كفرج : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ه :
 « ولا تزيد وفي مشيه » ، صوابه في ط والمصدرين السابقين .
 (٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . في الأصل .
 « مشؤوم » صوابه في المصدرين السابقين . س ، ه : « إلا الرفيف دون
 السك » ، محرف .
 (٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ه : « درحق » صوابها :
 « دردق » . في الديوان : « حرق » .
 (٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، ه : « إذا ركب
 مرثوم » .
 (٦) الوضع : الذى يعدو وضما . والوضع : علو سريع من علو الإبل . وقد زاد
 التاء للمبالغة ، كما جاءت في علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ،
 وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى
 الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع
 روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلق بالقطران . ولعمري لقد دار حلقة على
 رأسه ، فشبه ناقته بالظلم ثم عاد فشبه الظلم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه
 في الاستطراد . س ، ه : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه .
 ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .
 (٧) تلاقى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه في ط ، ه والمفضليات
 واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعام . وأراد بالعريسين الذكر والأنثى .
 س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ه :
 « محجوم » ، ولا وجه له .

- ١١٩ يَوْمِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةٍ كَمَا تَرَاظَنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ (١)
 صَعْلٌ ، كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُجُجُوهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءٌ مَهْجُومٌ (٢)
 تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءٌ خَاضِبَةٌ تَجِيْبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ (٣)

(رَوِيَا النَّمَامَةِ)

الأصمعيّ ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة قال : أرسل (٤)
 شيخ من ثقيف ابنه فلانا - ولم يحفظ اسمه - إلى ابن سيرين ، فكلّمه
 بكلام ، وأمُّ ابنه هذا قاعدة ، ولا يظنُّ أنّها تظنُّ ، فقال له : يا بنيّ اذهب
 إلى ابن سيرين ، فقل له : رجلٌ رأى أنّ له نعامةً تطحن . قال : فقلت له ،

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما في
 الديوان والمفضليات . والإنقاض : صوت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت
 الدجاجة للبيض . وتراظن الروم : تكلموا برطاتهم . ويصح أن يكون حذف من
 الفعل إحدى التامين تخفيفاً ، فيكون أصله : تراظن . والأفدان : جمع فدن ،
 بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرأيا » س : « أقرأيا » ، صوابهما
 في ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم
 على حال في هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفي الكامل ٤٤٩ : « وخرقاء :
 التى لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ما عرضت له » ، وفي اللسان : « وقال المازني في قوله :
 أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا أنهدم سريعاً » .
 وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهدم . وهو من صفة البيت
 الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه مقلّة » محرف .
 والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صمقاء » محرفة . والزمار ،
 بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلني » ، صوابه في ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فَخَبَّأَهَا فِي بَنِي حَنِيفَةَ (١) . قال : فَجِئْتُ أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ ، فَنَافَرْتُهُ أُمِّي ، وَمَا زَالَتْ بِهِ حَتَّى اعْتَرَفَ أَنَّ لَهُ جَارِيَةً فِي بَنِي حَنِيفَةَ .

وما أعرفُ هذا التَّأْوِيلَ . ولولا أَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَصْمَعِيِّ مشهورٌ ما ذَكَرْتُهُ فِي كِتَابِي .

(مسيِّمة الكذاب)

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ الْهَذَلِيِّ فِي مَسِيِّمَةِ الْكُذَّابِ ، فِي احْتِيَالِهِ وَتَمْويهِهِ وَتَشْبِيهِ مَا يَحْتَالُ بِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ ، بقوله :

بِيضَةَ قَارُورٍ وَرَأْيَةَ شَادِنٍ وَتَوْصِيلَ مَقْصُوصٍ مِنَ الطَّيْرِ جَادِفِ (٢)
قال : هذا شعرٌ أَنشَدَنَاهُ أَبُو الزَّرْقَاءُ سَهْمٌ الْخَثْعَمِيُّ ، هذا [منذُ (٣)]
أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ قَدْ كَانَ أَنشَدْنَاهَا فَلَمْ أَحْفَظْ مِنْهَا إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ .

فذكر أن مسيِّمة طاف ، قبل التَّبَيُّ ، فِي الْأَسْوَاقِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ دُورِ الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ ، يَلْتَقُونَ فِيهَا لِلتَّسْوُقِ وَالْبِيَاعَاتِ (٤) ، كَنَحْوِ سُوقِ الْأَبْلَةِ ، وَسُوقِ بَقَّةِ (٥) ، وَسُوقِ الْأَنْبَارِ ، وَسُوقِ الْحِيرَةِ .

(١) أي في حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفي الأصل : « جانف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه :
« لسوق » ، محرفتان عما في ط . والبياعات : الأشياء التي يتبايع بها في التجارة .

(٥) بقّة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقّة خلقت الرأى » . ط ، ه : « لقة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتمس تعلم الحيل والنيرجات^(١) ، واختيارات النجوم والمنتبين . وقد كان أحكم حيل السدنة والحواء^(٢) وأصحاب الزجر والخط^(٣) ، ومذهب الكاهن والعياف^(٤) والساحر ، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعه^(٥) .

قال : فخرج وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنه صب على بيضة من خل قاطع^(٦) - والبيض إذا أطيل إنقاعه في الخل لأن قشره الأعلى ، حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك ، أو على قريب من ذلك - قال : فلما تم له فيها ما حاول وأمل ، طوّلها ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس ، وتركها حتى جفت ويديست . فلما جفت

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرجات » فهما مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنگت » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه في ط ، هـ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقم حتى أخط لك . وبين يدي الحازي غلام له معه ميل له - أي قضيب - ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالمجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقى من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح ، وإن بقى واحد كان ذلك أمانة للخيبة ، وبينها الحازي يحو ويقول الغلام للتفاؤل : ابني عيان ! أسرع البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر ، وهي زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها وتمرها .

(٥) هـ : « تابعة » ، أي جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أي شديد الحموضة .

انضمت ، وكلما انضمت استدارت ، حتى عادت كهيتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَاعَةَ (١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادعى بها أعجوبةً ، وأنها جعلت له آية . فأمنَ به في ذلك المجلس مُجَاعَةَ (٢) . وكان قد حمل معه ريشاً في لون ريش أزواج حمامٍ ، وقد كان يراهُنَّ في منزل مُجَاعَةَ مقاصيصَ . فالتفت ، بعد أن أراهم الآية في البيض إلى الحمام ، فقال لمُجَاعَةَ : إلى كم ١٢٠ تعذب خلقَ الله بالتقصُّ ؟ ! ولو أراد الله للطيرِ خلافَ الطيرِ أنِ لَمَّا خَلَقَ لها أجنحةً ، وقد حرمتُ عليكم قصَّ أجنحةِ الحمام ! فقال له مُجَاعَةَ كالمعتن : فسَل الذي أعطاك في البيضِ هذه الآية أن يُنبتَ لك جناحَ هذا الطائرِ الذَّكَرِ السَّاعَةَ !

فقلت لسهم : أما كان أجودَ من هذا وأشبهه أن يقول : فسَل الذي أدخلَ لك هذه البيضةَ فَمَ هذه القارورة أن يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأن (٣) القومَ كانوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحانِ من مُجَاعَةَ كثير . ولَعَمْرِي إنَّ المتنبىَ ليخدع (٤) ألفاً مثلَ قيس بن زهير (٥) ، قبل أن يخدع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفي البياهي ، صحابي جليل ، كان من رؤساء بني حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزباني في المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة في البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزباني أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم البمامة ، فوجهه إلى أبي بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليوم بذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبي ولا نحن رجعتنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، ه : « كان » ، وأثبت ما في س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العمي ، كان يلقب بقيس الرأي ؛ لجرودة =

واحداً من آخر المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فَإِن أَنَا سَأَلْتُ اللَّهَ ذَلِكَ ، فإنتبه له حتى يطيرَ وأنتم ترونهُ ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا^(١) : نعم . قال : فَإِنى أريد أن أناجى رَبِّى ، وللمناجاة خَلوةٌ ، فانهضوا عَنى ، وإن شئتم فأدخلونى هذا البيت وأدخلوه مَعى^(٢) ، حتى أخرجهُ إليكم السَّاعَةَ وافى الجناحينِ يطير ، وأنتم ترونهُ . ولم يكن القوم سمعوا^(٣) بتغريز^(٤) الحمام ، ولا كان عندهم بابُ الاحتياط فى أمر المحتالين . وذلك أن عبيداً الكيس^(٥) ، فإنه^(٦) المقدم فى هذه الصناعة ، لو منعهو السَّتر والاختفاء . لَمَا وصل إلى شىء من عمله جلّ ولا دَقّ ؛ ولكان واحداً^(٧) من النَّاس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذى قد هيأه ، فأدخل طرفَ كلِّ ريشةٍ ممَّا^(٨) كان معه ، فى جوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقَصِّ . وقَصَبُ^(٩)

= رأيه . وهو صاحب داحس التى راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء فى الجاهلية .

- (١) فى الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .
 (٢) ط : « فأدخلوه . هذا البيت وأدخلونى معه » ، وأثبت ما فى س ، ه . ومؤداهما واحد .
 (٣) ط : « يسمعون » ، وتصحيحه من س ، ه .
 (٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش فى جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف فى اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغريز » ه : « بتغريز » ، وأثبت الصواب من س .
 (٥) كذا فى الأصل . وفى أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .
 (٦) ط : « فاته » س : « فاته » ، وصوابه فى ه .
 (٧) ط : « واجدا » .
 (٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، ه .
 (٩) قصب الريش : أنابيه . فى الأصل : « قضيب » محرقة .

الرَّيشُ أَجَوْفٌ ، وَأَكْثَرُ الْأَصُولِ حَدَادٌ وَصَلَابٌ . فلما وَفَى الطَّائِرَ ريشَهُ صَارَ فِي الْعَيْنِ كَأَنَّهُ بَرْدٌ مَوْصُولُ الذَّنْبِ ، لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ ارْتَابَ بِهِ . والحمام بنفسه قد كان له أصولٌ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ تمت (١) فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألا يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه (٢) بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم في أمره (٣) كلُّ من كان مستبصراً في تكذيبه .

قال : ثمَّ إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ — وَذَلِكَ فِي مِثْلِ لَيْلَةِ مُنْكَرَةِ الرِّيَّاحِ مُظْلَمَةٌ فِي بَعْضِ زَمَانِ الْبُورَاحِ (٤) — إِنَّ الْمَلِكَ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَى (٥) ، وَالْمَلَائِكَةَ تَطِيرُ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَجْنَحَةٍ ، وَلِحْيَةُ الْمَلِكِ زَجَلٌ وَخَشْخِشَةٌ (٦) وَقَعْمَةٌ ، فَن كَانَ مِنْكُمْ ظَاهِرًا فَلْيَدْخُلْ مَنْزِلَهُ ؛ فَإِنَّ مِنْ تَأَمَّلَ اخْتِطَفَ بَصْرُهُ ! ثمَّ صَنَعَ رَايَةً مِنْ رَايَاتِ الصَّبِيَّانِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنَ الْوَرَقِ الصَّبِيِّ (٧) .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أي صار في مذهبه ، وسار في نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كاث منها في القيظ .

(٥) أي على وشك أن ينزل على .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « حشخشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقّة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبى سبياه زياد بن صالح في وقعه أطلخ - سنة ١٣٤ - من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر : « الورق الصيني ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغد^(١) ، وَجُعِلُ لها الأذنانُ والأجنحةُ ، وتعلَّقَ في صدورِها الجلاجل^(٢) ، وترسَل يوم الرِّيح بالخيوط الطَّوال الصِّلاب .

قال : فبات القومُ يتوقَّعون نزولَ المَلِك ، ويلاحظون السَّماءَ ، وأبطأ عنهم حتَّى قامَ جلُّ أهلِ النِّمامة ؛ وأطنَّبت^(٣) الرِّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يروُن الخيوطَ ، واللَّيلُ لا يُبينُ عن صورة الرِّق^(٤) ، وعن دَقِّ الكاغد . وقد توهُموا قبل ذلك الملائكة . فلَمَّا سَمِعُوا ذلك ورأوه تصارَّخُوا وصاح : من صَرَفَ بصره ودخلَ بيته فهو آمن ! فأصبح القومُ وقد أطبَّقُوا على نصرته والدَّفْعِ عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَأْيَةِ شَادِنٍ وتوصيلِ مَقْصُوصٍ مِنَ الطَّيْرِ جَادِفِ^(٥)
فقلت لسهم^(٦) : يكون مثلُ هذا الأمرِ العجيبِ ، فَلَا يَقُولُ فِيهِ شَاعِرٌ ،
ولا يَشِيعُ به خبرٌ؟! قال : [أ^(٧)] وَكَلِمَا كَانَ فِي الأَرْضِ عَجَبٌ ، أو شيء

(١) الكاغد ، بفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صيني ، بمعنى القرطاس الذي يكتب فيه . والكاغد لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليوناني : χαρτης وتنطق : « خَارِطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلاجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرقة .

(٣) أطنبت الرِّيح إطنابا : اشتدت في غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرقة في الأصل فهي في ط : « طلبت » ، وفي س ، هـ : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الرِّيح الطيبة هي اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) في الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقتها في ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لم » محرقة . وسيرجم الجاحظ « سهما » في ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجبَ أن يشيعَ ذكرُهُ ، ويقالَ فيه الشُّعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ للعربِ نزعُهمُ أن كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعظم ، وسليلُ ملوكِ ، وأبو ملوك ، مع حزمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتهُ حظيراً لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسميه كسرى عبداً ، وهو مع ذلكَ أَحْيَمِرُ أَقْيَشِرُ ، إِمَّا من أشلاء قصيِّ بن معد ، وإما من عُرض نخم . وهو الذي قالوا : تزوّجَ مومسةً - وهى الفاجرةُ ؛ ولا يقال لها مومسةُ إلاَّ وهى بذلك مشهورة - وعرفها بذلك ، وأقامَ عليها ، وهجىَ بها ولم يحفلُ بهجائهم . ومما زاد فى شهرتها قصّة المرقش (١) . وناكها قُرّة بن هُبيرة (٢) حين سبها . فعلمَ بذلك وأقامَ عليها ، ثمّ لم يرضَ حتّى قال لها : هل مَسَّكَ ؟ قالت : وأنت والله لو قدرَ عليك لمَسَّكَ ! فلم يرضَ بها حتّى قال لها : صِفِيهِ لِي . فوصفتهُ حتّى قالت : كأنَّ شعرَ خديهِ حلقُ الدَّرْعِ ! وبال على رأسه خلف بن نوالَةَ الكِنَانِي عامَ حجِّ ، ونصّره عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو - أو عوف - ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغاني (٥ : ١٨٣ - ١٨٤) . وفيها يقول - من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) - :

ألا يا اسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبدأ مادام وصلك دائماً
(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير ، وقد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحقِّ سَبَبٍ^(١) . وَخَطَبَ أَخُوهُ الْمُنْذِرُ إِلَى عُبَيْدَةَ بْنِ هَمَامٍ ، فَرَدَّهُ
أَقْبَحَ الرَّدِّ ، وَقَالَ^(٢) :

أَتَوْنِي وَلَمْ أَرْضَ مَا بَيْتُوا^(٣) وَقَدْ طَرَقُونِي بِأَمْرٍ نُسَكُرُ
لَأَنْكِحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنْكِحُ الْعَبْدَ حَرْحُرًا^(٤)

ثمَّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعض بناته فرغب بها عنه ، حتَّى
كان ذلك سببَ هربه وعِلَّةَ لِقْتله - فهل رأيت شاعراً في ذلك الزَّمان
١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى^(٥) كان منهم في يوم جُلُولَى^(٦)
ويوم ذى قار ، وفي وقائع المنثى بن حارثة ، وسعد بن أبي وقاص - فهل
سَمِعْتَ في ذلك بشعرٍ صحيحٍ طريفٍ^(٧) المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم
مما لا يداني هذا المَفْتَحُ^(٨) ؟ !

(١) نصره تنصيراً: أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر
في الأغاني (٢ : ٣٢ - ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٤٦ ليسك . ونسبا في اللسان (نكر) إلى الأسود
ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلاً . هـ : « بيتوا » ، محرقة .

(٤) جعل أنا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التي
خطبها . في الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذى » .

(٦) المعروف : « جلولا » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول التمتع
ابن عمرو :

ونحن قتلنا في جلولا أثارا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولا الواقعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتاب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدّها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج
السواد . وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم
مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ^(١) إلى رجالٍ من نِزار ، من خير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأَمَّ النعمان سلمى بنت الصَّائغ^(٢) : يهودى من أنباط الشام ، ثمَّ كان نَجْلُهُ^(٣) لِفِعْلِ غيرِ محمود .

وقد قال جبلةُ بن الأيهم^(٤) ، لحسان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عَلَيَّ ورأيتني ، فأين أنا من النعمان ؟ قال : والله^(٥)

[فالنعمان^(٦)] مع هذه المثالب كلها قد رَغِبَ بنفسه^(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنبئه الكسور^(٨) . وكما^(٩) كان أبرويزُ أعظمَ خطراً ،

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء في اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان في الأصدقاء ، والإخوة في الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما في الأغاني (٩ : ١٥٨) . وفي البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « نجله » ، صوابه في س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغساني ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر في أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغاني (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفي الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) في الكلام نقص ، تقديره كما في الأغاني (١٤ : ٣) : « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخصك خير من رأسه ، ونخطوك خير من صوابه ، ولصمكتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (في الأغاني) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغّب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم لملك الفرس ، معرب « خَسْرَوٌ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء في س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) في الأصل : « وكلها » .

كَانَتْ أَنْفَتْهُ^(١) أَفْخَرَ لِلْعَرَبِ ، وَأَدْلَّ عَلَى مَا يَدْعُونَ مِنَ الْعُلُوِّ فِي النَّسَبِ .
وَكَانَ الْأَمْرُ مَشْهُوداً ظَاهِراً ، وَمُرَدِّدًا^(٢) عَلَى الْأَسْمَاعِ مُسْتَفِيضاً . فَإِذْ قَدْ
تَبَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَفْخَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْعَرَبُ أَفْخَرُ
الْأُمَّمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ أَغْفَلُوهُ - فَشَأْنُ مَسِيلِمَةَ أَحَقُّ بِأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَأَشْدُنُّ يَوْسُفُ لِبَعْضِ شُعْرَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ^(٣) يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ
. وَيُكْنَى أَبَا مُنَمَّامَةَ :

لَهْفَى عَلَيْكَ أَبَا مُنَمَّامَةَ لَهْفَى عَلَى رُكْنِي شَمَامَةَ^(٤)

كَمْ آيَةٍ لِأَبِيهِمْ^(٥) كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَةَ

وَقَدْ كَتَبْنَا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابْنِ النَّوَّاحَةِ (فِي كِتَابِنَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِيهِ فَصَّلٌ
مَّا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُنْتَبِي) وَذَكَرْنَا جَمِيعَ الْمُتَنَبِّئِينَ ، وَشَأْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
عَلَى حَدِيثِهِ ، وَبِأَيِّ ضَرْبٍ كَانَ يَحْتَالُ ، وَذَكَرْنَا جَمْلَةَ أَحْتِيَالَاتِهِمْ ،
وَالْأَبْوَابَ الَّتِي تَدُورُ عَلَيْهَا مَخَارِقُهُمْ^(٦) . فَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا الْبَابَ
فَاطْلُبْ هَذَا الْكِتَابَ ؛ فَإِنَّهُ مَوْجُودٌ .

(١) أى أنفة النعمان من مصاهرة كسرى . ط ، ه : « ألفته » ، س : « الفتنة » .
والأوضح ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « وموروداً » . ولا تتجه .

(٣) أى كان مسيلمَةَ .

(٤) فى المعارف ١٧٨ : « على ركني شمامة » .

(٥) كذا . ورواية المعارف : « كم آية لك فيهم » .

(٦) المخاريق : يراد بها تلك الألاعيب التى يلجأ إليها المشعوذون . واحداها مخراق .

قال التبريزى فى شرح المعلقات ٢٢١ : « قيل المخاريق : ما مثل بالشيء وليس به

نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر التنبيه والإشراف ٢٤٠ س ١٩ والحيوان

(١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبد القيس بن خُصافِ البرُجمي^(١) ، النُّعْمَانُ بنَ المنذر ،
في الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائغ^(٢) [له] فقال :

لَعَنَ اللهُ ثُمَّ فَنِي بِلَعْنِ ابْنِ ذَا الصَّائِغِ ، الظُّلُومَ الْجُهُولَا^(٣)
يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلُوفِ وَيَغْزُو ثُمَّ لَا يِرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتَيْلَا^(٤)

(سَهْمُ الحنفي)

وكان سَهْمُ الحنفيُّ يلى طَبْرِسْتَانَ^(٥) ، لمعن بن زائدة^(٦) ، مع حدائثة
سنه يومئذ ، وكان له مروعةٌ وَقَدَّرُ في نفسه .

(١) عبد القيس بن خُصافِ البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهل ، وله
خبران مع حاتم الطائي والناطقة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (٧ : ١٤٥ - ١٤٦)
ومعجم المرزباني ٣٢٥ . وأما خبره مع الناطقة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا
هجاء في النعمان على لسان الناطقة - وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما - فأفسد
ذلك على الناطقة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزباني باسم
(قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني
ونوادر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، والمفضليات ٣٨٣ والحجاسة (١ :
١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خُصاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت .
ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

(٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني
(٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : يتقصه . ط : « يرزء » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من
الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت
من ط والأغاني .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً
ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدَّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحَسَدِ
العربِ لهم على دارهم وتُخومهم وَسَطِ أَعْدائِهِمْ ، حتى كأنهم وَحَدَهُمْ^(١)
يعدِلون بَكْرًا كَلْها - ومع ذلك لم نَرَ قَبِيلَةً قَطُّ أَقَلَّ شَعْرًا مِنْهُمْ . وفي إِخْوَتِهِمْ
١٢٣ عَجَلٍ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشِعْرَاءُ وَرَجَّازُونَ . وليس ذلك لمكان^(٢) الخِصْبِ
وَأَنَّهُمْ أَهْلُ مَدْرَ ، وَأَكَالُو تَمْرٍ^(٣) ؛ لِأَنَّ الْأَوْسَ وَالخَزْرَجَ كَذَلِكَ ، وَهَمَّ
فِي الشَّعْرِ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ . وكذلك عَبْدُ الْقَيْسِ النَّازِلَةُ قَرَى الْبَحْرَيْنِ^(٤) ، فَقَدْ
تَعَرَّفُ أَنْ طَعَامَهُمْ أَطْيَبُ^(٥) مِنْ طَعَامِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ .

وَتَقِيْفُ أَهْلِ دَارِ نَاهِيكٍ بِهَا خِصْبًا وَطَيِّبًا ، وَهَمَّ وَإِنْ كَانَ شَعْرُهُمْ
أَقَلَّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَلِيلَ يَدُلُّ عَلَى طَبْعِ فِي الشَّعْرِ عَجِيبٍ . وليس ذلك مِنْ

= منتقلا في الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقين ،
فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد
ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسناً . فلما قتل يزيد
هرب معن خوفاً من المنصور ، ثم دخل معن في شيعه المنصور وصار من خواصه .
وقتل معن بسجستان ، إذ كان والياً عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة .
ورثاه مروان بن أبي حفصه بمرثية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان
والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » ، صوابه في س ، ه .

(٢) ط : « المسكان » ، صوابه في س ، ه .

(٣) أكالو تمر : أي لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه
من س ، ه .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت
من س ، ه .

(٥) في الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قَبِيلِ رِدَاءَةِ الْغِذَاءِ ، وَلَا مِنْ قِلَّةِ الْحِصْبِ الشَّاعِلِ وَالغِنَى (١) عَنِ النَّاسِ ؛
وَلِئَمَّا ذَلِكَ عَنْ قَدْرِ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَطُوظِ وَالغَرَائِزِ ، وَالْبِلَادِ
وَالْأَعْرَاقِ مَكَانَهَا .

وَبْنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ قَبِيلُ شَرِيفٌ ، يَجْرُونَ مَجَارِيَ مَلُوكِ الْيَمَنِ ،
وَمَجَارِيَ سَانَاتِ أَعْرَابِ أَهْلِ نَجْدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَبِيرٌ حَظٌّ
فِي الشَّعْرِ . وَلَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ شِعْرَاءُ مَفْلِقُونَ .

وَبْنُو بَدْرٍ كَانُوا مَفْحَمِينَ (٢) ، وَكَانَ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ بِهِ أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ (٣)
خَيْرًا لَهُمْ مِنْ تَصْيِيرِ الشَّعْرِ فِي أَنْفُسِهِمْ .

وَقَدْ يَحْظَى (٤) بِالشَّعْرِ نَاسٌ وَيُخْرِجُ (٥) آخَرُونَ ، وَإِنْ كَانُوا (٦) مِثْلَهُمْ
أَوْ فَوْقَهُمْ . وَلَمْ تُمَدَّحْ (٧) قَبِيلَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مِنْ قُرَيْشٍ ، كَمَا مُدَّحَتْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالغِنَا » .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : « الْمَفْحَمُ كَكْرَمٍ : الْعَيْسَى وَمَنْ لَا يَقْدِرُ يَقُولُ شِعْرًا » ، كَذَا
جَاءَتْ الْعِبَارَةُ .

(٣) أَيْ مَا أَطْلَقَ بِهِ أَلْسِنَةَ الشَّعْرَاءِ فِي مَدِيحِهِمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ حَاتِمِ الطَّائِي (الْأَغَانِي ١٦ : ١٠٤)
وَالدِّيَوَانُ (١١٦) :

إِنْ كُنْتَ كَارِهَةً مَعِيشَتَنَا هَاتَا فَحَلِي فِي بَنِي بَدْرٍ
جَاوَرْتَهُمْ زَمَنَ الْفَسَادِ فَتَعَمَّ الْحَى فِي الْعِصَاءِ وَالْيَسْرِ
فَسْتَمِيتَ بِالمَاءِ النَّمِيرِ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى بَأْعَيْنِ خَزَرِ
النُّضَارِيِّينَ لَدَى أَعْتَمَتِهِمُ وَالطَّاعِنِينَ وَخَيْلَهُمْ تَجْرَى
وَالخَالِطِينَ نَحِيَّتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ وَذَوَى الْغَنَى مِنْهُمْ بَنَى الْفَقْرَ

وَأَنْظَرَ مَدِيحَ دَرِيدِ بْنِ الصَّمَةِ لَهُمْ فِي ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يَحْظَى » ، س : « يَحْظَى » ، صَوَابُهُمَا مَا أُثْبِتَ .

(٥) كَذَا فِي س ، ط ؛ وَفِي هـ : « يَجْرَحُ » ، وَرَبْمَا كَانَتْ : « يَجِدُ » أَيْ
يَسُوءُ حَظَّهُ .

(٦) س ، هـ : « كَانُ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) س ، هـ : « يَمْدَحُ » .

مخزوم . ولم يتهياً من الشاهد والمثل لمادح في أحد من العرب ، ما تهياً
لبنى بدر .

وقد كان في ولد زُرارة^(١) لصلبيه ، شعر كثير ، كسعر لقيط^(٢)
وحاجب^(٣) وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذيفة ولا حصن ، ولا عيينة
ابن حصن ، ولا لحمل بن بدر - شعرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبد العزيز بن مروان أحظي^(٤) في الشعر من كثير من
خلفائهم . ولم يكن أحد من أصحابنا ، من خلفائنا وأئمتنا ، أحظي

(١) هو زُرارة بن عدس ، بضمين ، ابن زيد . جد جاهلي . بنوه بطن من بني دارم .
وكان حكيماً من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زُرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر في يوم رحرحان ، وكان من
الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

ياليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الحبير المرموس
أتحلق القزون أم تميمس لابل تميمس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاني

(١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كسعر لقيط » .

ه : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زُرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على

الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بني تميم . وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على

مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) في بلوغ

الأرب (١ : ١٢٥) فهي ممتعة . وعين رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار

ابن عمرو بن جابر الفزاري ، احتمال للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله

الحارث بن ظالم ، ألف بغير ، وهي دية المنوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقدة

(٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التي مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس

الرقيات . ط ، س « أخطأ » ، ه : « أحظأ » ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨)

حيث نقل عن الجاحظ نقلاً كاملاً .

في الشعر من الرشيد^(١) . وقد كان يزيد بن مزيد^(٢) وعمه^(٣) ، ممن أحظاه^(٤) الشعْر .

وما أعلم في الأرض نعمة بعدَ ولايةِ اللهِ أعظمَ من أن يكونَ الرَّجُلُ ممدوحاً .

الصَّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربانِ من الحيوانِ لا يسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ في الأفاعي والنعام .

واعتدَّ من ادعى للنعام الصَّمَّ بقول علقمة :

فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسَكُّ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ^(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أظنبت في مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلي ، وإسحاق الموصلي ، ومروان بن أبي حفصة ، والعتابي ، وابن منذر ، وأشجع السلمي ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ه :

« أحظأ » . والوجه فيما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني : أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفي سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي سبقت ترجمته في ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٤) حظي يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى النخعي بمراثية سمعها الرشيد فبكاه بكاءً اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه . الأغاني (١٨ : ١١٦ - ١١٧) . وأما عمه فقد حظي بمديح مروان بن أبي حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلي بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . في الأصل : « أخطأه » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت في ص ٣٦٦ . ه : « يبينه » . س : « أسد » ه :

« أشد » كل منهما بدل « أسك » بحرف .

قال (١) : ولا يصلح أن تكون « ما » في الموضع الذي ذَكَرَ (٢) لأن ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والتَّلج بارد ، والنَّار حارَّة . [و (٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أن الذي يُسَمَّعُ هذا الصَّوت ؛ لأنه لا مسموعَ إلا الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ

حَتَّى تَلْفَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ البَيْضُ مُرْكُومٌ (٤)
يُوحَى إليها بِإِنْقَاضِ وَتَقْنَقَةِ كما تَرَاظَنُ في أَفْدَانِهَا الرُّومُ (٥)

ثم قال : ١٢٤

تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَفْعَاءُ خَاذِلَةٌ تَجِيهُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ (٦)
وَاحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله (٧) :

وَصُحْمٌ صِثَامٌ بَيْنَ صَمْدٍ وَرِجْلَةٍ وَبَيْضٌ تُوَامٌ بَيْنَ مِيثٍ وَمِذْنَبٍ (٨)

- (١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .
(٢) س : « في موضع الذي » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « في الموضع الذي ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ه .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرخى » محرفتان .
(٥) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . س : « في أنداها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبدأها » ، محرفة عن سابقتها .
(٦) سبق شرحه في ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . ه : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما في ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .
(٧) هو لبيد . اللسان (صح) .
(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ماقى لونه غبرة . وقد عني بها الحمير ، كما في اللسان . ط ، ه : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفي الأصل : « صنما » بالنون . وفي اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ مُجِيبٌ زِمَارًا كَالْبِرَاعِ الْمُثَقَّبِ (١)
وقال الطَّرِمَّاح :

يَدْعُو الْعِرَارُ بِهَا الزَّمَارَ كَأَنَّهُ أَلِمَّ تَجَاوِبُهُ النَّسَاءَ الْعُودُ (٢)

قال : وصَوْتُ النِّعَامَةِ الذَّكَرُ : الْعِرَارُ (٣) . وصوت الأنثى : الزَّمَارُ .

وأشَدُّ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهَا لَا تَسْمَعُ (٤) ، قول أسامة بن الحارث

الهلذلي (٥) :

تَذَكَّرْتُ إِخْوَانِي فَبِتُّ مُسَهَّدًا كما ذكرت بؤًا من الليل فاقدُ (٦)

- = « صيام » . وأثبت تصحيح ما في الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفي الأصل : « بين ضمير ورجله » تصحيحه من اللسان . وبيض تقام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، كنبير : مسيل الماء .
- (١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفي الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار بـ بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت . وسيماذ البيت فى ص ٤٠٠ .
- (٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما كفتح - وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .
- (٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .
- (٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لا تسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .
- (٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابتة ٤٤٢ .
- (٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر برأ » ه : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاندأ » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا لما فى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمري لقد أمهلتُ في نهْيِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ إِمَّا يَعْصِيَنَّكَ خَالِدٌ^(١)
 وَأَمَهَلْتُ فِي إِخْوَانِهِ فَكَأَنَّمَا تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٢)
 وقال الذي زعم أنها تسمع : فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾ . ولو عني أن عمَّاهم كعمى العميان ،
 وصممهم كصمم الصَّمان ، لما قال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
 قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ . وإنما ذلك كقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا
 تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . وكيف تُسمعُ المدبرَ عنك !
 ولذلك يقال : « إِنَّ الْحَبَّ يُعْمِي وَيُصِمُّ » . وقد قال الهذليُّ :

* تَسْمَعُ بِالنَّهْيِ النَّعَامُ الْمَشْرَدُ^(٣) *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنهْي ،
 وسكت - كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْمَعُ
 الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . قال الرَّاجِزُ :
 رِدِي رِدِي وَرِدَ قَطَاةٍ صَمًّا^(٤) كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَاءِ^(٥)

(١) في الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفي الأصل أيضاً : « إلى
 الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقيّة أشعار الهذليين . وأول البيت في هـ :
 « وإني قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصافى فقد بالغت في نهيه .

(٢) تسمع : أي أصغى ليسمع . ويروي : « يُسْمَعُ » . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريئياً
 يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . في الأصل : « المشردا » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « المشردا » . وانظر للتنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز في الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبى سرق
 منه قوله : * ورود قطاصم تشايحن في ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غير الألوان ، رقتش
 الظهور ، صفر الخلق . س ، هـ : « كدرية » ، تحريف طيب ، صوابه في ط =

أى لأنها [لا^(١)] تسمع صوتاً يثنيها ويرُدُّها^(٢) .

وأُشَدُّ قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكَأَنَّمَا^(٣) دَعَوْتُ بِهِ ابْنَ الطَّوْدِ أَوْ هُوَ أَمْرَعُ

والطَّوْدُ : الجبل . وابْنُهُ : الحجر الذي يَتَدَهَّدُهُ^(٤) منه ، كقولهِ^(٥) :

* كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ^(٦) مِنْ عَلٍ *

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرَ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ^(٧) بَصِيرِ الْأُخْرَى وَأَصَمِّ الْأُذُنَيْنِ^(٨)

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندي لشواهد الكشاف .
استشهد به اللزخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من
سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفي اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصفها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندي
بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تمليل جيد .

(٣) في اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفي أساس البلاغة : « كليبا » س ،
ط : « وكأَنَّمَا » ، وأثبت مافي هـ واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، هـ : « يمد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن
« يتدهلى » ، وهي لغة في يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدوره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب في س ، هـ .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بثران
غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفي الأصل : « بصيرة » تصحيحه
من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس
يسمع فيه صدى الصوت . في الأصل : « أصم » بدوفاً واو ، وهى ضرورية لوزن الشعر .
والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كَأَنَّهُ كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَهَلِّ بَيْرَانٌ^(١) ، وَالْأَبَارُ أَعِينٌ ، فَغَوَّرَتْ إِحْدَى الْبَيْرَيْنِ^(٢) وَتُرِكَتِ الْأُخْرَى .

وقوله : « أَصَمُّ الْأُذُنَيْنِ » لِمَا^(٣) أَنْ كَانَ عِنْدَهُ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَضَاءً وَخَلَاءً^(٥) ، حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فِيهِ صَوْتٌ ، جَعَلَهُ أَنْ^(٦) كَانَ لَا يَسْمَعُ صَوْتًا أَصَمًّا ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِفَقْدِ الْأَصْوَاتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بنُ حلِزَةَ^(٧) قولاً يدلُّ على أنها تسمع^(٨) ،
حيث قال :

ولقد أَسْتَعِينُ يوماً على الهِمْمِ إِذَا خَفَّ بِالثَّوَى الثَّوَاءُ^(٩)

(١) كذا جاءت في الأصل ، بتسهيل الهجزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه في س ، هـ .

(٤) أي عند المنهل .

(٥) في الأصل : « فضل وخال » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أي لأن . وحذف الجار مطرد في مثل هذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما في س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهلي من بني يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التي قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) في الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهي السرعة . وأما « الثواء » فهي قافية لمطلع المعلقة :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

بِزَفُوفٍ كَانَهَا هِقْلَةٌ أُمُّ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَفْعَاءُ^(١)
ثمَّ قال :

آنَسْتُ نَبَأَهُ وَأَفْرَعَهَا الْقُنَّاصَ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ^(٢)

فَتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَثَى مَنِئِيًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ^(٣)

ولو قال : « أَفْرَعَهَا^(٤) الْقُنَّاصُ » ولم يقل : « آنَسْتُ نَبَأَهُ » - والنَّبَأُ

الصَّوْتُ - لَكَانَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ^(٥) .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصَّمُّ صِلَابٌ مَايَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّذْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ^(٦)

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والحقلة : النعامة . والرثال : أولادها .

دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء .

س : « صنعاء » هـ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المملقات : « سففاء »
أى عالية .

(٢) آنست نبأه : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن » : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ،

فحمل الضمير على المعنى . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى

بالفتح : بمعنى للغبار المرتفع فى الجو . وروى بالسكس : مصدر أهبى يهبى إهباء :

أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفرع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى :

أن يجد الفرس فى حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره .

ط ، س : « تمين » هـ : « تمين » ، صوابها من الديوان ٦٦ واللسان

(وقى) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرحا » صوابها من المصدرين

السابقين . والرذف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطة ، ويستحب =

ولأنما يعنى أنها مُصَمِّتَةٌ غير جَوْفَاء . وقال الآخر :
قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَمُّمٌ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ
يريد أن حلمه ليس بسخيف متخلخل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه
مصممت . وقال الشاعر :

* وأسأل^(١) من صماء ذاتِ صليل *

ولأنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشافةً ، تسأل^(٢) الماء : أى تريده
وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صماء .

(ذكر الصمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمُّ بَعْضُكُمْ عَمَّى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣)
وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا
لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَعْضُكُمْ عَمَّى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٤) . وذلك
كله على ما فسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بعجز الرأى . والرأى ، أصله الهمز ، وخففه لسكان
القافية . وقيل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
(١) س ، هـ : « وأسأل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سأتق فى شرح الجاحظ ،
وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلٌ لَأَ ، وَلَكِنْ أَنْتَ أَلَامٌ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسأل » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُماً وَعُمَيَانًا^(١) ﴿١﴾ ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أَنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾^(٢) ﴿٢﴾ .

(شعر في معنى الصمم)

وقال عنتره :

ظَلَلْنَا نَكَرُ الْمَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ صُمَّ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ^(٣)

وقال العجيز السلولي :

وقد جَذَبَ الْقَوْمُ الْعَصَابَ مُؤَخَّرًا فَفَهِنٌ عَنْ صَلْعِ الرَّجَالِ حُسُورُ^(٤)

فَظَلَّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرَّجَالِ عَقِيرِ^(٥)

لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَقْنَا لَرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورُ^(٦) ١٢٦

وقال زهير^(٧) :

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السهوف ، منسوب إلى مشارف الشام . وخرصان ، والكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسهمري من الرماح : هو الصليب العود . والمثقف : المعدل المسوي بالثقاف . هـ : « المثقف » تحريف ، صوابه في س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فَظَلْنَا نَكَرَ الْمَشْرِفِيَّةَ فِيهِمْ وَخُرْصَانَ لَدُنَ السَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ

(٤) حُور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفي الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التي يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفي الأصل بالالف . والعقير : التي عقرت ، أي قطعت قوائمها . وفي الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفي البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد في تلك الحرب ، لرحن و قد تشقت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحي . ورواية الأغاني (١١ : ١٥٠) :

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها لعدن وقد بانن بهن فطور

(٧) والبيتان ليسان في ديوان زهير .

لَيْتَنِي خَلِقْتُ لِلْأَبَدِ صَخْرَةً صَمَاءَ فِي كَيْدٍ (١)
لَا تَشْكِي (٢) شَرًّا جَارَتَهَا خَلِقَتْ غَلِيظَةً الْكَيْدِ
وقالت جُمَلُ بنتُ جَعْفَرٍ :

بِكَلِّ رُدْبِي وَأَيْضَ ذِي أَثْرِ (٣)
وَحَيِّ تَرَوَا وَسَطَ الْبُيُوتِ مُغْيِرَةً
تُصِمُّكُمْ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الدُّعْرِ (٤)
وَيُبْصِرُهَا الْأَعْمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ (٥)
وقال دريد :

مَتَى كَانَ الْمَلُوكُ لَكُمْ قَطِينًا (٦) عَلَى وِلَايَةِ صَمَاءَ مِنِّي (٧)
(مثل وحديث في الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صَمَّتْ حَصَاةُ بَدَمٍ (٨) » ، قال : فأصله أن

- (١) كيد ، بفتح فكسر : اسم جبل . في الأصل : « كبدى » !
(٢) في الأصل : « تشكى » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .
(٣) الرديني : الرمح الماسوب إلى امرأة تدعى ردينة ، كانت هي وزوجها سمير يقومان القنا بخط حجر . وعنت بالأبيض : السيف . والأثر ، بالفتح : فرند السيف . ط ، س :
« أثر » هـ : « أسر » ، صوابها ما أثبت .
(٣) مغيرة : أى خيلاً مغيرة هاجرة بأربابها . ط : « خاشية للدعر » . وأثبت صوابه من س ، هـ . وللعرب مجاز في مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظاً ، وكبراً ، كما قال المرار :

وحشوت الغيظ في أضلعه فهو يمشى حظلانا كالنقر
وكما قال المسعودى :

- ولا تأنفا أن ترجما فتسلما . فا حشى الإنسان شراً من الكبر
(٥) تبين : تظهر هي . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .
(٦) القطين : تبع الرجل وماليكه وخدمه .
(٧) كذا جاء هذا الشطر .
(٨) يضرب مثلاً في الإسراف في القتل وكثرة الدم . الميداني (١ : ٣٥٩) .

يكثرُ القتلُ وسفكُ الدماءِ ، حتى لو وقعتْ حِصاةٌ على الأرض لم يُسمعْ لها صوتٌ ؛ لأنها لاتلقى صلابَةَ الأرض .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحمُ بلغتْ الدماءُ المُثَنَّ (١) » ، يعني ثَنَّ (٢) الخليل . وهو الشعر الذي خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزبير بن عبد المطلب (٣) :

ويذِي نَحْوَةَ المِخْتَالِ عَنِّي جُرَازُ الحَدِّ ضَرَبْتُهُ صَمُوتٌ (٤)
لأنَّ السَّيْفَ إِذَا مرَّ في العِظْمِ مرًّا (٥) سَرِيعاً فلم يكن له صوت - كان في معنى الصامت (٦) .

(١) الثنن ، بضم التاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم التاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي في مؤخر رِسع الدابة . ط ، هـ : «السن» س : «السن» ، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : «بلغت الدماء الثنن» في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : «سن» ، س : «بين» محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . وكان من رجالات قریش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعيذة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) ينيبى : يبعد . ونحوة المِخْتَال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم ماضيهِ ونافذه . وانظر ما ساقى في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

ويَنِي الجاهل المِخْتَالِ عَنِّي رِقَاقُ الحدِ ضَرَبْتُهُ صَمُوتَ

وأشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نحوة المِخْتَالِ عَنِّي رِقَاقُ الحدِ ضَرَبْتُهُ صَمُوتَ

(٥) ط ، س : «مر» ، صوابه في هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

وقال ابن ميادة :

متى أدعُ في قَيْسِ بنِ عَيْلَانَ خائِثاً إلى فزاعٍ تُرَكِبُ إلى خَيْوُلِها^(١)
بلمومة كالطودِ شهباءِ فيلَقِي رَداحِ يَصُمُّ السَّامِعِينَ صليْلِها^(٢)
لأنَّ الصَّوْتِ إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إن كان صاحبه أراد أن
يخبر عن شيءٍ . ومتى كثرت الأصواتُ صارت وَغَى^(٣) ، ومنع بعضها بعضاً
من الفهم . فإذا لم يفهمها^(٤) صار في معنى الأصمِّ ، فجاز^(٥) أن يسمَّى
بجاسم الأصمِّ .

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع ، حين آذوه^(٦) بنو سعدٍ فتحوَّل من
جوارهم في آخريْن فأذوه ، فقال : « بِكَلِّ وادِ بَنُو سَعْدِ^(٧) » .

(١) المراد بالخيل هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه في الحديث : « ياخيَل
الله اركبى » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول
فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ،
لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكتيبة السلاح . والرداح ،
بالفتح : الكتيبة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما للرغاء ، بالضم : صوت
ذوات الخف . هـ : « وها » ، صوابها ما أثبت .

(٤) س : « نفهمها » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . عل لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العود :

وَقَالَتْ لَنَا وَالْعَيْسُ صُعْرٌ مِنَ الْبُرَى وَأُخْفَاهَا بِالْجَنْدَلِ الصَّمُّ تَقْدِيفٌ^(١)

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذي ينكر صمم شيء من الخلق : اعتلتم في صمم النعام بقول

زهير :

[أَصَكَّ مُصَلِّمَ الْأُذُنَيْنِ أَجَنَى لَهُ بِالسِّيِّ تَنُومٌ وَأَاءٌ^(٢)]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْخَزْمِ^(٣) ١٢٧

يريد خرق^(٤) أنفه ، وهو في موضع الحرمة^(٥) من البعير :

وأما قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ » فإنما خص بذلك النعام لأنها

تَجْمَعُ الشَّرُودَ وَالنَّفَارَ ، إلى الموق وسوء الفهم . ولو قال : وأرفع صوتي

لِلْحَمِيرِ وَالذَّوَابِ لَكَانَ كَذَلِكَ . والمصاحمة : السُّكُّ التي ليس

لآذانها حجم .

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البيضاء . صعر من البرى : موائل من جذب البرى :

جمع برة ، وهي الحلقة توضع في أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبتته اعتماداً على ما سياتي

في ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والمقول . وفي اللسان : « والخزم من نعت النعام ، قيل

له مخزم لثقب في منقاره » . وعجز البيت في المقاييس (خزم) .

(٤) في الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) في موضع الحرمة ، أي ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبه بها . والحرمة ، بالتحريك ،

سبق شرحها في ص ٣٢١ . في الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هي

الحلقة التي توضع في الحرمة . وانظر ما سبق في ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قول^(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأن الدوابَّ
تسمعُ وتفهّم الزجر ، وتجبب الدعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور
والحجارة ، كان صواباً ، وكان ليرفعُ صوته معنى ؛ إذ^(٢) كان الرفعُ والوضعُ^(٣)
عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلاً ،
وجعل آذانَ النعامِ مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْمٌ فالظي كله كذلك إلاَّ
الخفّاش^(٤) . وكلُّ شئٍ يبيضُ من الحيوان فليس لها حَجْمٌ آذان . ففي قصدهم
بهذه الكلمة إلى النعامِ ، بين جميع ما ليس لأذنيه حَجْمٌ ، دليلٌ على أن
تأويلكم خطأ . قال علقمة بن عبدة :

فُوهِ كَشَقُّ الْعَصَا لِأَيِّ تَبَيَّنَهُ أَسَكُّ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَضْلُومٌ^(٥)

وقالت كَبْشَةُ بنت مَعْدِيكَرِبٍ^(٦) :

(١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم للكلام .

(٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لوجه لوجودها .

(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .

(٤) س : « لا الخفّاش » ط : « الألفّاش » . وأثبت الوجه من هـ .

(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه فى

٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة

أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمانى القائل (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) .

والشمر ٣٣٥ والخزّانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢

إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماء .

وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعمة » . وقد

قال الشمر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية

أخيه ، فغضبت هى وقالت الشمر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ أَلَّا تَغْلُوا لَهُمْ دَمِي (١)
 وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا وَأُتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظَلِّمٍ (٢)
 جَدَعْتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْفَ قَوْمِكُمْ (٣) بَنِي مَازِنٍ أَنْ سُبَّ رَاعِي الْخَزَمِ (٤)
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّارُوا لِأَخِيكُمْ فَشُوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمَصْلَمِ (٥)
 فلو كانت إنما تريد أنه ليس لمسامعها حجج ، كانت الدنيا لها معرضة .

وقال عنبرة :

« (١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية في هـ . وفي س : « ألا تغلوا » محرقة .
 وفي ط : « لا تغلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمي عقلا . والعقل ، بالفتح ،
 الدية . وهي رواية الحماسة وأمالى القائل (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى في الأمالى
 (٣ : ١٩٠) : « ألا تغلوا » . وفي حماسة البحري : « ألا يعلوا » تحريف
 رواية هـ .

« (٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر :
 جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره
 مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا نأروا به أضواء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته
 أظلم . التبريزي . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت
 من معنى تحقير الدية .

« (٣) جدعتم : قطعتم . أنف : جمع أنف . والمراد : أذلتهم قومكم . ورواية الأمالى :
 « قومه » ، وفي الخزائن : « سيد قومه » .

« (٤) بنى مازن ، أى يابنى مازن . والخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاي . وكذا في الأمالى .
 لكن ضبطه صاحب الخزائن بتشديد الزاي المفتوحة والحاء قبلها مهملة . ومهما يكن فهو ،
 كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن
 فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشي بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله
 وسبه ، فتنادى الحبشي : يا لمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغاني
 (١٤ : ٣٢) . والرواية في الأغاني :

أبقتل عبد الله سيد قومه بنو مازن أن سب راعي الخزم
 « (٥) هـ : « لم تغلوا » محرقة . وروى : « لم تتأروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » .
 و : « لم تغلوا بأخيك » .

وكأنما أقصُ الإكَامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمُنْسِمِينَ مُصَلِّمٌ (١)
تَأْوِي له حِرْقُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِرْقُ يَمَانِيَّةٌ لِأَعْجَمِ طَمْطَمٍ (٢)
ولو كان عنتره إنما أراد عدم الحجْم ، لقد كانت الدنيا له معرضة .
وقال زهير :

بأرزة الفقارة لم يخنها قِطَافٌ في الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءٌ (٣)
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ مِنَ الظَّلَامِ جُوجُوهَ هَوَاءٍ (٤)
أَصَكَّ مُصَلِّمِ الْأُذُنِينَ ، أَجْنَى لَهُ بِالسِّيِّ تَتُّومٌ وَآءٌ (٥)

(رد منكر صم النعام)

قال القوم : فإننا لا نقول ذلك ، ولكن العرب في أمثالها تقول : إنَّ
١٢٨ النعامُ ذهبَتْ تطلبُ قرنينِ فقطعوا أذنيها (٦) . ليجعلوها مثلاً في الموقِ
وسوء التدبير . فإذا ذكر الشاعرُ الظَّليمَ ، وذكرَ أنه مُصَلِّمُ الْأُذُنِينَ ،

(١) يقول : كأنما أكرس الإكام بظلم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كجلس :
الظفران المقدمان في الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صاباً . و « بين »
تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه
ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . أرزة : متداخلة مدججة .
س : « بيارزة » ، ه : « الفقارة لم يجها » ، صوابه في ط وديوان
زهير ٦٧ واللسان (أرز ، قطف ، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصود
٣٨ . والقِطَاف : اسم من قطفت الدابة تقطف - من بابي ضرب ودخل - :
أسادت السير وأبطأت . والخلاء ، بالسكس : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت
من غير علة .

(٤) جُوجُوهَ هَوَاءٍ : أي صدره فارغ لاقب فيه ، فهو كالمدعور يسرع العدو هرباً .

(٥) الأصك : المتقارب العرقوبين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق في ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثير ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صكّاء . وسواء قال صكّاء ، أو قال نعامة ، كما أنه سواء قال خنساء أو قال مهاة ونعجة وبقرة وظبية ؛ لأن^(١) الطباء والبقر كلها فطس خنس . وإذا سموا امرأة خنساء فليس الخنس والفطس يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مهاة وظبية . ولذلك قال المسيّب بن علس^(٢) في صفة الناقة :

صكّاء ذعلبة إذا استقبلتها حرج إذا استدبرتها هلواع^(٣)

فتفهّم هذا البيت ، فإنه قد أحسن فيه جدًّا .

والصكّاء في الناس ، والاصطكاك في رجل الناقة عيب^(٤) . فهو

لم يكن ليصفها بما فيه عيب^(٥) ، ولكنّه لا يفرق بين قوله [صكّاء ، وبين

(١) من مبدل : « قال صكّاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيّب ، كمعظم ، بدأ ضبطه صاحب القاموس والأنباري في شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيّب ، حين أوعد بني عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسم زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الهمزة واللام : الناقة السريمة . والحرج : الجسم الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت في الأصل : وصواب إنشاده ، كما في اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكّاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هي أعرضت بخميصة سرح اللين وساع

(٤) كذا في ط . وفي س : « واصطكاك رجل الناقة » . وفي هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محروقة .

(٥) كذا على الصواب في ط ، س . وفي هـ : « فلولم يكن يصفها » . الخ .

قَوْلُهُ (١) [نَعَامَةٌ (٢) ، وكذلك لا يفرقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم :
بَعِيرٌ (٣) . قال الراجز :

إِنِّي لِنِ أُنَكَّرُ أَوْ تَوَسِّمًا أَخُو خَنَائِرٍ يَقُودُ الْأَعْلَمَاءَ (٤)
كَأَنَّهُ يَقُولُ : يَقُودُ بَعِيرًا . وَهُوَ كَقَوْلِ عَنْرَةَ :

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (٥)

(رَدُّ مَدْعَى الصَّمَمِ)

فَقَالَ مَنْ ادَّعَى لِلنَّعَامِ الصَّمَمِ : أَمَّا قَوْلُكُمْ : مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّعَامَةَ
تَسْمَعُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

* تَدْعُو النَّعَامُ بِهِ الْعِرَارَ (٦) *

وقوله :

مَتَى مَا تَشَأْ (٧) تَسْمَعُ عِرَارًا بِقَفْرَةٍ يَجِيبُ زِمَارًا كَالْيِرَاعِ الْمُتَقَبِّ
وقوله (٨) :

أَنْتِ نَبَاءَةٌ وَأَفْزَعُهَا الْقَنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْأَمْسَاءُ
فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرس من الناس - والأخرس أصم -

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) في الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له للسطر الرابع .

(٤) الخنائير : الدواهي . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى في (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده في (٣ : ٣٠٩) . هـ : « وحليل »
بالحاء المعجمة .

(٦) سبق للبيت بتمامه في ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) في الأصل : « متى تأتينا » . وصوابه مما سبق في ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة البشكري ، من مملته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ما نقول ، بما يرى من صورة حركتك^(١) ، كما يعرف معانيك من إشارتك ، ويدعوك ويطلبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمع صوتك قطُّ فيقصدُ إليه ، ولكنه يزيد تلك الحركة ، وتلك الحركة تولد الصوت ، أراده هو أو لم يردده^(٢) . ويضربُ فيصيح ، وهو لم يقصدُ إلى الصياح ، ولكنه متى أدار لسانه في جوبة^(٣) الفم بالهواء الذي فيه ، والنفس الذي يحضره جَماع الفم^(٤) ، حدث الصوت . وهذا إنما غايته الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى^(٥) الناس يصفقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحد^(٦) ، فيعرف صورة تلك الحركة ؛ لطول ترددها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجبَ ضربَ بيديه كما يضربون . فالنعامة تعرف^(٧) صورة إشارة الرثلان وإرادتها ، فتعقل^(٨) ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت^(٩) لحركتها أصواتٌ . ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما^(١٠) في التفاهم على ذلك .

(١) في الأصل : « حركة » .

(٢) س ، هـ : « أم لم يردده » .

(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق في مثل هذا الموضع في (١ : ٧٠) مطابقاً لما في نسخة كوبريل .

(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .

(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابها ما أثبت من س .

(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحد والغضب . وفي الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .

(٧) ط : « تعرق » ، صوابه في س ، هـ .

(٨) س : « فتعقل » ، صوابه في ط ، هـ .

(٩) س : « ويحدث » .

(١٠) س : « حالتهما » .

(شمُّ النعامة)

والعرب تقول : « أَشْمٌ مِنْ نَعَامَةٍ » و : « أَشْمٌ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الزجاج :

* أَشْمٌ مِنْ هَيْتِي وَأَهْلِي مِنْ جَمَلٍ ^(١) *

وقال الحرّمازى ، فى أرجوزته :

* وهو يَشْتَمُّ اشْتِامَ الهَيْتِ ^(٢) *

قال : وأخبرنا ابن الأعرابى أن أعرابياً كلم صاحبه ، فرآه لا يفهم عنه

ولا يسمع كلامه فقال : « أَصْلَحُ كَصَلَحِ ^(٣) النِّعَامَةِ ! »

(شم الفرس والذئب والذرّ)

وقد يكون الفرسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غلوتين ، حِجْرًا أو

رَمَكَةً ^(٤) ، فَيَتَحَصَّنُ ^(٥) تحت رَاكِبِهِ ، من غير أن تكون صَهْلَتِ :

والذئب يشتم ويستروح من ميلٍ ، والذرة تشتم ما ليس له رِيحٌ ، مما

لو وضعته على أنفك ما وجدت له رائحة وإن أجذت التشمم ، كرجل

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيقي ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه

يعرف مكان الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسى واهتدى أفى وصى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط :

« أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأثني من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البردفونة

تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعمير فى (٢ : ١٤١ ص ٨) .

ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأرفق ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُهَا^(١) من يدك في موضعٍ لم ترفيه ذرَّةً قطَّ ، فلا تلبث أن ترى
الذَّرَّ إليها كالخيط الأسود الممدود .

وقال الشاعر ، وهو يصف استبرواح الناس :

وجاء كمثل الرّالِ يتبع أنفه^(٢) لعقبَيْهِ مِنْ وَقَعِ الصُّخُورِ قَعاقِعُ^(٣)
فإنَّ الرّالِ يَشْتَمُ^(٤) رائحةً أبيه وأمه والسَّبْعِ والإنسانِ مِنْ مكانٍ بعيدٍ .
وشبّهَ بِهِ رجلاً جاءَ يَتَّبِعُ الرِّيحَ فَيَشْتَمُ .

(استطراد لغوي)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضب لمطلب أنفه أو عرسه لكريمة لم يغضب^(٥)
ومطلب أنفه : فرجُ أمه ؛ لأنَّ الولد إذا تَمَّتْ أَيَّامُهُ فِي الرَّحِمِ ، فَلَا
مَكَانَهُ^(٦) وكرهه ، وضاق به موضعه ، فطلبَ بأنفه موضعَ المخرَجِ مِمَّا
هو فيه من الكرب ، حتَّى يَصِيرَ أنفه ورأسه على فم الرَّحِمِ ، تِلْقَاءَ فَمِ المخرَجِ .
فالأناء^(٦) والمكانُ يرفعانه في تلك الجهة ، والولد يلتمسُ تلك الجهة بأنفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : ه : « ينفذها » ، صوابه في س وفي أمثال
الميداني (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرال : فرخ النعام . ه : « لعقبه » محرفة .

(٣) س : « يشتم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره في كنيات الجرجاني ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب
أنفه » ، وكنيات الثعالبي ٧ : « وإذا الكرم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان
(أنف) : « وإذا الكرم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجاني « من
أمه أو عرسه » ، والثعالبي : « أو عرسه لكريمة » أي كما عند الجاحظ . واللسان :
« أو عرسه لكريمة » .

(٥) قلاء ، كرماء ورضيه ، قَلِيٌّ وَقَلَاءٌ وَمَقْلِيَّةٌ : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشيء .

ولولا أنه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانه من ذاته ، ثم خرج إلى عالمٍ آخرَ خلافِ عالمه الذي رُبِّي فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السمكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لما كانَ قابلاً لطباعِ السمكِ [غاذياً^(١) لها ، والسمكُ^(٢)] مريداً له ، كان في مفارقته له عطْبُهُ . وكان في مفارقة الولدِ لجَوْفِ البطنِ واغتذائه فضلاتِ الدَّمِ ، [مَلاً يَنْقُضُ^(٣)] شيئاً من طباعه وطباعِ المكانِ الذي كان له مرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشاعر الجاهليّ :

والمرءُ لم يغضب لمطلبِ أنفه أو عرسه لكريمةٍ لمْ يغضبِ^(٤)
يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمه وامراته ، فليس يَمُنَّ يغضب من شيء
يؤول إليه .

(قول المتكلمين في صمم الأخرس)

وزعم المتكلمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنه لم يُوتَ من العجز عن ١٣٠
المنطق لشيءٍ في لسانه ، ولكنَّه إنما أتى في ذلك ؛ لأنه حين لم يسمع
صوتاً قطُّ ، مؤلفاً أو غير مؤلف ، لم يعرف كيفيته فيقصد إليه . وأنَّ جميع
الصَّمِّ ليس فيهم مُصَمَّت^(٥) ، وإنما يتفاوتون^(٦) في الشدَّةِ واللَّينِ ؛
فبعضهم يسمع الهدَّةَ والصَّاعقةَ ، ونهيق^(٧) الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه في ه .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت في ٤٠٣ . وموضع عجزه في كل من ط ، ه كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أي تام الصمم خالصه .

(٦) في الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، ه : « ونهيق » ، وإنما النعيق للغراب والبوم . وصوابه في س .

والرَّعْدَ الشَّدِيدَ ، لا يَسْمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسْمَعُ السَّرارَ (١) ، وإذا رَفَعَتْ له الصَّوْتُ لم يَسْمَعُ . ومتى كَلَّمْتَهُ وَقَرَّتِ الشُّكَايَةُ (٢) في أذنه ، فَهَيَّمْ عَنْكَ كُلَّ الْفَهْمِ . وإن تَكَلَّمْتِ على ذلك المقْدَارِ في الهَوَاءِ ، ولم يكن يَنْفُذُ في قَنَاقَةٍ تَحْصُرُهُ وتَجْمَعُهُ ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ إلى دِمَاغِهِ - لم يفهمه .

فالأصمُّ في الحَقِيقَةِ إِنَّمَا هو الأخرس ، والأخرس إِنَّمَا سَمِيَ بذلك على التَّشْبِيهِ والقَرَابَةِ . ومتى ضَرَبَ الأصمُّ من النَّاسِ إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظَنَّ أَنَّهُ لم يبالِغْ ، حَتَّى يَسْمَعَ صوتَ الضَّرْبَةِ . قال الشَّاعرُ (٣) :

أَشَارَ بِهِمْ لَمَعَ الْأَصْمُ فَأَقْبَلُوا عَرَانِينَ ، لا يَأْتِيهِ لِلنَّصْرِ مُحْلَبٌ (٤)
وقال الأَسَدِيُّ :

وَأَوْصِيكُمْ بِطِعَانِ الْكُمَاةِ فَقَدْ تَعْلَمُونَ بَأْنَ لا خَلُوداً (٥)

(١) السَّرارُ ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه في أذنه .

(٢) كذا في ط . وفي س : « وطرت السكابة » ، هو : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما في اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبي خازم . وهو شاعر جاهلي قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالحاء والزاي المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) في اللسان : « ويقال للنذير إذا أذر قوما من بعيد ، وألح لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يلحهم بالمع » . وعرانين الناس : وجوههم وساداتهم وأشرفهم ، مأخوذ من عرنين الأنف ، وهو رأسه . والمحلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . في الأصل : « محلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « محلب » بالجيم ، كما في اللسان (صمم) وفي اللسان (حلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية إذا جثت سيدهم والمسودا

وَضْرَبَ الْجَمَاجِمَ ضَرْبَ الْأَصَمِ مَّ حَنْظَلَ شَابَةً يَجْنَى الْهَيْبِدا (١)
وقال الهذلي (٢) :

فَالطَّعْنُ شَعْشَعَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبُ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَصْدَا (٣)
وإنما جعله تحت الدِّيمَةِ ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصيرُ ألدنَّ
وأعلَك ، فيحتاج الذي يضربُ تلكَ الأصولَ قبلَ المطرِ ، إلى عشرِ ضرباتٍ
حتى يقطعَ ذلكَ المضروبَ ؛ فإذا أصابه المطرُ احتاجَ إلى أكثرَ من ذلك .

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيك بضرب رهوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم
من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه » ، وصوابه من اللسان (شوب
وصم) . والهيبد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا »
وهو تحريف . وفى اللسان : « هيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربيع الجربى ، شاعر جاهل من شعراء هذيل . و (ربيع) بكسر الراء
بعدها باه موحد ساكنة . والجربى ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو
بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادي فى الخزائنة (٣ : ١٧٢ بولاق)
وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير
الهذلى . وليس بذلك . وقد نسبة المسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد
مناف بن ربيع . صوابه « ربيع » كما فى الخزائنة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ،
عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن
جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بفينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزائنة :
« شغشغة » . وفى الأصل وديوان المعانى : « شمشعة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان
والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والممعة : شدة الحرب والجِد فى القتال . والممعة
أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « ممعة » وأثبت ما فى ر . والرواية
فى جميع المصادر : « هيقة » . والهيقة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو
المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الرامى فيستظل به من المطر .
« ضد ، بالتحريك : ماقطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأنشدنى يحيى الأغر^(١) :

كَضَرْبِ الْقَيْونِ سَبِيكَ الحَديدِ يَوْمَ الجَنائِبِ ضَرْباً وَكَيْدًا^(٢)
فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّياقِلَةِ فقال : نعم ، هذا بَيْنُ معروف .
إذا أَخْرَجْنَا الحَديدَةَ مِنَ الكَبِيرِ فى يَوْمِ شَمالِ^(٣) ، واحتاجت فى القِطْعِ
إلى مائة ضربةٍ ، احتاجت فى قِطْعِها يَوْمَ الجَنُوبِ إلى أكثر من ذلك ،
وإلى أشدّ من ذلك الضَّرْبِ ؛ لأنَّ الشَمالَ يُبَسِّسُ ويقصِفُ ، والجَنُوبَ
يرطّبُ ويلدّنُ .

(الأخرس)

والإنسانُ أبداً أخرسٌ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبيّن الأصوات التى
تُخرج من فيه ، على معناه^(٤) . ويقال فى غير الإنسان ، على غير ذلك .
قال كثيرٌ :

ألم تَسألى يا أمَّ عَمْرٍو فَتُخَبِّرِى سَلِمَتِ وَأَسْقَاكِ السَّحَابُ البُوارِقُ ١٣١
بُكَيًّا لَصُوتِ الرَّعْدِ خُرْسٌ رِوائِحِ وَنَعَقِ وَلَمْ يُسَمِعْ لهن صِوائِعِ^(٥)

(١) هـ : « الأغر » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنايب : جمع جنوب ، وهى الريح التى
تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيق للخرس .

(٥) هـ : « روائج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كبير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « ما زلت تحت عين خرساء » . والعين : السحابة
تبقى أياً ما تمطر . وإذا كثرت ماؤها وكثف ، ولم يكن فيها مخارق لم
تمدح ببرق^(١) .

(سرعة الضوء وسرعة الصوت)

ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في الأصل قبله
ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ؛ لأن البارق والبصر أشد
تقارباً من الصوت والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رحله فيضرب
بعضاً إما حجراً ، وإما دابةً ، وإما ثوباً ، فترى الضرب^(٢) ثم تمكث وقتاً
إلى أن يأتيك الصوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوت السحابة لم تبشر بشيء ، و [إذا^(٣)] لم يكن لها رز^(٤)
سميت خرساء .

(الصخرة الصماء)

وإذا كانت الصخرة في هذه الصفة سميت صماء . قال الأعشى :
وإذا تجيء كتيبة مملومة مكرهة يخشى الكمأة نزالها
وعلى غير هذا المعنى قال كثير :
كأنى أنادي صخرة ، حين أعرضت ، من الصم لو تمشى بها العضم زلت

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قول زهير :

وتنُوفَةٌ عَمِيَاءٌ لَا يَجْتَازُهَا إِلَّا الْمَشِيْعُ ذُو الْفُوَادِ الْهَادِي^(١)
قَفْرٍ هَجَعْتُ بِهَا ، وَلَسْتُ بِنَائِمٍ ، وَذِرَاعٌ مُلْقِيَةٌ الْجِرَانَ وَسَادِي^(٢)
وَوَقَعْتُ بَيْنَ قُتُودٍ عِنْدِي ضَامِرٍ لِحَاطَةِ طَفْلِ الْعَشِيِّ سِنَادِي^(٣)
فَجَعَلَ التَّنُوفَةَ عَمِيَاءَ^(٤) ، حِينَ لَمْ تَكُنْ بِهَا أَمَارَاتٌ .

(الزَّبَابَةُ)

ودَابَّةٌ يُقَالُ لَهَا الزَّبَابَةُ^(٥) ، عَمِيَاءٌ [صَمَاءٌ^(٦)] ، تُشَبَّهُ الْفَأْرَةَ ؛ وَليست

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لا يجذله ، فكأنه يشيمه . والفواد الهادي : المهتدي ، أو الذي يهدي صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهي مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوماً كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرانها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تسريحاً بذلك . ومثل هذا البيت في معناه قول الآخر (الخزائنة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قند ، بالتحريك ، وهو أداة الرحل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهي التومة في آخر الليل . وطفل العشي : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكثر اللفظ في ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتمجج الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يشلها وظيف أزج المخطوطان سهوق

وفي الأصل : « سنادى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاي ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزبابة » ه : « الذبابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماقتضيه المقارنة الآتية .

بالحلذ ، لأنَّ الحُلْدَ أعمى وليس بأصمَّ .

والزَّبَابُ (١) يكون في الرَّمْلِ .

وقال الشاعرُ (٢) :

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدًا (٣)

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ في الأرض يُولد أعمى ، إن كان تأويل العمى (٤) أنه

لا يبصر إلا بعد أيام . فنه ما يفتح عينه بعد أيامٍ كالجُرْوِ (٥) ؛ إلا أولادَ

الدجاج ؛ فإنَّ فراريها تُخرُجُ من البيض كاسية كاسية :

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمْقَمَق - وجعل الأثير أعمى أصمَّ على التشبيه - فقال :

فَسَلَّمْ عَلَيْهِ فَاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وَصَوَّتْ لَهُ بِالْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ

(١) ط ، هـ : « اللباب » ، صوابه في س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٥ - ٩٦) :
واللسان (زيب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف في الأصل س ، هـ : « فهو زباب » ط : « فهو زباب » ، وفي الجميع : « لا يسمع » و هـ : « الأذنان » مكان : « الأذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وحيون الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لمسى » وهذه محرفة . وأثبت ما في ط .

(٥) الجرو ، مطلقه : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س : « كالجرذ » ، صوابهما ما أثبت . وفي (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلَعِ مِثْلِ الْجُرْوِ جَهْمٌ غَضَنْفِرٌ مَعَاوِدِ طَعْنٍ جَائِفٍ وَمِنَادٍ (١)
أَصَمٌّ وَأَعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ يَسِيرُ عَلَى مَيْلٍ بَغِيرِ قِيَادٍ (٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعامة تسمع ، وردّ عليه)

و [قال] مَنْ زَعَمَ أَنَّ النَّعَامَةَ تَسْمَعُ : يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةَ :
مَهْلٌ بِالذَّيَارِ الْعِدَاةَ مِنْ خَرَسٍ أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الْجَمِيعِ مِنْ أَنْسٍ (٣)
سِوَى مَهَاةٍ تَقْرُو أَمْرَتَهُ وَجُوذِرٌ يَرْتَعِي عَلَى كُنْسٍ (٤)
أَوْ خَاضِبٍ يَرْتَعِي بِمَهْقَلَتِهِ مَتَى تَرَعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ (٥)
فَقَدْ قَالَ طَرْفَةَ كَمَا تَرَى :

* مَتَى تَرَعُهُ الْأَصْوَاتُ يَهْتَجِسُ *

وَقَالَ الْآخَرُ : جَوَابُنَا فِي هَذَا هُوَ جَوَابُنَا فِيمَا قَبْلَهُ .

(١) الطعن الجائف : الذي يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . في الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة .
ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما في هـ ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهابة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجوذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات في القاموس . والكنس ، بضمين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما في فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبي . وفي شرح التبريزي للمملقات ١٣٠ : « وهو شيء يتخذ الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتتمتع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظلم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : في القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه في اللسان . فعمل يهتجس ويهتجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاها)

وروى المهيم بن عدي ، وسمعه بعض أصحابنا من أبي عبيدة ، قال :
تضارط أعرابيان عند خالد بن عبد الله (١) ، أحدهما تميمي والآخر أزدى ،
فضرط الأزدى ضرطه ضئيلة ، فقال التميمي :

حَبَقْتُ عَجِيفًا مُحْتَلًّا وَلَوْ أَنَّنِي حَبَقْتُ لِأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الْمَشْرَدَا (٢)
فَرَّ كَمَرُّ الْمُنْجِنِيقِ وَصَوْتُهُ يَبْذُ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بَدَأَ عَمْرَدَا (٣)

(مَنْ لَقَبَهُ : نَعَامَةٌ)

وزعم أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب ، أن كل عربي [وأعرابي]
كان يلقب نعاما ، فإنما يلقب بذلك لشدة صممه . وأنه سأله عن الظلم :
هل يسمع ؟ فقال : يعرف بأنفه وعينه ، ولا يحتاج معهما إلى سمع .
وَأَنْشَدَنِي :

فَجَحَّتْكَ مِثْلَ الْهَقْلِ يَشْتَمُ رَأْلَهُ وَلَا عَرَفَ إِلَّا سَوْفَهَا وَشَمِيمَهَا (٤)

(١) هو خالد بن عبد الله القسري .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر في اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحتل ، بالحاء
المهملة بعدها مثلكة مفتوحة : الهزيل . وفي الأصل : « محتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيها : من
جه نيك ، أي أناما أجودني . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبده ،
بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبداء : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ،
س : « يده » ه : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر
نحو هذا المعنى في (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفيه
ط ، ه : « شوهها » س : « ثوهها » . وهما كلمتان محرفتان لا تبيضان معنى .
والوجه ما أثبت .

وزعم أن لقبَ بيهس^(١) نعامة ، وأنه لقبٌ بذلك لأنه كان في خلق
 نعامة ، وكان شديد الصَّمَم مائناً^(٢) . فأنشد لعدي بن زيد^(٣) :
 وَمِنْ حَذِرِ الْأَيَّامِ مَاحِزٌّ أَنْفَهُ
 قَصِيرٌ وَخَاضِ الْمَوْتِ بِالسَّيْفِ بِيَهْسُ^(٤)
 نعامةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ^(٥)
 وقال المتنخل الهذلي^(٥) ، وذكر سينماً :
 مُنْتَخَبٌ اللَّبُّ لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخُدْعِلِ^(٦)

(١) بيهس : رجل من بني فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة في الأغاني (٢١ : ١٢٢ -
 ١٢٤) ، ونقلها عنه صاحب الخزنة في (٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميداني
 في مثل : « شكل أرمها ولدا » .
 (٢) مائناً : أى أحق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما
 سمي نعامة بقوله :

فَلَأَطْرُقَنَّ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرَكَنَّ بِرِكَاتِ النَّعَامَةِ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعي ، من قصيدة في ديوانه المخطوط ، وكما في الأغاني
 وحاسة أبي تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ وأمثال الميداني (١ : ١٣٨ ، ٢١٦)
 ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزنة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر
 الجاحظ البيهس في البيان (٤ : ٢٧) ولم ينسبها .

(٤) قصة قصير متداولة في الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمي .
 ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغاني ، والخزنة ، والميداني :
 « ورأى الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلي شاعر
 من شعراء هذيل . وهو جاهلي كما في الخزنة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفي الشعراء من
 يقال له : (المتنخل السعدي) ذكره الآمدي في المؤتلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو في هوجه كالحجنون . ورواية اللسان :
 (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفي الأصل :
 « خدباء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخدعل : أى كالشق من ثوب الخدعل
 وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من آدم يليبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيْفُ أهْوَجُ لاعتقل له . والحَدَبُ ^(١) في هذا الموضع :
الهَوَجُ ^(٢) ، وتهاوى الشيء لآيتالك . ويقال للسَّيْفِ : لايبالي مالمقى .

(شعر في النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى في غير هذا الباب :

كحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِي جَرِيهَا إِذَا جُلِيَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا ^(٣)

« كحوصلة الرأل » يصف الخمر بالحمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو ١٣٣

مأخوذ من جلوة العروس القاعدة ، إذا قعدت عن الطلب ^(٤) . ومثله
في [غير ^(٥)] الخمر قولُ علقمة :

تأوى إلى حِسْكِلِ حُمْرِ حَوَاصِلِهِ كَأَنَّهِنَّ إِذَا بَرَّكُنْ جُرْثُومُ ^(٦)

وقال الأحنس بن شهاب ^(٧) :

تَظَلُّ بِهَا رَيْدُ النِّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تُزَجِّي بِالمَسَاءِ حَوَاطِبُ ^(٨)

= لتتحمل عبثهم وحقهم . ط ، ه : « الخزل » صوابه بالذال ، كما في
س ، واللسان .

(١) في الأصل : « الحدب » بالخاء ، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحمق والرعوننة . ه : « الهدج » صوابه ما أثبت من
س ، ط .

(٣) في جريها : أى عند سيلانها وتدققها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلة
جرأ ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه في ص ٣٦٧ .

(٧) الأحنس بن شهاب ، شاعر جاهل قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق)
نقلنا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الريد : جمع أريد وريداء ، وهو ما في لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك .
وهى المملوكة . والحواطب : اللاتي يجتمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُرْجَى : تَدْفَعُ (١) ؛ وذلك أَنَّهُ يثقل جِملها فتمشى مِشْيَةَ النِّعَامِ .

وقال الرَّاجِزُ (٢) :

وَإِذَا الرِّيحُ تَرَوَّحَتْ بِعِشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامُ إِلَى كَثِيفِ العَرْفِجِ (٣)

وَالرَّتْكَ : مَشَى سَرِيعًا . يقول تبادرُ إِلَى الكَثِيفِ (٤) تستترُ بِهِ (٥)

من البَرْدِ . وقال :

رَتَكَ النِّعَامِ فِي طَرِيقِ حَامٍ (٦) .

= المحتطبات يرجمن فيه إلى أهاليهن وقد أعين ، فهن يمشين على تودة . انظر شرح
المفضليات . ورواية المفضليات : « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) في الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويرى :

« تَرْجَى » بنزع إحدى التامين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكري ، من قصيدة مفضلية
٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كلية مدلج سدا بأرحلنا ولم يترح

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآق يشهد لصحة هذا النص منه هو ،
وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما في
المفضليات ٥٢٦ :

وَإِذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعِشِيَّةٍ رَتَكَ النِّعَامِ إِلَى كَثِيفِ العَرْفِجِ .

وبعده :

أَلْفَيْنَا لِلصِّيفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المَدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت في آخر
النهار راجعة إلى مأواها . رتك للنعام : أى مثل رتك للنعام . والرتك ، بالفتح
والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف . وأما الكثيف ، بالنون ، فهو حظيرة
تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفي الكلام نقص ، أهله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل في كنانته .

(٦) طريق حام : أى حى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظائم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعمَ أنَّ الظَّليمَ إذا عدا استقبَلَ الرِّيحَ [وإعما ذلك مخافةً أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتسكبته ^(١)] - معنىً ؛ لأننا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعونهُ ^(٢) باستقبال الرِّيحِ [. قال عبدة بن الطيب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهْفُو وهو مبتركٌ لسانُهُ عنْ شِمالِ الشَّدقِ مَعْدُولٌ ^(٣)
ووصف الذَّيبَ طُفيلٌ الغَنَوِيُّ ، فقال :

كسيدِ الغُضا العادي أضلُّ جِراءَهُ على شِرفِ مُستقبِلِ الرِّيحِ يلحِب ^(٤)

(١) تكبته : تصرفه لوجهه ، كبته يكتبه كبتاً فاندكبت . ومن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسبتها وألقها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يسترعونه » ، أى يعدونه سريعاً . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشْبَهُ شَخْصُهَا وَالْحَيْلُ تَهْفُو هُفْوًا ظِلٌّ فَتَحَاكَ الْجَنَاحُ

وابترك : انتحى على أحد شقيه في عدوه . ط : ه : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشدق هي في س : « السدق » ه : « السدف » صوابهما في ط والمفضليات . وأول البيت في كل من ط ، ه : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تاجناً إليه الذئب . وذئاب الغضا أخبت الذئاب . ط : « العاوى » ه : « العارى » ، صوابهما في س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جِراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع في عدوه مجتهداً ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « علا شرفاً » . يلحِب : =

(استطراد)

ويُلحَقُ^(١) بموضع ذِكْرِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ ، قولهم في المثل : « ضَرَبْنَاَهُمْ
ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ » . قال أبو حِيَّةَ :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يَخْضِبُوا الْقَنَا

وَأَنْ يَتْرَكُوا السَّكْبَشَ الْمُدَجَّجَ ثَاوِيَا^(٢)

ضَرَبْنَاَهُمْ ضَرْبَ الْحَسَامَا غَرَائِبِ

وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريًا^(٣)

وإذا جاءت عطاشاً قد بلغ منها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءت تَصِلُ

= يمر مرأ سريعاً . وفي الأصل : « يلهث » ، صوابه ما أثبت . والبيت من قصيدة بائنة
لطفيل ، أولها :

تَسَاوَيْتَنِي هَمٌّ مِنَ اللَّيْلِ مُنْصَبٌ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَالَا أَكْذَبُ

وهو قد نعت بالبيت الذي أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَافِهِ وَجَامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرَفَجٍ يَتَلَهَبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله في الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبي العجوز » ، استطراد
من الجاحظ لاعلاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى يدهاء الأعداء . والسكبش : القائد ، أو الرئيس .

المدجج : ذو السلاح . ثاويًا : مقتولا . هـ : « السكيس » س : « السكبش »

س ، هـ : « المحدد » مكان : « المدجج » ، هـ : « قاويا » . وصواب

رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . هـ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشياً ،

لم أجد له مرجعاً يعين على تحقيقه .

أجوافها صليلاً . قال الرَّاعِي :

فَسَقَوْا صَوَادِيَّ يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً لِلْمَاءِ فِي أَجْوَاهِنَّ صَلِيلًا

قال : وأنشدنا أبو مَهْدِيَّة ، لمزاحم العُقَيْلِي (١) :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَمَّ ظَمُّوْهَا تَصِلُّ ، وَعَنْ قَيْضٍ بِيَزَاءٍ مَجْهَلٍ (٢)

قال : الزِّيَاءُ (٣) : المكان الغليظ .

وقال آخر (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمَّ حَسَّانَ أَنِّي إِذَا عَبْرَةٌ نَهَيْتُهَا فَتَجَلَّتِ (٥)

١٣٤ رَجَعَتْ إِلَى صَدْرٍ كَجِرَّةٍ حَتَمَ إِذَا قُرِعَتْ صِغْرًا مِنَ الْمَاءِ صَلَّتِ (٦)

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوي إسلامي ، صاحب قصيد ورجز ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغاني (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أي أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها . والظم ، بالكسر : ما بين الشربين أو الوردتين . وروى في الكامل والمخصر (١٤ : ٥٧) : « تم خمسا » . وهو بالكسر : ورود الماء في كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلاً . ابن السيد في الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء في هذا البيت ، في دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادي (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صل) . ط : « بعدما » تحريف . والقيض . بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيزاء ، بالكسر والفتح : ما غلظ من الأرض . هـ : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعي : كيف قال : غدت من عليه ، والقطة إنما تذهب إلى الماء ليلاً ، لا غدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتجميل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا يكور هناك .

(٣) هـ : « الزيزاء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما في اللسان (حتم) والأغاني (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزي للحمامة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هي زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهبتها : كفها . تجلت : ظهرت . وفي الأغاني : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعمَ ابن أبي العجوز الحوَّاء ، أَنَّ الأفاعى صُمِّمٌ ، فلذلك لا تجيب
الرُّقى ، ثمَّ زعم لي في ذلك المجلس (١) أَنَّ أميرَ المؤمنين المنصورَ ، أراد
امتحان رُقى حَيَّةٍ (٢) وَأَنْ يتعرَّفَ صحتها من سُقمها ، وَأَنَّهُ أمرَ (٣) فصاغوا
له أفعى من رصاص ، فجاءت ولا يَشْكُ الناظر فيها ؛ وَأَنَّهُ أمرَ (٤)
بإلزاقها في موضعٍ من السَّقْفِ ؛ وَأَنَّهُ أحضره وقال [له] : إِنَّ هذه الأفعى
قد صارت في هذه الدَّارِ ، وقد كَرِهَتْها لمساكنها ؛ فَإِنْ اختَلَّتْ لي برُقىةٍ ،
أو بما أحببتَ (٥) أحسنتُ إليك . قال : إنَّ أَرَدْتُ أَنْ آخذها هَرَبْتُ (٦)
ولكنْ أرقبها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لا تتحرَّكُ زادَ في رَفَعِ صوته
وألقي قِنَاعَهُ ، فلما رآها لا تتحرَّكُ نزعَ عِمَامَتَهُ وزادَ في رَفَعِ صوته ،
فلما رآها لا تتحرَّكُ نزعَ قَلْبَسوتَه وزادَ في رَفَعِ صوته . فلما رآها
لا تتحرَّكُ نزعَ ثِيَابِهِ ، وزادَ في رَفَعِ صوته (٧) ، حتَّى أُرِيدَ (٨) ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالحجرة من
الحنتم ، في صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة في س : « زعم ابن أبي العجوز في
ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » ، صوابها ما أثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « تم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه في س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدأ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أريد » . هـ : « أزيد » ، صوابها ما أثبت . وأزيد بمعنى ظهر

منه الزيد على جانبي الشفتين .

في الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلك المنصورُ بجودةِ رُقيته .

فقلت له : وبيك ! زعمتَ قُبَيْلُ أَنْ الْأَفَاعِيَّ لَا تَجِيبُ الرَّقِيَّ ؛ لَأَنهَا لَا تَسْمَعُ ، وَهِيَ حَيَوَانٌ ، ثُمَّ زَعَمْتَ أَنَّهَا أَجَابَتْ ، وَهِيَ جَمَادٌ ! !

(شعر وخبر في نفار النعامة)

وقال الشاعرُ :

وَرَبِّدَاءٍ يَكْفِيهَا الشَّمِيمُ وَمَالِهَا سِوَى الرَّبِيدِ مِنْ أَنْسٍ بِتَلْكَ الْمَجَاهِلِ
يَخْبِرُ أَنَّ النَّعَامَةَ لَا تَسْتَأْنِسُ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَحْشِ ، وَأَنَّ الشَّمَّ يَغْنِيهَا فِي فَهْمِ
مَا حَتَّاجٌ إِلَيْهِ .

وهي مع ذلك إذا صارتُ إلى دور النَّاسِ ، فليس معها من الوحشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفي الوحش ما يأنس ، وفيها^(١) مالا يأنس . وقال كثيرٌ :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ مَا عَشْتُ لَيْلَةً وَإِنْ شَحَطَتْ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُهَا^(٢)
وَمَا اسْتَنَّ رَقْرَاقُ السَّرَابِ وَمَا جَرَّتْ بِلَبِيضِ الرُّبَا أَنْسِيئُهَا وَتَوَارُهَا^(٣)

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : ما يرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو في الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفي الكتاب « كسراب بقيمة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء في صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، في وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسها ظلالاً مرتسمة في ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهززة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلاداً قفاراً^(١) غيرَ مانوسة فقال :

ماترى العين حولها من أنيسٍ قُربها غير رابداتِ الرئال^(٢)
خصها بالذكُر ؛ لأنها أنفَرُ وأشْرُدُ ، وأقلُّ أنساً من جميع الوحش .
وقال الأحيمر^(٣) : كنتُ آتى الطَّيِّ حَتَّى آخُذَ بذراعيه ؛ وما كان شئٌ
من بهائمِ الوحش ينكرُنِي إلَّا النِّعام^(٤) .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

وكلَّ أَحَمِّ المقلتين كأنَّهُ أخوالِ إنسٍ من طولِ الخلاءِ المغفلِ^(٥)

= والأنسة بالتحريك في كل منهما بمعنى الاتئناس . ويقال بكسرهما نسبة إلى الإنس ،
بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد
الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير في « أنسها » إلى الحيوان ،
ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لا يستأنس
من الحيوان . والرواية في ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشها ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد
النعام . وفسرت « الرابدات » في شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى
الربد جمع ربداء ، وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حر » . ولعل ما فسرت به أقرب
إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٣٣) . والخبر فى العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار
(٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضيا ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨)
« كنت حين خلعتى قومي ، وأطل للسلطان دمي ؛ وهربت وترددت فى البواهى
ظننت أنى قد جرت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النهوى
فى رجوع اللذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛
لأنها لم تر أحدا قبلى . وكنت أمشى إلى الطيبى السمين فساخذه ؛ وعلى ذلك رأيت
جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافرا قزعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلّة ، بالضم : حدقة العين . لا وأراد به الطيبى . والخلاء المغفل :
الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبيل البيت كما
= فى الديوان ٥٠٥ :

(نِفَارِ الْوَحْشِ وَهَرَبِهَا مِنَ الصَّحَارَى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قَدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصَّحَارَى
الأغفال (١) ، التي لم يُدْعَر صيدها ، ولا يطوّها النَّاسُ ، فيأتون الْوَحْشَ
فَوْضَى كَهَمَلًا ، ومعهم كلابهم وفهودهم تتلوى (٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى
المواضع التي لو كانوا ابتدعوا الصَّيْدَ مِنْ جِهَتِهَا لَأَخَذُوا ما أخذوا . فإذا نفرت
وحوشُ هذه الأَرْضِ ، ومَرَّتْ بالأَرْضِ المَجَاوِرَةِ لها ، نفرت سُكَّانُ
تلك الأَرْضِ مع هذه النَّوافرِ ، ولا تعودُ تلك الصَّحَارَى إلى مثل ما كانت
عليه ، مِنْ كَثْرَةِ الْوَحْشِ حيناً :

ومتى لم تنفّرْها الأعرابُ بالكلابِ والقبيبيِّ ، ونَصَبَ الجبائلِ ، رتعت
بقرهم ، ثمّ دنت منهم أوّلاً فأوّلًا ، حتى تطأ أكنافَ بيوتهم .
وهي اليوم في حَيْرٍ (٣) المعتصم بالله (٤) والوائق بالله (٥) على هذه الصّفة .

= دعت مية الأعداد فاستبدلت بها
وبعد سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نمجة لها ذرع قد أحرزته ومطل
ترجع له ربيع الهجان وأقبلت لها فرق الآجال من كل مقبل
ثم البيت : « وكل أحم المقلتين » .

- (١) الأغفال : التي لاعامة فيها ولا أثر .
(٢) س : « ملوى » ! .
(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المظنن الوسط المرتفع الحروف . وبالله
الحائر . جاء في اللسان : « وبالْبَصْرَةِ حائرُ الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه .
وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعائشة : عَيْشَةُ . يستحسنون التخفيف
وطرح الألف » . ف ، ط ، س : « حيز » هـ : « حد » صوابهما ما أثبت .
(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويج بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة
المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى .
توفي بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الوائق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولى
بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هجرة الطباء إلى الناس)

وخبرني إبراهيم بن السندي^(١) قال : خبرني عبد الملك بن صالح ، وإسحاق بن عيسى ، وصالح صاحب الموصيل ، أن خالد بن برمك ، بينا هو على سطح من سطوح القرى مع قحطبة^(٢) ، وهم يتغدون^(٣) ، وذلك في بعض منازلهم^(٤) ، حين فصلوا من خراسان إلى الجبل . قال : وبين قحطبة وبين الأعداء مسيرة أيام وليال . قال : فينا خالد يتغدى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير ، وحين علقوا على دوابهم^(٥) ، ونصبوا هُدورهم ، وقربوا سفرهم^(٦) .

(١) هو إبراهيم بن السندي بن شاهك ، يروي عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندي ابن شاهك ، كان يلي الجسرين ببغداد للرشيدي . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي .

(٢) قحطبة بن شبيب الطائي ، صحب أبا مسلم الخراساني وكان شريكه في إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبي مسلم فكان مظفراً ، غرق في الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أي يتناولون الأعداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهي البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغدون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا في س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتي في موضعه قريباً .

(٥) في اللسان : « والعليق : القضم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضم : الشعر . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا في مصر ، يستعملها سواس البهائم . هـ : « علقوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهي طعام المسافرين ، وتقال لتلك التي تبسط ويؤكل عليها ، والتي يوضع فيها طعام المسافرين .

قال : فَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، فرأى أَقَاطِيعَ الطُّبَاءِ قد أَقْبَلَتْ من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تَخَالِطُ العَسْكَرَ ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أَيُّهَا الأمير ! نَادِ فِي النَّاسِ : « يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي ^(١) » ؛ فَإِنَّ العَدُوَّ قد حَثَّ إِلَيْكَ السَّيْرَ ، وعامةُ أصحابك لن يسرجوا ويُلجِموا قبل أن يروا سَرَاعَانَ الخَيْلِ ^(٢) . فقام قحطبة مذعوراً ، فلما لم ير شيئاً يرُوعه ، ولم يرَ غُبَاراً قال لخالد : ما هذا الرَّأْيُ ! قال : أَيُّهَا الأمير ! لا تتشاغل بي وبكلامي ، وَنَادِ فِي النَّاسِ ^(٣) . أما تَرَى أَقَاطِيعَ الوَحْشِ قد أَقْبَلَتْ ، فارقت ^(٤) مواضعها حَتَّى خَالَطَتِ النَّاسَ ؟ ! إِنَّ وِرَاءَهَا جَمْعاً عظيماً ^(٥) ! . قال : فوالله ما أَلْجَمُوا وَأَسْرَجُوا ^(٦) حَتَّى رَأَوْا سَاطِعَ الغُبَارِ ، ولا تلبسوا ^(٧) وتسلحوا حَتَّى رَأَوْا الطليعة ^(٨) . فما التأموا حَتَّى استوى أصحابُ قحطبة على ظُهُورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَفِرَاسَتُهُ ، لقد كان ذلك الجَيْشُ اصْطَلَمَ ^(٩) .

(١) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستملاً ومثلاً سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفي الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبي الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا في هـ . وفي س : « نادى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى في الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفي ابن أبي الحديد بالواو .

(٥) س : « قطيعاً » . وفي ابن أبي الحديد : « وإن ورائها لجمعا كثيفا » .

(٦) أي وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طلعة الجيش : أولهم . س : « الطليعة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قِصَّةٌ فِي قُوَّةِ الشَّمِّ)

وكان إبراهيم [بن^(١)] السُّنْدِيُّ يَحْدُثُنَا مِنْ صِدْقِ حِسِّ أَبِيهِ فِي الشَّمِّ ،
بِشْيءٍ مَا يَحْكِي مِثْلَهُ إِلَّا عَنِ السَّبَاعِ وَالذَّرِّ وَالنَّعَامِ . وَزَعَمَ أَنَّ أَبَاهُ قَالَ ذَاتَ
يَوْمٍ : أَجْدُ رِيحِ بُولِ فَأْرَةَ ! ثُمَّ تَشَمَّمَ وَأَجَالَ أَنْفَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ : هُوَ
فِي تِلْكَ الزَّأْوِيَةِ ! فَنَظَرُوا فَإِذَا عَلَى طَرَفِ الْبِسَاطِ مِنَ الْبَلْبَلِ بِقَدْرِ الدَّرْهَمِ ،
أَوْ أَوْسَعَ شَيْئاً ، فَقَضَوْا أَنَّهُ بُولُ فَأْرَةَ .

١٣٦

قال : وَشَهِدْتُهُ مَرَّةً وَأَشْرَاطُهُ^(٢) قِيَامٌ عَلَى رَأْسِهِ فِي السَّمَاطِينَ^(٣) ،
فَقَالَ : أَجْدُ رِيحِ جَوْرَبِ عَفِينٍ مُنْتِنٍ ! فَتَشَمَّمْنَا بِأَجْمَعِنَا ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً ،
ثُمَّ تَشَمَّمْنَا وَقَالَ : انزَعُوا خُفَّ ذَاكَ . فَانزَعُوا خُفَّهُ ، فَكَلَّمَا مَدَّ النَّازِعُ لَهُ
شَيْئاً بَدَأَ مِنْ لِفَافَتِهِ . فَمَا زَالَ الذَّنْبُ يَكْتُفُ وَيَزْدَادُ ، حَتَّى خَلَعَ خُفَّهُ وَنَزَعَهُ
مِنْ رِجْلِهِ ، فَظَهَرَ مِنْ نَتْنِ لِفَافَتِهِ مَا عُرِفَ بِهِ صِدْقُ حِسِّهِ . ثُمَّ قَالَ : انزَعُوا
الْآنَ أَخْفَافَكُمْ بِأَجْمَعِكُمْ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَلَّا يَكُونُ فِي جَمِيعِ اللَّفَافِ مُنْتِنٌ
غَيْرُ لِفَافَتِهِ ، أَوْ تَكُونُ لِفَافَتُهُ أَنْتَنًا ، فَانزَعُوا ، فَلَمْ يَجِدُوا فِي جَمِيعِهَا لِفَافَةً
مُنْتِنَةً غَيْرَهَا .

وَأَنشَدُوا :

غَزَا ابْنُ عُمَيْرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَنَا ثِنَاءً كَنَنْتِ الْجَوْرَبِ الْمُتَخَرِّقِ^(٤)

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق في التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشرط : الحرس ، مثله ما جاء في قول حسان (اللسان : شرط) :

فِي نَدَايِ بَيْضِ الْوَجْهِ كِرَامٍ نَبْهُوا بَعْدَ هَجْمَةِ الْأَشْرَاطِ

(٣) السماطين : منى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق في (١ : ٢٤٠) . وفيه وفيه

ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشمم)

وليس الذى يُحكى من صدق الحسِّ فى الشمِّ - عن بعض النَّاسِ ،
 سوعن النَّعام والسَّبَّاع ، والفأر والذَّرَّ ، وضروبٍ من الحشرات - من شكل
 مانطق^(١) به القرآن العظيم ، من شأن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام
 حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ .
 تَقَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوب بعد أن قال
 يوسفُ : ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
 بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ
 أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإمَّا هذا علامةٌ ظهرتْ له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتُمون
 أرواحَ أولادِهِمْ^(٢) إذا تباعدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجِدُ
 ريحَ الحجرِ ممَّا يجوز الغاوتين والثلاث^(٣) . فكيف يجِدُ الإنسانُ وهو
 بالشَّامِ رِيحَ ابنه فى قبضه ، ساعةً فصلَّ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال :
 ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلية : ما تصف به الإنسان من ملح أو ذم ، وخص به بعضهم

المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتمزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع رِيح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتنون ما فى طاقة الحصان . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل .

يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم

الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ أَرْبَعِينَ عَاماً^(١) ، لا يذوق ذَوْاقاً^(٢) . وجاع أهل المدينة في تلك الحُطْمَةِ^(٣) ، حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ - يقول : « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَبَيْتُ عِنْدَ رَبِّي ، يُطْعِمَنِي وَيَسْقِينِي » .

(حِجَابٌ فِي ذَبْحِ الْحَيَوَانَ وَقْتَلِهِ)

ورجَالٌ مِمَّنْ يَنْتَحِلِ الْإِسْلَامَ ، يُظَهِّرُونَ التَّقَدُّرَ مِنَ الصَّيْدِ ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ . وَإِنَّ أَصْحَابَ الصَّيْدِ لَتُؤَدِّهِمُ الضَّرَاوَةُ الَّتِي اعْتَرَتْهُمْ

(١) غير : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لا يكون إلا بالليل . و « عما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفي الحديث : « لم يكن يلثم ذواقا » . فقال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجذب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القند والعظام والعلهز . فقال ذلك الجذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . وتأويل مختلف الخايش ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدي (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفي صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ - ٢٨) . وقد كان هذا الأمر في مكة قبل الهجرة ، لا في المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طُرُوقِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَنَصَبَ الْحِبَائِلَ لِلطَّبَّاءِ ، الَّتِي تَنْقَطِعُ عَنْ
الْحِشْفَانِ (١) حَتَّى تَمُوتَ هُزْلاً وَجُوعاً ، وَإِشْلَاءِ السَّبَّاعِ عَلَى بَهَائِمِ الْوَحْشِ
١٣٧ وَسَتْسَلِمُ (٢) أَهْلَهَا إِلَى الْقَسْوَةِ ، وَإِلَى التَّهَاؤُنِ بِدَمَاءِ النَّاسِ .

وَالرَّحْمَةُ شَكْلٌ وَاحِدٌ . وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْكَلْبَ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ ،
وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الطَّيْرَ لَمْ يَرْحَمْ الْجَدْيَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَمْ
الصَّبِيَّ . وَصَغَارُ الْأُمُورِ تُوَدَّى إِلَى كِبَارِهَا .

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْقَسْوَةِ يَوْمَ مَا .
وَأَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ هَذَا الْبَابَ ، مِنْ نَاسٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ، وَمِنَ النَّصَارَى ؛
لِمُضَاهَاةِ النَّصَارَى سَبِيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فِي رَفْضِ الذَّبَائِحِ ، وَالْبُغْضِ لِإِرَاقَةِ
الدَّمَاءِ ، وَالزُّهْدِ فِي أَكْلِ اللَّحْمَانِ .

وَقَدْ - كَانَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - عَلَى الزَّنْدِيقِ أَلَّا يَأْتِيَ ذَلِكَ فِي سَبَّاعِ الطَّيْرِ ،
وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَّاعِ . فَأَمَّا قَتْلُ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ
الْبِتَّةَ أَنْ يَقْفُوا فِي قَتْلِهِمَا طَرْفَةَ عَيْنٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَخْلُو مَنْ أَنْ تَكُونَ
شَرًّا صِرْفًا ، أَوْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَغْمُورًا بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ . وَالشَّرُّ شَيْطَانٌ
وَالظُّلْمَةُ عَدُوُّ النُّورِ . فَاسْتِحْيَاءُ الظُّلْمَةِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَتِهَا ، لَا يَكُونُ
مِنْ عَمَلِ النُّورِ . بَلْ قَدْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً النُّورِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ وَالذَّاسِ ،
إِلَى اسْتِنْفَادِهِمَا مِنْ شُرُورِ الظُّلْمَةِ .

(١) الحشفتان : جمع غريب للخشف ، بتثنية الخاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك
للمشي . ولم أر هذا الجمع في معجم ، وجمعه في اللسان والقاموس على « خشفة »
بكسر ففتح .

(٢) أى ، وستسلم الضراوة . في الأصل : « ستسلم » بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان
المفترس من الوحش والطير ، كالكلاب والفهود والبزاة .

وكما ينبغي أن يكون حسناً في العقل استحياؤه النور والعمل في تخليصه والدفع عنه - فكذلك ينبغي أن يكون قتل الظلمة وإماتتها ، والعون على إهلاكها ، وتوهين أمرها - حسناً .

والبهيمة التي يرون أن يدفعوا عنها أيضاً ممزوجة (١) ، إلا أن (٢) شرها أقل . فهم إذا استبقوها فقد استبقوا الشرور المخالطة لها .

فإن زعموا أن ذلك إنما جاز لهم ؛ لأن الأغلب على طبايعها النور فليغتفروا في هذا الموضع إدخال الأذى على قليل مافيها من أجزاء الشر (٣) كما اغتفروا مافي إدخال الروح والشرور (٤) على مافي البهيمة من أجزاء الظلمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذ كان أكثر أجزائها من النور .

وإنما ذكرت ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدليل على أن الذي أتم فيه ، حين أكل الحيوان كل يوم من (٥) الذبائح ، مكروه عند الله ، أنكم لم تروا قط ذبأحي (٦) الحيوان ولا قتالي (٧) الإنسان ، ولا الذين لا يقتاتون إلا اللحمان يفلحون (٨) أبدا . ويستغنون (٩) ؛ كذبح صيادي السمك وصيادي الوحش (١٠) وأصناف الجزارين والقصابين ، والشواتين والطهائين

(١) أي مزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه في ط ، ه .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هي في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : ه : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) ه : « ذبائح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملائمته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، ه : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضوعين : « صيادي » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهادين^(١) والبيازرة^(٢) والصقارين والكلابين ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غنى ويُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً^(٣) ، وعلى حالٍ مشبهةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجَلَّادون ، ومن يضربُ الأعناق بين يدي الملوكة . وكذلك ١٣٨ أصحابُ الاستخراج^(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نعمٌ وحتى ترى بعضهم وإن خرج نادراً خارجياً ، ونال منهم ثروةً وجاهاً وسلطاناً ، فإمّا أن يُقتلَ ، وإمّا أن يُغتصبَ^(٥) نفسهُ بميتةٍ عاجلة ، عند سروره بالثروة ؛ أو يبعث الله عليه الحق^(٦) فلا ينمو له شيء ، وإمّا ألا يجعل من نسلهم عقباً مذكوراً ، ولا ذكراً نبياً وذريةً طيبةً مثل الحجّاج بن يوسف ، وأبي مسلم^(٧) ، ويزيد بن أبي

(١) الفهاد : الذي يصطاد بالفهد ، ذلك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاي : جمع بيزار . وببزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازي . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ه : « البيازرة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب في ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المخلوود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاة أموال الختلسين ، حواشي البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ه : « يغصب » ، وأثبت ما في س .

(٦) الحق ، بالفتح : التمسان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعني أبا مسلم الخراساني . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذي قام

بتأسيس الدولة العباسية ، توفي سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ،

قتله أبو جعفر المنصور .

مسلم^(١) ومثل أبي الوعد^(٢) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحِبُّ أن نسميهم .
قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطُّرُوقَةِ^(٣) وظُهُورِ القُدْرَةِ ، مع كثرة
الأنسال ، قد قَبِحَ اللهُ أمرهم ، وأنحَمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ،
أو بَيْنَ مَنْ هُوَ في معنى مَنْ لم يُعقِبْ .
فقلت للنَّصارَى بدِيًّا : كيف كان النَّاسُ أَيَّامَ الحُكْمِ بما في التَّوراةِ
أَيَّامَ^(٤) موسى وداودَ ، وهما صاحبا حُرُوبٍ وَقَتْلٍ ، وَسِبَائٍ وَذَبَائِحَ ؟ ! نعم .
حتى كان القُربان كُله أو عامَّتُهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيتم بيت المذْبَحِ .
ولسنا نسألُكم عن سيرة النَّصارَى اليومَ ، ولكننا نسألُكم عن دينِ
موسى وحُكْمِ التَّوراةِ ، وحُكْمِ صاحب الزُّبورِ . وما زالوا عندكم إلى أن
أنكروا رُبُوبِيَّةَ المسيح ، على أكثرَ من حالنا اليومَ في الذبائحِ .

وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تَغْلُونَ علينا السَّمَكَ حتى نتوخى أَيَّاماً
بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاستِرخاصِ
وهي يومُ الخميس ، ويومُ السبتِ ويومُ الثَّلَاثاءِ ؛ لأنَّ شرائكم في ذلك

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثَّقَفِيُّ ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكتابه ،
ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن
عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثل ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه
درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) .
وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابها ما أثبت . وسيأتى .
على الصواب في ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفاً .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

«اليوم يَقِيلُ . على أَنَّكُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبَّاحِ فِي أَيَّامِ الْفِصْحِ» (١) وهل تَدْعُونَ أَكْلَ الْحَيْوَانِ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، وساعاتٍ مَعْلُومَةٍ ؟ !

فإذا كانت الحِرْفَةُ وَالْمِحْنُ إِنَّمَا لَزِمَا الْقَصَّابِينَ وَالْجَزَّارِينَ وَالشَّوَاتِينَ ، وَأَصْنَافَ الصَّيَّادِينَ ، من جهة العقوبة - فأنتم شركاء صيَّادِي السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لِأَنَّكُمْ آكَلْتُمُ الْخَلْقَ لَهُ ، وأنتم أيضاً شركاء القَصَّابِينَ فِي عَامَّةِ الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُونَ لِلْإِسْلَامِ فَتَعْرِفُوا مَا عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ ، وَفَصْلُ (٢) مَا بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْقَسْوَةِ ، وَمَا الرَّحْمَةُ ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَكُونُ ذَلِكَ الْقَتْلُ رَحْمَةً ؟ فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ قَتْلَ الْبَعْضِ إِحْيَاءً لِلْجَمِيعِ ، وَأَنَّ إِصْلَاحَ النَّاسِ فِي إِقَامَةِ جِزَاءِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (٣) .

وَالْقَوْدُ حَيَاةٌ . وَهَذَا شَيْءٌ تَعْمَلُ بِهِ الْأُمَّمُ كُلُّهَا ، غَيْرَ الزَّنَادِقَةِ . وَالزَّنَادِقَةُ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، وَلَا كَانَ لَهَا مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ وَمَنَافِقٍ . فَلَا أَنْتُمْ زَنَادِقَةٌ . وَلَا يَنْكُرُ لِمَنْ كَانَ ذَلِكَ مَذْهَبَهُ أَنْ يَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ .

فأنتم لَادَهْرِيَّةٌ (٤) ، وَلَا زَنَادِقَةٌ ، وَلَا مُسْلِمُونَ ؛ وَلَا أَنْتُمْ رَاضُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ أَيَّامَ التَّوْرَةِ .

فإن كان هذا الحكمُ قد أمرَ اللهُ به - وهو عدلٌ - فليس بين الزَّمانَيْنِ فَرْقٌ .

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧)
والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم فى القصاص » . وهو سهو من الكاتب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ - ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكُمْ تَأْكُلُونَ السَّمَكَ أَكْلًا ذَرِيعًا ، وتتقدرون من
اللحمان ! أَفَلَانَ السَّمَكِ لَا يَأْلُمُ الْقَتْلَ ، أم لَأَنَّ السَّمَكَ لَمَّا قَتَلْتُمُوهُ بَلَاسِكِينَ
لَمْ يُحْسَ (١) قَتْلَهُ ؟ ! فالجميع حيوانٌ ، وكلُّ مقتولٍ يَأْلُمُ ، وكلُّ يُحْسَ .
فكيف صار أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بِقَسْوَةٍ ؟ ! .
وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قسوةً ، ولا تكون تفرقةً ما بين السَّمَكِ والماءِ حَتَّى
تَمُوتَ (٢) قسوةً ! وكيف صار ذَبْحُ الشَّاةِ قَسْوَةً وصيدُ السمكِ بالسَّنَانِيرِ
المذرَّبةِ المعقَّفةِ (٣) ليس لها شعائرٌ تخالف العقابِ المنصوص (٤) في جهاتها .
وكيف وهى وإن لم تنسبْ في أجوافها ، وتقبضْ على مجامع أرواحها ، لم تقلِّرْ
على أخذها ؟ !

وكيف صار وَجْهُ اللَّبَّةِ (٥) من الجزورِ أقسى من ضربِ النبائلِ (٦) ؟ !
أم كيف صار طَعْنُ العيرِ (٧) بالرُّمَحِ ، ونصبُ الحبائلِ للظُّبَاءِ ، وإرسالُ
الكِلابِ عليها أشدُّ مِنْ وَقْعِ النبائلِ (٨) في ظَهْرِ السَّمَكِ ؟ !

- (١) ط : « يحسن » ، صوابه في س ، ه .
(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء .
وكل جائز .
(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوية .
(٤) كذا جاءت العبارة محرفة في الأصل . بيد أنه في ط : « العقاب » مكان
« العقاف » .
(٥) وجه اللبّة : طعنها بالسكينة . واللبّة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ،
ه : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة .
ط : « اللبّة » ، صوابها في س ، ه .
(٦) كذا في ط ، ه . وفي س : « العيابل » هذا الإهمال .
(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .
(٨) كذا . ولعلها : « النبائل » : جمع نبل ، بمعنى المهام .

ولأنَّكُمْ تَكْثُرُونَ قَوْلَكُمْ : لا نَأْكُلُ شَيْئاً فِيهِ دَمٌ أَيَّامَ صَوْمِنَا ،
فَلَسَّمَكِ دَمٌ ، ولا بَدَّ لِجَمِيعِ الحَيوانِ مِنْ دَمٍ أَوْ شَيْءٍ يُشَاكِلُ الدَّمَ ، فَمَا وَجْهُ
اعتِلالِكِ بالدَّمِّ؟! أَلَيْسَ^(١) كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ دَمٌ فَهُوَ أَشَدُّ المَاءِ؟ فَكَيْفَ نَعْلَمُ ذلكَ؟
وما^(٢) الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟

فإن زعمتم أن ذلك داخل في باب التعبد والمصلحة ، لا في باب
القياس والرَّحْمَةِ والقِسْوَةِ ، فهذا باب آخر . إلا أن تدعوا أن ذوات الدماء^(٣)
أقوى للأبدان ، وآشر^(٤) للنفوس ، فأردتم بذلك قلة الأشر وضعف البدن .
فإن كان ذلك كذلك فقد ينبغي أن يكون هذا المعنى مستبيناً في آكل السمك
من البحرين^(٥)

وأما ما ذكرتم من ملازمة الحرفة لهؤلاء الأصناف ، فإن كل من
نزلت صناعته ، ودق خطر تجارته ، كذلك سبيله .

وأحل الكسب كله وأطيبه عند جميع الناس سقى الماء ، إما على
الظهر ، وإما على دابة . ولم أر سقاء قط بلغ حال اليسار والثروة . وكذلك
ضراب اللبن ، والطيان والحراث . وكذلك ما صغر من التجارات
والصناعات .

ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتّاب ، وعند أصحاب
الجوهر ، وعند أصحاب الوشي والأنماط^(٦) ، وعند الصيارفة

(١) في الأصل : « إلا أن » .

(٢) في الأصل : « وأما » .

(٣) يعنى بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفي الأصل : « ذوات الماء » .

(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . في الأصل : « أسر »
وانظر السياق .

(٥) في الأصل : « في أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنَّاطين^(١) ، وعند البحريين والبصريين^(٢) . والجلَّابُ أبداً^(٣) ، والبيازرة^(٤) أيسر بمن يبتاع منهم .

وَجَمَلُ الْأَمْوَالِ حَقٌّ^(٥) ، بَأَنْ تُرْبِحَ الْجَمَلَ مِنْ تَفَارِيقِ الْأَمْوَالِ . وكذلك سبيل القصاب والجزار ، والشَّوَاءِ ، والبازيار^(٦) ، والفَهَادِ .

وأما ما ذكرتم من انقطاع نسل القُساةِ ، وخنول^(٧) أولادهم ، كانقطاع نسل فرعونَ ، وهامانَ ، ونمرود^(٨) ، وُبُحْتِ نَصْر^(٩) ، وأشباههم ، فإنَّ الله يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدوا من المذكورين بالصلاح أكثرَ من هؤلاء ممن كان عقيماً أو كان ميناأ^(١٠) ، أو يكون ممن نبت لهم أولادُ سوءٍ عقوهم في حياتهم ، وعرضوهم للسبِّ بعد موتهم - لوجدتموهم .

وعلى أنى لم أنصب نفسي حرباً للحجاج^(١١) بن يوسف ، ويزيد

(١) الحنَّاط : بائع الخنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلَّاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبداً » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أئرى » من التراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتمهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازبار » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدأ : « وجمل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر لإبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذلك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمنتاث : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم^(١) ، أمحرى بهما^(٢) ، وهما عندى من أهل النَّارِ . ولكنى
عرفت مغزاكم .

وعلى أنكم ليس القصاصين أردتم ، ولكنكم أردتم
دين المسلمين .

وقد خرج الحجَّاجُ من الدنيا سليماً في بدنه ، وظاهر نعمته ، وعلى
مرتبتيه من الملك ، ومكانه من جواز الأمر والنهى^(٣) .

فإن كان الله عندكم سلمه وعاقب أولاده ، وكان ذلك دينكم
فإن هذا قولٌ إن خاطبتم به الجبرية^(٤) فعسى أن تعلقوا منهم بسبب ،
فأما من صحح القول بالعدل^(٥) فإن هذا القول عنده من الخطأ الفاحش
الذى لا شبهة فيه .

(شعر فى القانص و فقره)

وكان مما أشدوا من الدليل على أن القانص لا يزال فقيراً — قول

ذى الرمة :

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أمحدى بهما » ، فىكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ،
أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهى : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية
أصناف . فالجبرية الخالصة "هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا .
والجبرية المتوسطة التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة
الحادثة أترأ ما فى الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبرى . والمعترلة يسمون من لم
يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالاً — جبرياً . الملل والنحل

(١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعترلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَاهَا فِي الْجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بَيْنَهَا طِيبٌ (١)
 وَلَا حَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتَيْهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلُو عَاقِرًا لَهَبٌ (٢)
 هَاجَتْ بِهِ جَوْعٌ طَلَسُ مُحْصَرَةٌ شَوَازِبٌ لِاحَهَا التَّقْرِيبُ وَالْحَبِيبُ (٣)
 جَرْدٌ مُهْرَتَةٌ الْأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْعَذَبُ (٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رملى . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطيب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا راها » ه : « إذا نأها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طيب) . س ، ه « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قب » ه : « طن » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، ه : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبتيه » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقرة من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : من جملة يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولت بذاك الثور كلاب جائمة ، فى لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق محصرة » . والشازب ، بالزاي : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والحب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التغريث والجنب » . التغريث : التجويج . والجنب بالعريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلاق رثته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

وَمُطْعَمُ الصَّيْدِ هَبَّالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَلِكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ (١)
مَقْرَعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ (٢)
فَانصَاعَ جَانِبَهُ الْوَحْشَىَّ وَأَنْكَدَرَتْ

يلحن لا يأتلى المطلوب والطلب (٣)

قال : فجعله كما ترى مقزعا أطلس الأطار ، وخبر أن كلابه نشبهه ،
وأنه ألفى أباه كذلك .

وأنشدوا في ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرة الأشداق : واسمها . والسراحين : الذئاب ، واحدها
سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد في أعناق الكلاب ، واحدها
عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم
وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبية
بفتح ، فكسر : ما يطلبه المرء . س ، ه : « هناك لنقبتة » محرفة . وفي جمهرة
أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألفى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ،
فذلك أمر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو
الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو
الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ما تصيده الكلاب من الوحش . والنشب ،
بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذنب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ،
وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحن : يسلكن
طريقاً لاحقاً ممهداً . أو يمررن مرأ سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفض من
جريه . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من
نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، ه : « واتصلت بحيث لا يابأ »
تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار للعرب ، واللسان (صوع ،
لحب ، طلب) .

- وَأَعَصَمَ أَنْسَتَهُ الْمَنِيَّةُ نَفْسَهُ رَعَى النَّبْعَ وَالظَّيَّانَ فِي شَاهِقٍ وَعَرٍ (١)
 بِمَوَارِدِهِ قَلْتُ تَصَفَّقُهُ الصَّبَا بَنِيْقٍ مُزَلٍّ ، غَيْرُ كَدْرٍ وَلَا نَزْرٍ (٢)
 قَرَّتُهُ السَّحَابُ مَاءَهَا ، وَتَهَدَّلْتُ عَلَيْهِ غُصُونٌ دَانِيَاتٌ مِنَ السَّمْرِ (٣)
 أُتِيحَ لَهُ طَلْحٌ إِزَاهُ بِكَفِّهِ هَتُوفٌ وَأَشْبَاهُ تُخَيِّرُنَ مِنْ حَجْرٍ (٤)
 أَبُو صَبِيَّةٍ لَا يَسْتَلِدِرُّ إِذَا شَتَا لَقُوحًا ، وَلَا عَنَزًا ، وَلَيْسَ بَدَى وَفِرٍ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « الثنب والطيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبأ : ربح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .
 (٤) أتيج له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : الميى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة . والهتوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينا رصائع قد نيظت إليها ومحمل

وقال الشياخ :

هتوف إذا ما جامع الطيبي سهمها وإن ريع منها أسلمته النواقر
 ط ، س : « ختوف » ه : « حتوف » صوابها ما أثبت . وأشباه :
 أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة النيامة ،
 ينسب إليها للسهام والتصل ، قال الراعى :

بُؤْحَى حَيْثُ قَالِ الْقَلْبُ مِنْهُ بِحَجْرِي تَرَى فِيهِ اضْطِمَارًا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقدمة فى الجودة » .

وقال زؤبة :

حَيَّ إِذَا تَوَقَّدَتْ مِنَ الزَّرْقِ حَجْرِيَّةٌ كَالْجَمْرِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقِ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسمى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . واللقوح =

- ١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءٌ يَدْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تَنْجَاهِهِ ، وَآخَرَ فِي الْحَجْرِ (١)
 مُشَوَّهَةٌ لَمْ تَعْبَ طَيِّبًا وَلَمْ تَبْتَ تَقْتَرِ هَنْدِيًّا بِدَلِيلٍ عَلَى جَمْرِ (٢)
 مُحَدَّدَةٌ الْعَرْقُوبِ ثَلَمٌ نَابَهَا تَعْرِفُهَا الْأَوْذَارُ مِنْ فِقْرِ الْحُمْرِ (٣)
 مُسَفَّعَةٌ الْخَدَيْنِ ، سَوْدٌ دِرْعَهَا تَقْدُرُهَا بِاللَّيْلِ ، وَالْأَخْذُ بِالْقِدْرِ (٤)
 كَغَوْلِ الْفَلَاحِ لَمْ تَخْضَبْ بِنَابِهَا وَلَمْ تَدْرِ مَازِيَّ الْخِرَائِدِ بِالْمِصْرِ (٥)
 فَأَرْسَلَ سَهْمًا أَرْهَفَ الْقَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِضْنِيهِ فَخَرَّ عَلَى النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشعاء لما أنه وقت المجاهدة والعسر عندهم . وإنما يخصيون في الربيع . ط : « يسعدوا » . صوابه في س ، هـ الوفير ، بالفتح : الغنى .

(١) أمه في حجرها . والشمطاء : التي يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهيبه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبوه ، من باب منع : صنعته وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، مامله كالمعتل . والهندي : أراد به العود الهندي الذي يتبخر به . والتقتير : تهيج القتار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القلع الصغيرة من اللحم . وفي الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمين : جمع حمار . عنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسفعة » محرفة . والمدرع ، بالكسر : التميمص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ في القدر ، ولم يذكره صاحبنا اللسان والقاموس . وفي اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقدر أيضاً بمعنى قدو » . ط ، س : « تقدرها » ، وأثبت ما في هـ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خيريدة ، وهى البكر لم تمس . أو الحفرة الطويلة السكوت ، الحافضة الصوت ، المستورة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حننيه : خرق جنبه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أهل الصدر .

(مَسْأَلَةُ الْمَنَائِمَةِ)

كان أبو إسحاق يسأل المنائمية^(١) ، عن مسألة قريية المأخذِ قاطعة ، وكان يزعم أنها ليست له .

وذلك أن المنائمية تزعم أن العالم بما فيه ، من عشرة أجناس : خمسة منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسة منها شرٌّ وظلمة . وكلُّها حاسةٌ وحارّة .

وأن الإنسان مركَّبٌ من جميعها على قدر ما يكون في كلِّ إنسان من رُجحانِ أجناسِ الخيرِ على أجناسِ الشرِّ ، [ورُجحانِ^(٢)] أجناسِ^(٣) الشرِّ على أجناسِ الخيرِ .

وأن الإنسان وإن كان ذا حواسٍ خمسة^(٤) ، فإن في كلِّ حاسةٍ متوناً^(٥) من ضده من الأجناس الخمسة . فمتى نظَرَ الإنسانُ نظرةً رحمةً فتلك النظرة من النور ، ومن الخير . ومتى نظَرَ نظرةً وعيدٍ ، فتلك النظرة من الظلمة . وكذلك جميع الحواسِّ .

وأن حاسة السَّمعِ جنسٌ على حدِّةٍ ، وأن الذي في حاسة البصر من الخير والنور ، لا يعين الذي في حاسة السَّمعِ من الخير ولكنه لا يضادُّه^(٦) ،

(١) المنائمية : أتباع ماني . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم في تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ - ٣٣٧ ليسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) في الأصل : « فاحتاج » . ووجه ما أثبت .

(٤) كذا . وهى صحيحة ؛ فإن المعدود إذا وصف بالمعدد جاز في العدد المطابقة وعدمها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ماني س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يَمْنَعُهُ . فهو لا يعينه ^(١) لكان الحِلافَ والجِنسَ ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليسَ ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خِلافٌ لأجناسِ الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناسِ الخَيْرِ . وأجناسَ الخَيْرِ يخالِفُ بعضها بعضاً ولا يضاذُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتَّأدَى ^(٢) لا يقعُ بين مختلفيها ، ولا بين متضادِّها ^(٣) ، وإنما يقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانى : ما تقول في رجل قال لرجلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليس السَّمْعُ قد أدَّى إلى النَّظَرِ ، والنَّظَرُ قد أدَّى إلى الذَّاغِتي ؟ ! وإلَّا فلمَ قال اللِّسانُ نَعَمَ ! إلَّا وقد سَمِعَ الصَّوْتِ صاحِبُ اللِّسانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرةٌ كما ترى ، ولا حيلةَ له بأن يدفعَ قولَهُ .

(مُسْأَلَةٌ زَنْدِيقِ)

ومسألةٌ أخرى ، سألت عنها أميرُ المؤمنين ^(٤) الزُّنْدِيقَ الذي كان يكنى بأبي عليٍّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ ^(٥) وعجزِ العُتْبِيِّ ^(٦) . وسوءِ فهمِ ^(٧) القاسمِ بنِ سَيَّارِ ^(٨) ، فقال له المأمون : أسألكَ عن حَرْفَيْنِ

(١) س : « يعنيه » ومع إسقاط « لا » . ه : « لا يعينه » . وصوابها ما أثبت من ط .

(٢) التأدى : التعاون . وفي الأصل : « التناذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، ه : « مضادها » .

(٤) يعني الخليفة « المأمون » كما سيأتي في الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكي ، الذي أسلفت ترجمته في (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٥٤) .

(٧) في الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ في الرسائل ٢٤ ساسي ، فيمن كانوا يغشون دار

الخلاقة . وأجرى له ذكراً في ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

وَحَبَوْتُ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكَوَّنَتْ

والأرضَ خالفتها لها لم يمهّد^(١)

والنَّسَمَ مثلَ الزَّرْعِ آنَ حَصَادُهُ منه الحصيدُ ومنه مَالَمٌ يُحْصَدُ^(٢)

وحمادٌ هذا أشهر بالزُّنْدَقَةِ من عُمارَةَ بنِ حَريبة^(٣) ، الذي هجاه

هذه الأبيات .

وأما قوله :

وحبوت من زعم السماء تكوَّنت (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إنَّ الفلكَ بما فيه من التدبير . تكوَّنَ بنفسه

ومن نفسه ! فَجَهْلٌ^(٤) حمادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القوم^(٥) : كأنه عندي

مما يعرفه من براءته الساحة^(٦) . فإن كان قد أجابهمم فإمسا هو من

مقلِّديهم .

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ،

بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفي الأصل :

« النعم » تحريف ما أثبت . وجاء في الأغاني (١١ : ٧١) في أثناء الحديث عن

عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حريبة : « وكان له نديم يعرف بمطيع

ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمي

بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص

يفسر ماجاء في البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ، بجاء مهمله بعدها راء وباء موحدة تحتية تملوها

ياء مشناة تحتية . وفي الأغاني (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى

(١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) في الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا في ط . وفي س : « من براءة الساحة » ، وفي هـ : « مما نعرفه من برأته

الساحة » وكل محرف .

وهجاً حمادُ بن الزُّبرقان^(١) ، حماداً^(٢) الراوية فقال :

نعمَ الفتى لو كانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
هَدَلْتُ مَشَاغِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسُنُّهَا الْحَدَادُ^(٣)
وَابْيَضَّ مِنْ شَرْبِ الْمَدَامَةِ وَجْهَهُ فَبَيَّضَهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ
فقد كان^(٤) كما ترى :

هَدَلْتُ مَشَاغِرَهُ الدَّنَانُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ (البيت)
فقد رأيتُ جماعةً مَمَّنْ يُعَاقِرُونَ الشَّرَابَ ، قد عظمت أَنفَهُمْ^(٥)
وصارتُ لهم خراطيمٌ ، منهم رَوْحُ الصَّائِغِ^(٦) ، وعبدُ الواحد صاحب اللؤلؤى^(٧)

(١) نسه صاحب الأغاني (٦ : ١٦٢) إلى أبي النول، وكان حماد قد عاب شعراً له.
وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والعقد (٤ : ٣٢١)
وأمال المرتضى (١ : ٩١) وديوان لعلاني (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .
(٢) في الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التي يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفي مستطيل
مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقُدوم ، بالفتح : قدم النجار ، مؤنثة . في المخصص :
« نفخت مشافره الشمول » ، والمرضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والمسكرى :
« هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) أنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب
يقيمون الواحد مقام الجمع . وفي الكتاب : « ثم يخرجكم طفلاً » أى أطفالاً .
و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق
بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبي ، وحواشي الحيوان
(٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بوأوين في الأصل وفي سائر المراجع القديمة . واللؤلؤى ،
هو الحسن بن زياد ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدَمَانٍ^(١) حمّاد بن الصَّبَّاح ، وعبد الله أخو نهر^(٢) ابن عسْكَر
وناس كثير^(٣) .

ويدلُّ على ذلك من المنافَرَةِ قولُ جَرِيرٍ للأخطل :

١٤٣ وشَرِيتَ بعدَ أبي ظهيرِ وابنه سَكَرَ الدَّنَانِ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلٌ^(٤)

وكان منهم يونس بن فروة^(٥) . وفي يونس يقول حمّاد عجرد :

أما ابنُ فَرَوَةَ يُونسٌ فكَانَهُ مِنْ كِبَرِهِ أَيْرُ الحِمَارِ القَائِمُ^(٦)

ما النَّاسُ عِنْدَكَ غَيْرُ نَفْسِكَ وَحَدَّهَا وَالخَلْقُ عِنْدَكَ ما خَلَكَ بِهِائِمُ^(٧)

إِنَّ الَّذِي أَصْبَحْتَ مَفْتُوناً بِهِ سَيَزُولُ عَنكَ وَأَنْفُ جَارِكَ رَاغِمٌ

فَنَعَضُ مِنْ نَدَمٍ يَدِيكَ عَلَى الَّذِي فَرَطْتَ فِيهِ ، كَمَا يَعَضُّ النَّادِمُ

(١) التدمان ، بالفتح : التديم على الشراب . والمراد هنا جماعة النداءى . وفي اللسان : «وقد يكون التدمان واحداً وجمعاً» . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : «هز» . وكلمة : «أخو» هي في الأصل : «أخا» .

(٣) في الأصل : «وناسا كثيراً» ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ،

٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلاً عن الجاحظ . وما في الشعر

يرجع التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة

للخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : «من كفره» وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) .

والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : «ذاك الحمار» .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : «والناس» موضع : «والخلق» . والبيت

ساقط من س .

فَلَقَدْ رَضِيَتْ بِعُصْبَةِ آخِيَتِهِمْ وَإِخْوَاهُمْ لَكَ بِالْمَعْرِفَةِ لَازِمٌ^(١)
فَعَلِمْتَ حِينَ جَعَلْتَهُمْ لَكَ دَخْلَةً^(٢) أُنَى لِعَرَضِكَ فِي إِخَائِكَ ظَالِمٌ

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمادُ عجرد^(٣) ، وحمادُ الراوية^(٤) ، وحمادُ بنُ الزُّبرقان^(٥) ،
ويونسُ بنُ هارون^(٦) ، وعلي بنُ الخليل^(٧) ، ويزيد بنُ الفيض^(٨) ، وعُبادَةُ
وجميل بنُ محفوظ^(٩) ، وقاسم^(١٠) ، ومطيع^(١١) ، ووالبة بنُ الحباب ، وأبانُ

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم »
تصحيحه من س ، هـ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثنية الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمي
الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج
فاحشة . توفى سنة ٦٦١ : وقيل ١٦٨ أوقتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبي ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع
فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزُّبرقان ، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) « وهو ممن
اتهم بالزندقة .

(٦) كذا في الأصل ، وهو كذلك في الأوراق للصولي ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن
الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذي تقدمت
ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ،
لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدي والرشيد . انظر الأغاني (١٣ :
١٨ - ١٣) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا في الأصل وأمال المرتضى والأغاني (١٦ : ١٤٣) نقلاً عن الجاحظ
والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر في لسان الميزان : « حميد بن
محفوظ » . في رسم خاص . ولعله تصحف عليه .

(١٠) في أمالي المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .

(١١) هو مطيع بن إياس السكناي ، من مخضرمي الدولتين ، كان ظريفاً خليماً . ولد =

ابن عبد الحميد^(١) ، وعمار بن حربية^(٢) ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشارٌ ينكر عليهم .

ويونس^١ الذي زعم حمادُ عجردُ أنه قد غرَّ نفسه بهؤلاء ، كان أشهرَ بهذا الرأي منهم ، وقد كان كتب كتاباً لملك الروم في مثالب العرب ، وعبوب الإسلام ، بزعمه^(٣) .

(هجائية في أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبان بن عبد الحميد اللّاحق ، وبعض هؤلاء ، ذكراً
إنسانٍ يرعى لهم قدراً وخطراً ، في هجائيةٍ لأبان^(٤) ، وهو قوله :
جالستُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبان
ونحنُ حُضْرُ رواقِ أميرِ بالنهروان^(٥)

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة في الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللّاحق ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) في الأغاني ولسان الميزان : « عمار بن حزمة » ، وما في أوراق الصولي يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد في أمالي المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكي قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان ، فقال يهجوهُ بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفصح . قال :

غشلت يداهُ يوم يحمل رايةً إلى تهشل والقوم حضرة نهشل =

- حَتَّىٰ إِذَا مَا صَلَاةٌ أَلَّ أُوْلَىٰ أُمَّتٍ لَأَوَّانٍ (١)
 فقامَ ثَمَّ بِهَا ذُو فَصَاحَةٍ وَيِيَانٍ (٢)
 فَكَلَّ مَا قَالَ قَلْنَا إِلَىٰ انْقِضَاءِ الْأَذَانِ (٣)
 فَقَالَ : كَيْفَ شَهِدْتُمْ بِذًا ، بَغَيْرِ عِيَانٍ ؟! (٤)
 لَا أَشْهَدُ اللَّذْهَرَ حَتَّىٰ تَعَيَّنَ الْعَيْنَانِ !
 فَقُلْتُ : سُبْحَانَ رَبِّي ! فَقَالَ : سُبْحَانَ مَا نِي ! (٥)
 فَقُلْتُ : عَيْسَىٰ رَسُولٌ فَقَالَ : مِنْ شَيْطَانٍ ! (٦)
 فَقُلْتُ : مُوسَىٰ كَلِيمُ الْأَمْهِيمِينَ الْمَنَانِ (٧)

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف في مقدمه . ط ، س : « الأذان » ، ونحن وحضروا ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

﴿ ١ ﴾ صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ، وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغاني . وفى هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق) نقلا عن الأغاني : « لأذان » ، وإخاطها تحريفاً .

﴿ ٢ ﴾ أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

﴿ ٣ ﴾ أى كلما قال المؤذن قولاً رددوه بعده .

﴿ ٤ ﴾ بذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

﴿ ٥ ﴾ ما نى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

﴿ ٦ ﴾ فى الأصل : « من شيطان » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

﴿ ٧ ﴾ المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » ، تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : رَبُّكَ ذُو مُقَدِّمَةٍ إِذَا وَلِسانِ ؟
 فَنفَسِهِ خَلَقْتَهُ أَمْ مَنْ ؟! فَكُفِّمْتُ مَكَانِي
 عَنِ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ (١)
 يَرِيدُ أَنْ يَتَسَوَّى بِالْعُصْبَةِ الْمُجَانِّ
 بِعَجْرِدٍ وَعُبَادٍ وَالْوَالِيِّ الْهَجَانَ (٢)
 وَقَاسِمٍ وَمُطِيعٍ رِيحَانَةَ النَّدْمَانِ (٣)

وتعجبي من أبي نواس ، وقد كان (٤) جالس المتكلمين أشد من تعجبي
 من حماد ، حين يحكي عن قوم من هؤلاء قولاً لا يقوله أحد (٥) . وهذه قرّة (٦)
 عين المهجو . والذي يقول : سبحان ماني ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً (٧)

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط
 والأوراق : « يتارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ماني س
 والديوان . وفي هـ : « متمرى » تحريف ماني س . وبين هذا البيت وسابته
 بيتان في الديوان ، هما :

وَقَلْتُ رَبِّي ذُو رَحْمَةٍ وَذُو غُفْرَانٍ
 وَقُفِّمْتُ أُسْحَبُ ذَيْلِي عَنِ هَازِيءٍ بِالْقُرْآنِ

(٢) في الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو ببد تغيير يسير ، لما يقتضى
 الشعر . أما الوالي فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ،
 حاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبي نواس .
 الأغاني (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة في ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق في ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا ما فهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد في فهرست ابن التميمي ٣٢٨ ليسك ٤٥٨
 مصر : « وزعم ماني أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج ماني =

فكيف يقول : إنه من قِبَلِ شيطان ؟ !

وأما قوله : « فنفسه خلقته أم من » فإن هذه مسألة نجدها ظاهرة على ألسن العوام . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفي قوله : « والوالبي الهجان » دليل على أنه من شكلهم .

والعجب أنه يقول في أبان : إنه ممن يتشبه بعجرد ومطيع . ووالبة

ابن الحباب ، وعلى بن الخليل . وأصبغ^(١) - وأبان فوق ملء الأرض من هؤلاء . ولقد كان أبان ، وهو سكران ، أصح عقلا من هؤلاء وهم

صحة^(٢) . فأما اعتقاده فلا أدري ما أقول لك فيه ؛ لأن الناس لم يؤتوا في اعتقادهم الخطأ المكشوف ، من جهة النظر^(٣) . ولكن للناس تأس

وعادات ، وتقليد للآباء والكبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق إلى القلوب ، ويستقلون التحصيل ، ويهملون النظر ، حتى يصيروا

في حال متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار قليلة^(٤) ، وأذهان مدخولة ، [و] مع سوء عادة . والنفس لا^(٥) تجيب وهي مستكرهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية . لكن جاء في الفهرست أيضاً ما يؤيد ما فهمه أبو نواس . ففيه : « وما في ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرمهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول في مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصراني ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى ما في أقوال ما في من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المقدمة ، فلملح سقط منها شيء .

وانظر الأديوان والأوراق حيث تجب زيادة في الشعر .

(٢) الصحة : جمع صالح ، من صحا يصحو . س : « أحماء » ، صوابه في ط ، هـ والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظر » ، صوابه في س .

(٤) قليلة : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفي الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لا » .

يقال : « العقل ^(١) إذا أكره ^(٢) عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطَّبَاعُ ^(٣) [و] جَسَأَ وغلظ وأهمل ، حتى يألف الجهل ، لم يكد ^(٤) يفهم ما عاينه وله . فلهمذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسابق إلى القلب .

(شعر لحماذ عجرد)

وقال حمادُ عجرَد :

اعلموا أن لودى ثمناً عندي ثميناً
 لبت شعري أياً حكمهم قد أراكم تحكّمونا
 أن تكونوا غير معطي ن وأنتم تأخذونا ^(٥)
 ابن لقمان بن عادٍ في است هذا الدين دينا ^(٦)

١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمان بن عاد في هذا الموضع . غيره ! وقال

حمادُ عجرَد في بشار :

يا ابن الحبيثة إن أمك لم تكن ذات اكتنام ^(٧)
 وتبدلت ثوبان ذا الأيثر المضرِّ والعُرام ^(٨)

(١) ط ، ه : « الطفل » ، صوابه في س .

(٢) في الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، ه : ولم يكد « بإثبات الواو قبلها ، صوابه في س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه في س ، ه .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه في ه . ولقمان :

أى ياللقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الميوان

- ثُوبَانَ دَقَاقَ الْأَزْزِ بَارِوَاتِ حَسَامِ (١)
عَرْدَ كَقَامَةِ السَّرِّ يَرِيْبِيْلَهَا عِنْدَ الرِّطَامِ (٢)
وَأَنْتَ سُمَيْعَةُ بَعْدَهَا بِالمَصْمِثَلَاتِ العِظَامِ (٣)
أَخْتِ لَمْ كَانَتْ تَكَ بِرُ أَنْ تُسَافِحَ مِنْ قِيَامِ (٤)
وَقَالَ حَمَادٌ يَذْكَرُ بِشَارًا .
غَزَالَةَ الرَّجْسَةِ أَوْ بِنْتَهَا سُمَيْعَةَ النَّاعِيَةِ الفَهْرَا (٥)
وَقَالَ وَذَكَرَ أُمَّه (٦)
أَبْنَى غَزَالَةَ يَا بَنِي جِشْمِ اسْتَهَا لِيَحْفَظَكُمْ أَنْ تَفْرَحُوا لِالْبِجْزُعُوا (٧)

(حماد عجرد و بشار)

وما [كان] ينبغي لبشار أن يناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلق

- = يابن التي نشرت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذي الهامات والمجر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه
في س ، ه .
(١) ط : « دقاقا » صوابه في س ، ه . ط : « الازار » وأثبت ما في س ،
ه ، وهما محرفان . س : « يدقها أرزب خام » وأثبت ما في ط ، ه .
عل تحريفهما .
(٢) المراد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه في س ، ه .
يبيلها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسلمها » ووجه ما أثبت من س .
وللرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الركام » صوابه في ط ، س .
(٣) ضبطت « سميمة » هيئة التصغير في س . والمصمثلة : الدواهي .
(٤) تكابر ، هي في ط : « لكابر » محرفة .
(٥) كذا جاء البيت .
(٦) أي أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .
(٧) أي يابني . والجشم ، كسر : الجوف : ط ، ه : « يا جشم »
ولكأله من س .

بالشعر ؛ لأنَّ حماداً في الخضيض ، وبشأراً مع العيوق^(١) . وليس في الأرض
مولدٌ قرويٌّ يُعدُّ شعره في المحدث إلا وبشأراً أشعر منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن محفوظ^(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله وَقَدْ كَانَ يَعدُّو عَلى رِجْلِهِ
يَروحُ وَيَغلُو كَأَيُّرِ الحِمارِ وَيَرجِعُ صِفرًا إلى أهله^(٣)
وقد زعموا أَنَّهُ كافرٌ وَأَنَّ التَّزَنُّدُقَ من شَكْلِهِ
كَأني به قد دعاهُ الإمامُ وَأذن رَبُّكَ في قَتْلِهِ

(غلو أبي نواس في شعره)

وأما أبو نواس فقد كان يتعرَّضُ لِلقَتْلِ بِجَهْدِهِ . وقد كانوا يعجبون

من قوله :

كيف لا يُدْنيكَ مِنْ أَمَلٍ مِنْ رَسولِ اللَّهِ مِنْ نَفْرِهِ^(٤)

(١) العيوق ، يفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحر مضى في طرف الحجر

الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغلو » صوابه في س ، ه . صفرًا : خالي اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : ه : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة

رائية مشهورة مطلعها :

أياها المنتاب من عفره لست من ليلي ولا سمره

يلدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار

هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من

نفره » . انظر الكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ لبيدك والمعتمد (٣ : ٤٣٦ - ٤٣٧) =

فلما قال :

فأحْبِبْ قُرَيْشًا لِحَبِّ أَحْمَدِهَا وَاشْكُرْ لَهَا الْجَزَلَ مِنْ مَوَاهِبِهَا^(١)
جاء بشيء غطى على الأول .
وأنكروا عليه قوله :

* لو أكثر التَّسْبِيحَ ما نَجَّاه *

= حيث تجده النقد والاعتذار له . وفي الموشح ٢٧٩ أن أبا علي الضرير ، أحد رواة
أبي نواس قال : « أنشدني أبو نواس في العباس بن عبيد الله ؛ مدحه الذي يقول فيه :
كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره
فعلت أنه كلام ردىء مستهجن موضوع في غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛
لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى
أحد . فرأى ذلك في وجهي ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير
فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من نفر الذين العباس منهم ، فاتعيب
من هذا ؟ ! » . قال أبو علي : « فعلت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد
روى هذا الخبر في أخبار أبي نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد في آخره : « ولاكنه
قد أحسن المخرج منه » . وفي الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية اللديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب
يجب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفي اللسان عن الفراء ، أن
حبيته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حبيته ، وأنكر أن يكون هذا البيت
لفصيح » . وفيه : « وحكى سيبويه : حبيته وأحبيته بمعنى » . وفي الصناعتين ١١٣ :
« وأحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبي نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو
عدنان ، وقد أبدع في صنعها إبداعاً ، وأق بطريف حقاً . ولكن هذه القصيدة
جلبت إليه شؤماً بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها
وفيه يقول :

فلهج نزارا وافر جلدتها وأمتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أحمد المرتجى في كُلِّ نائبةٍ قَمُ سَيِّدِي نَعَصِ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ (١) «
غَطَىٰ هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ (٢) . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ كَفَرِهِ مَقْبُوتٌ جَدًّا . وَكَانَ
يُكْثِرُ فِي هَذَا الْبَابِ (٣) .

(خطأ أبي نواس في شعره)

وأما سوى هذا الفن فلم يعرفوا له من الخطأ إلا قوله :

أَمَسْتَجِيرَ الدَّارِ هَلْ تَنْطِقُ أَنَا مَكَانَ الدَّارِ لَا أَنْطِقُ (٤)
كَأَنَّهَا إِذْ خَرَسَتْ جَارِمٌ بَيْنَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرَقُ (٥)

فعابوه بذلك ، وقالوا : لا يقول أحد : لقد سكت هذا الحجر ، كأنه

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبي صالح ، كان أبو نواس يتمشقه . أخبار أبي نواس ١٤٥ .
وأبيات القصيدة فيها ، وفي ديوانه ٢٤٩ - ٢٥٠ . وقبله :

فقلت والليل يجلوه الصباح كما يجلو التيسم عن غر الثنيات

(٢) في الأصل : « الأول » . وانظر مثل هذا التحقيب في الصفحة السابقة .
و « غطى » رسمت بالألف في هذا الموضع وسابقه في كل من ط ، هـ وهو
رسم قديم . وأثبت ما في س .

(٣) أي كان أبو نواس يكثر من القول في مثل المعنى السابق . وما قال في ذلك .
(الصناعتين ١١٣) :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشُّبَّةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَّكَانِ

قال العسكري : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أخبر الديار » س : « أمستخبر الديار » هـ : « يامستخبر الديار » ،
ولعل صوابه ما أثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجاني . والتفنيد ، المراد به : اللوم والعدل . والتفنيد : التشكيب والتعجيز .
وتخطئه الرأي وتضميفه . والبيت عند العسكري في الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَفُ خَرَسُ الإنسانِ بِخَرَسِ الدَّارِ ، وَيَشْبَهُ صَمَمَهُ
بصَمَمِ الصَّخْرِ .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسدِ بالجحوظِ ، فقال :
كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا التَّهَبَتْ بِارِزَةِ الجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ^(١)
وَهُمْ يَصِفُونَ عَيْنَ الأسدِ بِالغَوُورِ . قال الرَّاجِزُ :
* كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ جَوْفِ حَجَرٍ^(٢) .

وقال أبو زبيد^(٣) :

كَأَنَّ عَيْنِيهِ فِي وَقَبَيْنِ مِنْ حَجَرٍ قِيضًا اقْتِياضًا بِأَطْرَافِ المَنَاقِيرِ^(٤)
ومع هذا فإننا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أَشْعَرَ مِنْهُ^(٥) .
وقال أبو زبيد :

وَعَيْنَانِ كَالوَقَبَيْنِ فِي مَلءِ صَخْرَةٍ تَرى فِيهِمَا كَالجَمْرَتَيْنِ تَسْعَرُ^(٦)

(قصة راهبين من الزنادقة)

وحدثنى أبو شعيب القلالُ ، وهو صُفْرِيُّ^(٧) ، قال : رهبان الزنادقة

-
- (١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما في ط ، س والصناعتين ١١٥ .
 - (٢) في الصناعتين : « من خرق حجر » .
 - (٣) هو أبو زبيد الطائي ، الذي تقدمت ترجمته في (١ : ٣٥٢) .
 - (٤) الوقب ، بالفتح ، بالفتح : النقرة في الصخر . قِيضًا : شقا وحفرا . اقْتِياضًا : استئصالا .
في الأصل : « قِيضًا اقْتِنَاصًا » محرف ، صوابه في الصناعتين ١١٥ . والمناكير :
جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .
 - (٥) منه : أي من أبي نواس . وحق هذا التعميق أن يكون بعد البيت الآتي .
 - (٦) في الصناعتين : « في قلب صخرة * يرى فيهما » .
 - (٧) الصفري ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى
زيد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من

سَيَّاحُونَ^(١) ؛ كَأَنَّهُمْ^(٢) جَعَلُوا السَّيَّاحَةَ بَدَلَ تَعَلُّقِ النَّسْطُورِيِّ^(٣) فِي الْمَطَامِيرِ .
و [مُقَامٌ^(٤)] الْمَلِكَانِيُّ^(٥) فِي الصَّوَامِعِ . وَمُقَامُ النَّسْطُورِيِّ

= الدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم في الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصغر ، كما في الفرق والملل . ط : « صغرى » صوابه في س ، هـ .

« (١) السياحة : الذهاب في الأرض للمبادة ، وانظر ماسياني من قول الجاحظ .

« (٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبت ما في س .

« (٣) في القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفي الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبية على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريكاً بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا في زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودي في التنبية والإشراف ١٢٧ أن السهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخيم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السهودس في سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء في كتاب تاريخ الأمة للقبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطي (الحلقة الثانية ١١٦) . ، وكما جاء في معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع في خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستاني صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، حيث قال في (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه في المكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريكاً سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

« (٤) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام .

« (٥) الملكاني : واحد الملكانية ، ويقال ملكاني وملكائية ، كما في مفاتيح العلوم ٢٣ وملكي وملكية كما في التنبية والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفي مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعني أقدم النصارى . وفي الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكاء » =

في المطامير^(١) .

قال : ولا يسيحون إلا أزواجاً . ومتى رأيت منهم واحداً فالتفت
« رأيت صاحبه^(٢) » والسيحة عندهم ألا يبيت أحدهم في منزلٍ ليلتين . قال :
ويسيحون على أربع خصال : على القدس ، والطهر ، والصدق ، والمسكنة .
فأما المسكنة ، فإن يأكل من المسألة^(٣) ، ومما طابت به أنفُسُ الناس له
حتى لا يأكل إلا من كسب غيره الذي عليه غرْمُه ومأثمه . وأما الطهر
فترك الجماع . وأما الصدق فعلى ألا يكذب . وأما القدس فعلى أن يكتم
ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال . فدخل الأهواز منهم رجلان ، ففضى أحدهما نحو المقابر للغائط
وجلس الآخر بقرب حانوتٍ صائغٍ ، وخرجت امرأة من بعض تلك القصور
ومعها حقٌّ^(٤) فيه أحجارٌ نفيسة ، فلما صعدت من الطريق إلى دكان
الصائغ زلقت فسقط الحق من يدها ، وظلم لِبعض أهل تلك الدور يتردد^(٥) ٦٤٧
فلما سقط الحق وبأينته الطبق^(٥) ، تبدد ما فيه من الأحجار ، فالتقم

= « ومعناه » الملك بالسريرية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى
أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع الموقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ
الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهبأ تحت الأرض . وهي في أصلها اللغوي : حفر أو أماكن
تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أي يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت
الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أي سزال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقبة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً
لحقبة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجابُه النور » ، لو كشف
طبقة لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه » . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوي
ما هو غطاء له .

ذلك الظليمُ أعظمَ حجراً فيه وأنفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السَّائِحِ (١) ؛ ووثب الصَّائِغُ وعلمانُهُ فجمَعُوا تلكَ الأحجارَ ، وَنَحَوُا النَّاسَ (٢) وصاحوا بهم فلم يَدُنْ منهم أحدٌ ، وفقدوا ذلك الحجرَ ، فصرخت المرأةُ ، فكشف القومُ وتناحوا (٣) ، فلم يصيبوا الحجرَ ، فقال بعضهم : والله ما كان بقربنا إلا هذا الرَّاهِبُ الجالسُ ، وما ينبغي أن يكون إلا معه ! فسألوه عن الحجر فكرِه أن يخبرهم أنه في جوف الظليم فيذبح الظليمُ ، فيكون قد شارك في دم بعض الحيوان ، فقال : ما أخذتُ شيئاً ! وبجشوه وفتشوا كلَّ شيءٍ معه وألحوا عليه بالضرب ، وأقبل صاحبه وقال : اتقوا الله ! فأخذوه وقالوا (٤) دفعته إلى هذا حتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقرَّ (٥) فبينما هما كذلك إذ مرَّ رجلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردَّدُ فقال لهم : أكان هذا الظليمُ يتردَّدُ في الطريق حين سقط الحجرُ ؟ قالوا : نعم . قال : فهو صاحبكم . فعوضوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجرَ وقد نَقَصَ في ذلك المقدارِ من الزَّمانِ شبيهاً بِشَطْرِهِ (٦) ، إلا أنها أعطته لونها صارَ الذي استفادوه من جهةِ اللونِ أربعَ لهم من وزنِ ذلك الشَّطْرِ أن لو كان لم يذهب .
ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرِ (٧) .

- (١) العين ، بالفتح : المايئة . ومنه قولهم في المثل : « تطلب أترأ بعد عين » . انظر أمثال الميداني في هذا الرسم .
(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، في س ، ه .
(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها في س ، ه .
(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من ه .
(٥) في الأصل : « نيموتا » . وفي الجماهر البيروني ٤١ : « فضرَبوا ضرب التقرير » .
(٦) أي قريبا من نصفه .
(٧) أي النار التي تقدح من الحجر .

القول في النيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُونَ جُمَلًا في القولِ في النيرانِ وأجناسها ، ومواضعِها ، وأىُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العجمِ ، وأىُّ شَيْءٍ منها يضافُ إلى العربِ . ونخبرُ عن نيرانِ الدِّياناتِ ، وغيرِ الدِّياناتِ . وعَمَّنْ عَظَمَها وعَمَّنْ اسْتَهَانَ بِهَا . وعَمَّنْ أَفْرَطَ في تعظيمِها حتَّى عَبَدَهَا . ونخبرُ عن المواضعِ التي عَظُمَ فيها مِنْ شأنِ النَّارِ .

(نار القربان)

فمن مواضعها التي عَظُمَتْ بِهَا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جعلها لِبَنِي إِسْرَائِيلَ في موضعِ امتحانِ إِخْلَاصِهِمْ ، وَتَعَرُّفِ صِدْقِ نَبِيَّاتِهِمْ ؛ فَكَانُوا يَتَقَرَّبُونَ بِالْقُرْبَانِ . فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ^(١) مُخْلِصًا نَزَلَتْ نَارٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ حَتَّى تُحِيطَ بِهِ ^(٢) فَتَأْكُلُهُ ، فَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ صَاحِبُ الْقُرْبَانِ مُخْلِصًا فِي تَقَرُّبِهِ . وَمَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ عَلَى حَالِهِ . قَضَوْا بِأَنَّهُ كَانَ مَدْخُولَ الْقَلْبِ فَاسِدَ النَّيَّةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ ٩٤٨ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَدْيِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٣) ﴾ .

والدليل على أن ذلك قد كان معلوماً ، قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ :

(١) « فن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفي الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ قُلْتُمْ ﴾ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَتَرَ عَلَى عِبَادِهِ ، وجعلَ بيانَ ذلك في الآخرة . وكان ذلك التدبيرُ مصلحةً ذلك الزَّمانِ (١) ، ووفق (٢) طبائعهم وعِلَلهم . وقد كان القومُ من المعاندةِ والعبادةِ على مقدارٍ لم يكن لينجع (٣) فيهم وَيَكْمُلُ لمصلحتهم إلا ما كان في هذا الوزنِ . فهذا بابٌ من عظيمِ شأنِ النَّارِ في صدور النَّاسِ .

ومَّا زاد في تعظيمِ شأنِ النَّارِ في صدور النَّاسِ (٤) قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ (٥) أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وكان ذلك مما زاد في قدرِ النَّارِ في صدور النَّاسِ .

(١) في ثمار القلوب ٤٥٥ نقلًا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة في ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما في هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) في الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هي العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هي السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف في القرآن ، في ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثم قال ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان ذلك مما زاد في نباهة النار وقدرها في صدور الناس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (١) .
والنار من أكبر الماعون (٢) ، وأعظم المرافق . ولو لم يكن فيها إلا أن الله عز وجل قد جعلها الزاجرة عن المعاصي ، لكان ذلك مما يزيد في قدرها ، وفي نباهة ذكرها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ (٣) ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسَاءً لِلْمُقْوِينَ ﴾ (٤) . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسَاءً ﴾

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم آخراً ، ثم توهم مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩٩ وقد علمنا أن الله عذب الأمم بالغرق ، والرياح ، وبالخاصب (١) ، والرجم (٢) ، وبالصواعق ، وبالخسف (٣) ، والمسح ، والجوع ، وبالنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم ناراً ، كما بعث [عليهم (٤)] ماءً وريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يحرق بها شيء من الهوام وقال (٥) : « لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ » . فَقَدْ عَظَّمَهَا كَمَا تَرَى . فَتَفَهَّمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِفْهَامَكَ .

وقال الله تعالى لِلثَّقَلَيْنِ (٦) : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشواظ والنحاس ، وهما النار والدخان ، من الآيات . ولذلك قال على نسق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يعن أن التعذيب بالنار نعمة يوم القيامة ، ولكنه أراد التحذير بالخوف والوعيد بها (٧) ، غير إدخال الناس (٨) فيها ، وإحراقهم بها .

(١) الخاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تنثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرى بها .

(٣) الخسف : تغيب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجهه ما أثبت .

(شعر في بعض النبات)

وقال المرار بن منقذ^(١) :

هُوَكَانَ أَرْحَلْنَا بِجَوْ مُحْصَبٍ بِلَوَى عُنَيْزَةَ مِنْ مَقِيلِ الثَّرْمَسِ^(٢)
فِي حَيْثُ خَالَطْتَ الْخَزَامِي عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهَا لَمْ يُقْبَسِ^(٣)
أَرَادَ خِصْبَ الْوَادِي وَرُطُوبِيَّتَهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَقْدَحْ عِيدَانُهُ ،
فَإِنْ دَخَلَهَا^(٤) مُسْتَقْبَسٌ لَمْ يُورِ نَارًا .

وقال كثير :

لَهُ حَسْبٌ فِي الْحَمِيِّ ، وَإِرٍ زِنَادُهُ عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الْوَرِيُّ عَاجِلٌ^(٥)

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار المنظلي ، وهو الذي سمي بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . مجمع المرزباني ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا في (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرجلنا » صوابه في س . ط : « محصب » وأثبت ما في س ، هـ والبيان (٣ : ٣٤) . وما في ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت في (٣ : ١٢١) .

(٣) في الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت في (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ في (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زناد ، أو الزناد مفرد كالزناد ، عن كراع ، وهو ذلك الذي يقتدح به . وهي كناية عن الكرم وغيره من الحصال المحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه في هـ والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشعاله . وفي الأصل « حثه » تحريف صوابه في المخصص (١١ : ٢٧) . وصدرة في المخصص : « لم حسب » . ونما قيل في مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الملوكة خالط فيهن مرخ عفارا
ولو بت تقلح في ظلمة حصاة بنيع لأوريت نارا

والعفار والمرخ ، من بين جميع العيدان التي تُقَدِّحُ ، أَكْثَرُهَا
في ذلك وأسرعها .

قال : ومن أمثالهم : « في كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ ، واستمجدَ المرخُ
والعفار (١) » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهي النار التي كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها في الجاهليَّة الأولى ؛
فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزْمان (٢) ورَكَدَ عليهم البلاء ، واشتدَّ
الجَدْبُ ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البقر
ثمَّ عقَدُوا في أذنانها وبين عراقيبها ، السَّلْعَ والعُشْرَ (٣) ، ثمَّ صعدوا بها
في جبلٍ وعِرٍ (٤) ، وأشعلوا فيها النيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا
يَروُنَ أنَّ ذلك من أسباب السُّقيا . ولذلك قال أُميَّةُ :

سَنَةَ أَزْمَةٍ تَخِيلُ بَالِنَّا سِ تَرَى لِلعِضَاهِ فِيهَا صريرا

(١) استمجد : أسرع الوري ؛ فهو في منحه النار بمرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء-
طلباً للمجد . ط ، س : « استمجد » هـ : « استمجر » صوابهما في اللسان وأمثال الميداني .
(٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ :
٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمان ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهي الشدة . وفي الأصل :
« الأزمان » محرفة .

(٣) السَّلْع ، بالتحريك ، والعشْر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون
حطبهما لغرض الذي ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أي أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد
المغنى ٣٤٧ .

- إِذْ يَسْفُونَ بِالذَّقِيقِ وَكَانُوا قَبْلُ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فَطِيرًا (١)
 وَيَسُوقُونَ بِاقْرَأَ يَطْرُدُ السَّمَّ لَ مَهَازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ يَبُورَا (٢)
 عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي شُكْرِ الْأَذِّ نَابٍ عَمْدًا كَيْمَا تَهَيَّجَ الْبُحُورَا (٣)
 فَاشْتَوَتْ كُلُّهَا فَهَاجَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ هَاجَتْ إِلَى صَبِيرٍ صَبِيرَا (٤)
 فَرَأَاهَا الْإِلَهَ تُرْشِمَ بِالْقَطِّ وَآمَسَى جَنَابَهُمْ مَمْطُورَا (٥)
 فَسَقَاهَا نَشَاطَهُ وَكَافَ الْغَيْدُ مَثٍ مِنْهُ إِذْ رَادَعُوهُ الْكَبِيرَا (٦)
 سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتْ الْبِنَقُورَا (٧)

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين .
 والباء في : « بالذقيق » زائدة . أى يسفون الذقيق . انظر أدب الكاتب
 ٣٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفتير : ما عجل خبزه من ساعة ، ولم يترك
 حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهى رواية
 الآلوسى فى بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها
 الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س : « تبورا »

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر للطويل . ط : « عمدا » مكان « عمدا »
 هـ : « عداء » ، صوابها ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارها . يقال : هاجه
 وأهاجه . وروى فى اللسان (ثكنن) وبلوغ الأرب : « فى ثكنن الأذنان » .

(٤) كلها : أى كل الأذنان ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا
 يبرح ، كأنه يصبر أى يحبس .

(٥) ضمير رأها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشت الأرض : بدا نبتها . فى الأصل
 والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والنيث الواكف : المطر الهاطل . وفى
 الأصل : « فسقاها نشاطه واكف التبت » تحريف . منه : أى من النشاص .
 وفى الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . هـ : « إذ رأى دعوة »
 وفى الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مقعم
 بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأضمى ينشد هذه الكلمة ، فقال له علماء بغداد :
صَفَّتْ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأُنشد (١) القحذى (٢) للورل الطائي (٣) :

لادِرَّ دُرِّ رِجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ (٤)
أَجْعَلُ أَنْتَ بَيْقُورًا مُسْلَعَةً ذَرِيعةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطْرِ (٥)

= الجاحظ لتصحيف الأضمى ، كما سيأتي . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ،
كما نبه وكافى اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال للشئ فلانا : ثقل عليه .
للقاموس . يقول : أثقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل)
وأُنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (عيل) بعد أن قال : « وعالِ عَيْلًا :

أى إجهلُ » فكانته جعل « عال » مرة أخرى من المعالة . والبيت استشهد
به ابن هشام في المنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى في المزهرة
(٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأضمى . وفيه : « النيقورا » .
وليس أحد الصحيفين بأولى في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى في بلوغ
الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأضمى هو : « وغالت البيقورا » بالغين
المعجمة .

(١) ط : « فأُنشد » صوابه في س ، هـ .

(٢) القحذى هو الوليد بن هشام القحذى ، كما في البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) .
وفي لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قاله ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن
هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن
عميان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . مات سنة اثنتين وعشرين
ومائتين » . والقحذى ، بفتح القاف بمدحاه مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة :
نسبة إلى جده قحزم ، كما رأيت . وفي الأصل : « القحذى » بالدال ، تصحيف ،
صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا في الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفي اللسان
(سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه في ط واللسان (بقر ، وسلع) .

(٥) مسلعة : وضع في أذنانها وبين عراقيها للسلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(امتطراد لغوى)

قال : ويقال بَقْرٌ ، وبَقِيرٌ . وَيَقُورُ ، وباقِرٌ^(١) . ويقال للجماعة منها :
تَطْبَعُ وإِجْلٌ . وكَوْرٌ^(٢) . وأنشد^(٣) :
فَسَكَّنْتَهُم بِالْقَوْلِ حَتَّى كَأَنَّهم بَوَاقِرٌ جُلْحٌ أَسَكَّنَتْهَا المِرَاعُ^(٤)
وأنشد^(٥) :
وَلَا شَبُوبٌ مِنَ الثِيرَانِ أَفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الإِغْرَاءِ وَالطَّرْدُ^(٦)

- (١) زاد عليه في اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .
(٢) إجْل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفي الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل وجمله أبو ذؤيب في البقر أيضاً » .
(٣) البيت الآتي لقيس بن عيزارة الهذلي ، كما في اللسان (جلع) . وله ترجمة في معجم المرزبانى ٣٢٦ . وللعيزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .
(٤) جلع : جمع أجلع وجلماء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفي اللسان (جلع) : « سكتها » ، وروى في (بقر) : « أسكنتها » . وفي س : : « أمكنتها » .
(٥) البيت الآتي لأبي ذؤيب الهذلي ، كما في ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقيله ، وهو أول القصيدة :

تَأَلَّه يُبْقَى عَلَى الأَيَّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّرَاةِ رَبَّاعٌ سِنَّهُ غَرْدٌ

يقول : تأله لا يبقى على الأيام مبتقل : أى الذى يرجى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

- (٦) أى : ولا يبقى شبوب . والشبوب ، كصبور : التام انشباب . ومثله الشيب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهري : « ولا مشب » وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفي (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط في اللسان : « ولا شبوب » بالبناء على الفتح « وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » في البيت السابق في التنبيه السالف . أفردته عن كوره : جملة مفرداً عن جماعته وشرده . وروى في اللسان : « من كوره » : والإغراء =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقد عند التحالف ؛ فلا يعقدون حلفهم إلاّ عندها . فيذكرون عند ذلك ^(١) منافعتها ، ويدعون إلى الله عز وجل ، بالحرمان والمنع من منافعتها ، على الذي ينقض عهد الحلف ، ويخيس بالعهد ^(٢) .

ويقولون في الحلف : الدّم الدّم ، والهدم الهدم ^(٣) (يجركون الدال في هذا الموضع) لا يزيده ^(٤) طلوع الشمس إلاّ شداً ، وطول الليالي إلاّ مداً ، ما بل البحر صوفة ^(٥) : وما أقام رضوى في مكانه ^(٦) : (إن كان جبلهم رضوى) .

= أي إغراء الكلاب الصائحات به . والطرود ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . ه : « من النيران » محرف . وفي الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) ه : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمننا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمننا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أي قبرنا قبركم . أي لا تزال معكم حتى نموت عنكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة في اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أي لا يزيده الحلف .

(٥) في الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف .

وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني . ويروي : « ما بل بحر

صوفة » ، كما في اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهورُ من جبلهم .
 وربما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم (١) .
 ويهولون على من يُخافُ عليه الغدرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخْوِيفُ
 من حِرْمَانٍ منفعتها . وقال الكُمَيْتُ :
 كهولةٌ ما أوقد الخلفُ الحلفُ ن للحالفينَ وما هَوْلوا (٢)
 وأصلُ (٣) الحِلفِ والتَّحالفِ ، إتمامُ من الحِلفِ والأيمانِ (٤)
 ولقد تحالفت قبائلُ من قبائلِ مُرَّةَ بنِ عوفٍ ، فتحالفوا عندَ نارٍ فدَنَوْا منها .
 وعشُّوا بها (٥) . حتَّى محشَّتهم . فَسُمُّوا : المحاشِ (٦) .
 وكان سيدهم والمطاعُ فيهم ، أبو ضمرةَ يزيد بن سنان بن أبي حارثة (٧) .
 ولذلك يقول النَّابِغَةُ :

بَجَمْعِ مَحَاشِكِ يَا زَيْدُ فَإِنِّي بَجَمْعِ رَبُّوعًا لَكُمْ وَتَمِيمًا (٨)

- (١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .
 (٢) الهولة ، بالضم : ما يهول . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) .
 وكانوا يطرحون في النار ملحا يققع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة
 (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلاً أوسع . وقبل البيت كما في الخزانة :

فَقَد صرْتُ عَمَّا لها بالمشيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الْأَزُولُ

- (٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .
 (٤) الأيمان : جمع يمين ، وهى القمم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من
 س ، هـ .
 (٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالالف وبالياء .
 (٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقتة . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنومرة
 ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح
 ديوان النَّابِغَةَ للبطلاني ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ،
 تحالفوا على بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النَّابِغَةَ .
 (٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذى مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوها
 سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .
 (٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحقتُ بالنَّسبِ الَّذِي عَـبَّرْتَنِي وَتَرَكْتَ أَصْلًا يَا زَيْدُ ذَمِيًّا^(١)
وقوله : « تميم » يريد : تميم^(٢) . فحذف الهاء .

(التحالف والتماقد على الملح)

وربَّما تحالفوا وتماقدُوا على الملح . والمَّلحُ شَيْنَانٌ : أحدهما المَرْقَةُ^(٣) .
والآخِرُ اللَّبَنُ . وَأَنشَدُوا لَشْتِيمِ بْنِ خُوَيْلِدِ الْفَزَارِيِّ^(٤) :
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَالْمَلْحُ مَا وُلِدَتْ خَالِدَهُ^(٥)

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته في قيس ويقول :

إني امرؤ من صلب قيس ماجد لامدح نسبا . ولا مستنكر .
وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاة . فقال
النابغة له : أنا لاحق بمن عبرتني ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنتفي عن أصلك .
وقيس من العدنانية . وأما قضاة فكانت في العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية .
انظر ما سبق من الكلام على هذا في ص ٣٢٥ - ٣٢٦ من هذا الجزء . وفي اللديوان :
« وتركت أصلك » و « ذميا » حال من فاعل « تركت » أي فعلت ذلك
وأنت مذموم .

(٢) أي استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتيممة هي ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما
في شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله وتيمما ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد :
تيممة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم في غير النداء » . وكلمة :
« مر » هي في أصل الشرح : « مرة » . و « تيممة بن ضبة » هي في أصلها : « تميم
بن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفي القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزائنة
(٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها
بأنها المرقة .

(٤) شتيم ، ههية التصغير ، شاعر جاهل كما في الخزائنة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى في
الخزائنة أيضاً عن نوادر بن الأعرابي منسوباً إلى نهيكة بن الحارث المازني من مازن فزارة .
ورواه المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوباً إلى ابن الزبير .
وفي مقطعات المراثي ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزاري يرثي بني خالدة : كردما
وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع في الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليساك . عطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه ^(١) قول أبي الطَّمْحَانِ ^(٢) :

وإني لأرْجُو مِلْحَهَا في بَطُونِكُمْ وما بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشَعْتَ أَغْبَرَا ^(٣)

وذلك أَنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسْقِيهم اللَّبَنَ ؛ فقال : أرجو أن
تشكروا لي رَدًّا إِبِلِي ^(٤) ، عَلَى ما شَرِبْتُمْ مِنْ ألبانها ، وما بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ
أَشَعْتَ أَغْبَر . كأنَّهُ يقول : كنتم مهازِيل - والمهزولُ يَتَمَشَّفُ جِلْدُهُ
وينقبض - فَبَسَطَ ذلك من جُلودكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى ^(٥) ، وهى النار التى كانوا ربَّما أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفًا على « العباد » أو يجعل الواو وار القسم . انظر اللسان (٣) :
٤٤٤ س (٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ،
أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحنان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرقى . كان ندبما للزبير بن عبد المطلب
فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني
(١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ لبسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف
٤٩٤ والمخصص (١ : ٢٦) بالجر . وللفصيحة مكسورة الروى . وأوطا :

ألا حنَّتِ المرقالُ واشتاق رُبُّها تَذَكُّرُ أَرْمامًا وأذَكُّرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم
نزَلوا عليه فشرَبوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والرفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائل » س :
« رزائل » بهذا الإهمال . وصوابهما ما أثبت .

(٥) سماها العسكري فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبيح الأعشى (١) :

(٤٠٩) وتزِيل الآيات لمحَب الدين أفندى . وسماها الثعالبي فى ثمار القلوب ٤٥٩ =

« نار المسافر » .

«وخلّف الزائر الذي لا يحبّون رجوعه . وكانوا يقولون في الدعاء : أبعد الله
«وأسحقه ، وأوقد ناراً خلفه ، وفي إثره ! وهو معنى قولِ بشار - وضربهُ
مثلاً - :

صَوتَ وَأوقَدتَ للجَهلِ ناراً ورَدَّ عليك الصِّبَا ما استَعَارَا (١)
وأنشدوا :

وجمّة أقوامٍ حمّلتَ ولم تكنْ لتوقدَ ناراً إثرهم للتندّم (٢)

والجمّة : الجماعة يمشون في الصلح . وقال الراجز في إبله :

• تقسمُ في الحقِّ وتعطى في الجَمَمِ (٣) •

يقول (٤) : لا تندم على ما أعطيت في الجمالة (٥) ، عند كلام الجماعة
«فتوقد خلفهم ناراً كى لا يعودوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى (٦) وهى النار التى كانوا إذا أرادوا حرباً ، وتوقعوا جيشاً
عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم ناراً ؛ ليلغ الخبر أصحابهم .

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمته والأمكنة (٢ : ٣٥٧) .
واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور)
ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمّة ،
بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحروها لهم . هـ : « يقم » س ، هـ : « بالحق »
صوابهما فى ط . س : « بالجَمَمِ » صوابه فى ط ، هـ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الجمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبي فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والسكرى فيما نقل عنه
محب الدين أفندى : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندي : « نار الحرب » .

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداةُ أوقدَ في خزازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَا^(١)
وإذا جَدُوا في جَمْعِ عَشَائِرِهِمُ إِلَيْهِمْ^(٢) أوقدُوا نارَيْنِ . وهو قول

الفرزدق^(٣) :

لولا فوارِسُ تُغَلِّبُ ابْنَةَ وائِلٍ سَدَّ العَدُوُّ عَلَيْكَ كلَّ مَكَانٍ^(٤)
ضربُوا الصَّنَائِعَ والمُلُوكَ وأوقدُوا نارَيْنِ أَشْرَفَتَا على النَّيرانِ^(٥)

(١) خزاز وخزازی ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروایتين . س ، ه ، ه :
« خزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ :
٣٥٣) والمقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة
(٢ : ١٦٦) . رَفَدْنَا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » ه :
« ولما جدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد
الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة :
« فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين وهط الأخطل . الديوان
٨٨٢ - ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » ه : « ترك » محرفة
عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ،
والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمائة رجل رهائن لقبائل
العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) :
بنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يرحون بابه .
والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة للملوك العرب ،
يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه .
وأما دوسر فكانت أحسن كتائبه وأشدّها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب :
وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل :
« ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحرتين)

ونار أخرى ، وهي « نار الحرتين ^(١) » ، وهي نار خالد بن سنان ، أحد بني مخزوم . من بني قطيعة بن عبس ^(٢) . ولم يكن في بني إسماعيل ١٥٢ نبي^٣ قبله . وهو الذي أطلق الله به نار الحرتين . وكانت ببلاد بني عبس ^(٣) ، فإذا كان الليلُ فهي نارٌ تسطعُ في السماء ، وكانت طيِّئُ تنفِشُ بها إبلها من مسيرة ثلاث ^(٤) . وربما ندرت منها العنق ^(٥) فتأني على كلِّ شيء فتحرقه . وإذا كان النهارُ فإنما هي دخانٌ يفور . فبعث الله خالد بن سنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، ونزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علنا » . وأشرفنا وعلنا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلي ، ليلي مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما في المزهري (٢ : ١١٩) . أما حرة ليلي فهي من وراء وادي القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلي قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) في الأصل : « وكانت حرة ببلاد بني عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء في نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما في صحيح الأعمش (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنقش الراعي إبله : جمعها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أي ثلاث ليال ، كما جاء في ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما في صحيح الأعمش (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أي ثلاثة أيام . في الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفي ثمار القلوب : « تمش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما في عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتنمَ لها بئراً ، ثم أدخلها فيها ، والناسُ ينظرون ؛ ثم اقتحم فيها حتى غيَّبها . وسمع بعض القوم وهو يقول : [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سِنَانٍ ^(١)] : كَذَبَ ابْنُ رَاعِيَةِ الْمَعَزِ ، لِأَخْرَجَنَّا مِنْهَا وَجِبِينِي يَنْدَى ^(٢) ! فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ لِقَوْمِهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ ثُمَّ دَفَنْتُمُونِي ، فَاحْضُرُونِي بَعْدَ ثَلَاثٍ ؛ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ عَيْرًا أَبْتَرَّ يَطُوفُ بِقَبْرِي ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَانْبَشُونِي ؛ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَاجْتَمِعُوا لِذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ^(٣) ، فَلَمَّا رَأَوْا الْعَيْرَ ^(٤) وَذَهَبُوا يَنْبَشُونَهُ ، اخْتَلَفُوا ، فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ ، وَابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْفِرْقَةِ الَّتِي أَبَتْ أَنْ تَنْبَشَهُ وَهُوَ يَقُولُ : [لَا أَفْعَلُ ! إِنِّي ^(٥)] إِذَا أَدْعَى ابْنَ الْمَنْبُوشِ ! فَتَرْكُوهُ .

وقد قَدِمَتْ ابْنَتُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاعَهُ وَقَالَ : هَذِهِ ابْنَةُ نَبِيِّ ضَيْعَةٍ قَوْمُهُ .

قال : وَسَمِعْتُ سُورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَقَالَتْ : قَدْ كَانَ أَبِي يَتْلُو هَذِهِ السُّورَةَ .

-
- (١) هذه التسكيلة من الإصابة ٢٣٥١ في ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الكلام .
(٢) كذا على الصواب في محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة في الأصل . ففي ط : « وجبتي تبدل » هـ : « وجبتي يتدا » س : « وجبيني تندى » . ويندى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولقحها .
(٣) كذا في س ، وثمار القلوب . وفي ط ، هـ : « فاجتمعوا له في ذلك اليوم » .
(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .
(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر للخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوة خالد بن سنان)

والمشكلمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أن خالداً هذا كان أعرابياً
وبرياً ، من أهل شرجٍ وناظرة^(١) . ولم يبعث الله نبياً قط من الأعراب
ولا من القداين^(٢) أهل الوبر ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسكّان
المُدُن .

وقال خُليدٌ عَيْنِينَ^(٣) :

وَأَيُّ نَبِيٍّ كَانَ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ وَهَلْ كَانَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَّا مَعَ النَّحْلِ^(٤)
وَأُنشِدُوا :

كَنَارِ الْحَرْتَيْنِ لَهَا زَفِيرٌ يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ^(٥)

(عبادة النار وتمظيمها)

وما زال الناسُ كافةً ، والأُممُ قاطبةً - حتى جاء الله بالحقِّ - مُولَعينَ
بتعظيم النار ، حتى ضلَّ كثيرٌ من الناسِ لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها^(٦) .

(١) شرح وناظرة : ماءان لبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرح ، بفتح الشين
وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفي ط ، س : « شرح
وناصرة » ه : « شرح وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) القداون : أهل الوبر ، أي الذين يعيشون في بيوت من وبر الإبل ، وهم
أهل البادية .

(٣) هينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته في (١ : ٢٦٦) .
وفي الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير في قصيدة يهجوها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، ه : « تصم » . ورواية البيت
في ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير يصم لهوله الرجل السميع

(٦) في ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلوية ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبِدت ألبتة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقد يجيء في الأثر وفي سُنَّة بعض الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبد والحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثير من الناس ، فيجوزون الحد .

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم بها ، وقال : « لَا تُطْفِئُوا النَّيرانَ مِنْ بَيْوتِي » . فلذلك لا تجد الكنائس والبيع^(١) ، وبيوت العبادات ، إلا وهي لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتى اتَّخَذَت للنيران ٤٥٣ البيوتَ والسُدنةَ . ووقفوا عليها الغلاتِ الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة^(٢) وقحدم^(٣) ، أن زياداً بعث عبد الله بن أبي بكرة^(٤) ، وأمره أن يُطْفِئَ النيران ، فأراد عبد الله أن يبدأ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهي كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد في البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالبدال المهمله . والمعروف في أسمائهم : « قحزم » بالذال ، و « قحزم » بالزاي .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبي بكرة الأريعيين ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيح بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبي بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور^(١) فيطْفئها ، فقبل له : ليست للمجوس نَارٌ أَعْظَمَ من نار الكاريان^(٢) من دار الحارث^(٣) . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أَحَدٌ ، وإن أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْبِ وامتنعوا ، فابْدَأْ بِهَا . فخرج إلى الكاريان فتحصَّنَ أهلها في القلعة . وكان رَجُلٌ من الفرس من أهل تلك البلاد معروف^(٤) بالشدة ، لا يقدرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلَّ عَشِيَّةٍ ببابِ منزله^(٥) استخفافاً وإدلالاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبد الله . فقال : أما لهذا أَحَدٌ ؟ ! وكان مع عبد الله ابن أبي بكر^(٦) رجلٌ من عبد القيس ، من أشدَّ النَّاسِ بطشاً ، وكان جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى^(٧) ، هو شديدٌ جبان . وإن أمرته به خاف القتال فلم يعرض له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فيينا هو في مجلسه إذ مرَّ الفارسيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مثلَ خلقِ هذا ، وما في الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابها ما أثبت . جاء في مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفي مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذي يحمل منه ماء الورد الجوري . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً في معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا في س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لا يقدر » . ط : « معروفاً » على الخبرية .

(٥) في الأصل : « يأتي منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبي بكر » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدى » ولعل صواب ما في س : « العدولى » ، نسبة إلى عدول بفتحين فسكون ففتح ، مقصور ، وهي قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى^(١) : ما تجعلون لى إن احتملته حتى أدخِلَه الدَّارَ
وأَكْتِفَه ؟ فقال له عبد الله : لك أربعة آلاف درهم . فقال : تَفُونَ لى
بألف ؟ قال : نَعَمْ ! فلَمَّا كان الغدُ مرَّ الفارسيُّ ، فقام إليه العبدىُّ فاحتمله
فما امتنع ولا قدَّر أن يتحرك ، حتى أدخله الدَّارَ وَضَرَبَ به الأرضَ وَوَثَبَ
عليه النَّاسُ فقتلوه ، وَغَشِيََ على العبدى^(٢) حين قتلوه . فلما قُتِلَ أُعْطِيَ
أهلُ القلعة بأيديهم^(٣) . فقتل ابن أبي بَكْرَةَ المراهبة^(٤) ، وأطفأ النَّارَ ،
ومضى يُطْفِئُ النَّيِّرَ أن حتى بَلَغَ سَجِسْتَانَ .

(تعظيم الجوس للنار)

والجوسُ تقدِّمُ النَّارَ فى التَّعْظِيمِ على الماء ، وتقدم الماء فى التَّعْظِيمِ
على الأرض . ولا تسكاد تذكر الهواء^(٥) .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السعالى^(٦) والجن ، وهى غيرُ نار
الغيلان^(٧) . وأنشد أبو زيد لسهم بن الحارث^(٨) :

(١) س : « العبدى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) المراهبة : جمع هريذة ، بكسر الهاء والياء ، كزبرج ، وهو خادم نار الجوس .
وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة الجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان

(٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين

يجعلهما نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبي زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبسى » وضبط « شمير » =

- وَنَارٍ قَدْ حَضَاتُ بُعِيدَ هُدًى بدارٍ لا أريدُ بها مُقَامًا^(١)
سوى تحليلٍ راحلةٍ وَعَيْنٍ أَكَالُهَا مخافةً أن تَنَامًا^(٢)
أَتُوا نَارِي ، فقلتُ مَنْون أنتم فقالوا: الجنُّ! قلتُ: عَمُوا ظَلَامًا^(٣)
فقلتُ: إلى الطَّعامِ ، فقال منهم زَعِيمٌ : نَحْسُدُ الإنْسَ الطَّعَامًا^(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنضعه في موضعه إن شاء الله

تعالى^(٥) . بل الذي يقع ههنا قولُ أبي المطراب عبيد بن أيوب^(٦) :

هيئة التصغير . وقال أبو الحسن في ١٢٤ : « حفظى سمير » أى بالسين . وانظر
الخزاعة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء في الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث
الضبي » ومثله في اللسان (من) . ونسبه في (غير) إلى تأبط شرا .

(١) حضأت : أشعلت . هـ : « حضأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل
والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) في شرح نوادر أبي زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها
يقدر تحلة العين » . وتحلة العين : مثل في القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل
الذي يقم عليه المقدار الذي يبره قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو
وقع به وقمة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى تحيل
راحلة » أى إزالة للرجل عن ظهرها . وروى في المخصص (١ : ٩٤) الميداني (١ :
٣٢٠) مع نسبه في الأخير إلى تأبط شراً : « وغير » أكالته مخافة أن يناما » . وفي
الخزاعة عن المفضل « وغير أكالته مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ،
يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول في هذه اللغة في لسان العرب
(من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات في موضعها . انظر الحيوان
(٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بني العنبر . كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ،
ويبايت الذئاب والأفاعي ، ويؤاكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ - ٧٦١ .

فَلله دُرُّ الغُولِ أَيْ رَفِيقَةٌ لِصَاحِبِ قَفْرِ خَائِفٍ مُتَقَفِّرٍ (١) ١٥٤
أَرْتَّتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وَأَوْقَدَتْ حَوَالِيَّ نِيرَانًا تَبُوخُ وَتَزْهَرُ (٢)

(نار الاحتیال)

وما زالت السَّدَنَةُ تَحْتَالُ لِلنَّاسِ جِهَةَ النَّيْرَانِ بِأَنْوَاعِ الْحَيْلِ ، كاحتیال
رُهْبَانِ كَنِيسَةِ الْقَمَامَةِ (٣) ببيت المقدس بمصايبحها . وَأَنَّ زَيْتَ قَنَادِيلِهَا
يَسْتَوْقِدُ لَهُمْ (٤) من غير نَارٍ ، في بعض ليالى أعيادِهِمْ .

قال : وبمثل احتیال السَّادِنِ (٥) لخالد بن الوليد . حين رماه بالشرر ؛

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . في الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من
الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن
للباقلاني ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رقيقة » أى
صاحبه ، كما في هـ والمراجع المتقدمة . وفي الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .
(٢) أرتت : من الإرنان ، وهو التصويت . في الأصل : « أذنت » صوابه في المراجع . ط :
« حوالى نيران » صوابه في س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت
العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخبيل واختلال السابلة » .
وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتقر . تزهَرُ : تضيء ، وبابه منع .
والمعنى : أنها تجبو تارة وتشتمل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن
وتنزيل الآيات . وفي مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهَرُ » . وفي هذا
البيت إقواء ، فإنه مروى مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان
(٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة للقيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت في معجم البلدان
تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . في الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان
(٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء في التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلاني ،
بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت ، التى يظهر منها النار في يوم السبت
الكبير الذى صحبه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . في الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمير ، فأرسل للنبي =

ليومه أن ذلك من الأوثان ، أو عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها ،
والتعرض لها ؛ حتى قال :

يَا عَزُّ كُفْرَانَكَ لَأَسْبِحَانَكَ إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ^(١)

حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ الْغِطَاءَ ، مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النار التى توقد للظباء وصيدها . لتعشى إذا دامت
النظر . وتجعل من ورائها . ويطلب بها بيض النعام فى أفاحيصها ومكناها^(٢) .
ولذلك قال طفيل الغنوي :

عواذب لم تسمع نبوح مقامة ولم تر نارا تيم حول مجرم^(٣)

سوى نار بيض أو غزال يقفرة أغن من الخنس المناخر توأم^(٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر
والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ - ٢٤٤
بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرهما ، أو بضمهما . والمكناات : الأمكنة ومنه
الحديث : « أقروا الطير على مكناها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .

قال الزخشرى : « ويروى : مكناها ، جمع مكن . ومكن : جمع مكان

كصعدات فى صعد ، وحمرات فى حمر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقدون النَّيرانَ يَهْوُلُونَ بها على الأَسَدِ إذا خافوها . والأَسَدُ إذا عاينَ النَّارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها ، فما أَكْثَرَ ما تَشغَلُهُ عن السَّابِلةِ (١) .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

ومرَّ أَبُو ثعلب (٢) الأعرج ، على وادِي السَّبَّاعِ ، فَعَرَضَ لَهُ سَبْعٌ ، فقال لَهُ المُكَّارِي : لو أمرت غِلْمَانَكَ فَأوقَدُوا ناراً ، وضربوا على الطَّسَّاسِ (٣) ! ففعلوا فأحجمَ عنها (٤) . فأنشدني لَهُ ابن أبي كريمة ، في حَبِّه بعد ذلك للنَّارِ ، ومدحِهِ لها وللصَّوتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بَغْضِهِ لهُمَا (٥) وهو قوله :

فأحْبَبْتُهَا (٦) حُبًّا هَوَيْتُ خِلَاطَهَا ولو في صَمِيمِ النَّارِ نارِ جَهَنَّمَ
وصيرتُ أَلَدَ الصَّوتِ لو كان صاعِقاً وأطربُ من صَوْتِ الحِمَارِ المَرْمَمِ (٧)
وروى أَنَّ أعرابياً اشتدَّ عليه البرْدُ ، فأصابَ ناراً ، فدنا منها ليصطليَ بها (٨) ، وهو يقول : اللهم لا تحرِّمِنيها في الدُّنيا ولا في الآخرة ! .

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمي الثعلبي هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو ثعلب » . وجاء في الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزباني ٣٥٤ - ٣٥٥ وكذا ما جاء في نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبتت موافقاً ما في ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأحببتها » ، صوابه في س ، ه و ثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلي منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أَبْصَرَ النَّارَ اعْتَرَتْهُ الْحِيرَةُ ، الضَّفْدَعُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْقُ
فَإِذَا أَبْصَرَ النَّارَ سَكَتَ .

(نار الحياحب)

ومن النَّيرانِ « نار الحياحب^(١) » وهي أَيْضاً « نارُ أبي الحياحب » .
وقال أبو حية :

تَعَسَّرَ فِي تَغْيِيهِهِ فَإِذَا انْحَنَى عَلَيْهِنَّ فِي قَفِّ أَرْتَتْ جِنَادِلُهُ^(٢)
وَأَوْقَدَ نيرانَ الحياحبِ والتقى غَضَى تَرَاقَى بَيْنَهُنَّ وَلَاوِلُهُ^(٣) ١٥٥

وقال القطاميُّ في نارِ أبي الحياحبِ :

تُخَوِّدُ تَحْوِيدَ النَّعَامَةِ بَعْدَ مَا تَصَوَّبَتْ الْجُوزَاءُ قَصْدَ الْمَغَارِبِ^(٤)

(١) الحياحب ، يضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) في الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرتت : صوتت . ط ، ه : « أرتت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها في بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفي الأصل : « عصا » صوابه في تنزيل الآيات ٩٣ . تتراقى : تتصاعد . والولاو : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) «خود الهمير والظلم : أسرع واهتز في مشيه . وفي الأصل ، وهو هنا ط ، ه ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٣٥ . وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٥ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصويت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغرب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهي بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى للكلال كل شيء ، فهي محتفظة أبدأ بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوتت » صوابه في ه والمرجعين السابقين . وفي الأصل : « قصر » صوابه في الديوان والأمالى .

ألا إنما نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَوَتْ لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَابِ (١)
ويصفون ناراً أخرى ، وهي قريبةٌ من نار أبي الحباب . وكلُّ نار
تراها العينُ لاحقيقةً لها عند التماسها ، فهي نار أبي الحباب . ولم أسمع
في أبي حبابٍ نفسه شيئاً (٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابيُّ ، وذَكَرَ البرقُ :

نَارٌ تُعَوِّدُ بِهِ لِلْعَوْدِ جِدَّتُهُ وَالنَّارُ تُشْعِلُ نَيْرَانًا فَتَحْتَرِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا اشتوت » وتصحيح الكلمة الثانية من
الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨)
واللسان (حجب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) .
وأما « اشتوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه
الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتوا » . وقيس تؤنث
باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء . وهي رواية
جميع المصادر السالفة وكذلك المقدم (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف .
وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مر في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس
فاستقرها - أى طلب منها القرى - فقالت : أنا من قوم يشتون القد من الجوع .
قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها
بأثر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة
(٣ : ١٨٩ - ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حجب) إلى النابغة .
وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ما قال أبو حنيفة : « لا يعرف حباب ولا
أبو حباب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئاً » . لكن جاء في المخصص (١١ :
٢٨) نقلاً عن صاحب العين : « كان أبو حباب رجلاً من محارب خصفة .
وكان بخيلاً لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد :
« لتلا ترى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباب فضرب بناره المثل ؛ لأنه
كان لا يوقد إلا ناراً ضميعة مخافة الضيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نارٍ في الدُّنيا فهي تحرق العِيدانَ وتُبْطِئُها وتُهْلِكُها ،
إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تَجِيءُ بالغيث . وإذا غِيثَتِ (١) الأرضُ ومُطِرَتِ
أحدَثَ اللهُ للعِيدانِ جِدَّةً ، وللأشجارِ أغصاناً لم تسكن .

(نار اليراعة)

ونارٌ أخرى ، وهي شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبي حجاب ، وهي
« نار اليراعة » . واليراعة : طائرٌ صغير ، إن طار بالنهار كان كبعض الطير ،
وإن طار بالليل كان كأنه شهابٌ قذِفَ (٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء بروية النار)

وفي الأحاديثِ السَّائرةِ المذكورةِ في الكتاب ، أنَّ رجلاً أتى في ماءٍ
راكِدٍ (٣) في شتاءٍ بارد ، في ليلةٍ من الخنَّادِسِ (٤) ، لا قر ولا ساهور (٥) -
وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلةَ العَشرِ (٦) والبدر والطق الذي يستدير حول
القمر ، يكون كاسيراً (٧) من برْدِ تلك الليلة - قالوا : فما زال الرجلُ حيًّا

= أبا حجاب وحجابا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها
أنها شررة طارت من نار .

(١) غيشت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، ه : « غيشت »
صوابه في س .

(٢) أي الكوكب الذي ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفي الكتاب : « إلا من
خطفت الخطفة فأنبئه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « ربارد » .

(٤) الخنَّادِس : ثلاث ليالٍ من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقٍ من الشهر .

(٦) أي العشر الليالي . س ، ه : « العسر » ، صوابهما في ط .

(٧) كاسراً : أي مضعفاً ومخففاً . ط ، ه : « كاسداً » بالذال ، صوابه في س .

وهو في ذلك تَارِزٌ^(١) جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تَجَاهَ وجهه في القرية ، أو مصباح . فلما طَفِئَتْ انْتَفَضَ^(٢) .

(نار الخُلَمَاءِ وَالْمُهْرَابِ)

وقال الشَّاعر :

وَنَارِ قَبِيلِ الصُّبْحِ بَادَرَتْ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قَدْ أَوْقَدْتُمَا لِلْمُسَافِرِ^(٣)

يقول : بادرت اللَّيْلُ ، لِأَنَّ النَّارَ لَا تُرَى بِالنَّهَارِ ، كَأَنَّهُ كَانَ خَلِيعًا أَوْ مَطْلُوبًا^(٤) :

وقال آخر :

وَدَوِيَّةٌ لَا يَتَقَبُّ النَّارَ سَفْرُهَا وَتَضْحِي بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ لَهَيْدٌ^(٥)

كَأَنَّهُمْ كَانُوا مُهْرَابًا ، فَمِنْ^(٦) حَثْمِ السَّيْرِ لَا يُوقِدُونَ لِبُرْمَةٍ وَلَا مَلَّةٍ ؛

(١) التارز : الصلب الشديد . وفي الأصل : « بارد » ، وإذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفتت النار ، كسعم ، طفوا : ذهب لها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفي الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان في (١٨ : ٢٣٣) وقال في تفسيره : « قوله : حيا للنار : أراد حياة النار ، فحذف الهمزة » . ط ، ه : « نجبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليج : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جئى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أُنقِبَ النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهود المتعبة . في الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهري (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما في س ، ه .

لأن ذلك لا يكون إلا بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبسيسة^(١) ،
أو بأدنى عُلقة^(٢) . وقال بعضُ اللصوص^(٣) :

ملساً بذودِ الحَدَسِيِّ مَلْسًا^(٤) نَبَّهْتُ عَمَّنْ غَلَامًا غَسًّا^(٥)

لَمَّا تَغَشَّى فَرَوَّةً وَحِلْسًا^(٦) مِنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى كَأَنَّ الشَّمْسَا^(٧)

بِالْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ تُكْسَى وَرَسًا لَا تَخْبِزَا خَبْزًا وَبُسًا بَسًا^(٨) ١٥٦

(١) البسيسة: بالفتح، سيفسرها الجاحظ. يقال بس البسيسة: صنعها. ط، س «البسيسة» .
هـ : « بالبيسة » صوابها ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العُلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو المفهوان العقيلي ، أحد بنى المنتقق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحديسي

يعنى الرجل الحديسي الذي سرقوا إبله . والحديسي ، بالتحريك : نسبة إلى بنى

حدس ، حتى من العين . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود

الحى منى » س : « يرود الحى منى » صوابها في اللسان (حدس) ومعجم

المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بذود

الحلسى » محرف .

(٥) عنن : أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضعيف اللثيم . وفي الأصل : « قلسا »

صوابه من نوادر أبى زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزبانى : « جيسا » . والجيس ،

بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تغشى الشيء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل .

وهو ما يبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير

تحت القتب .

(٧) مثاه في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزبانى

وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة

بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تسكاسا »

س ، هـ : « تسكسا » صوابه في معجم المرزبانى ونوادر أبى زيد ١١ . ورواية المخصص

ونوادر أبى زيد : « تطللى ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد

سبق في (٣ : ٨٨) - :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتخبزنا فنبطنا =

ولا تُطْبِلَا بِمُخِّ حَبَسَا وَجَنَّبَاهَا أَسَدًا وَعَعْبَسَا^(١)
قال : والبَسِيْسَةُ^(٢) . أن يبلّ الدَّقِيقَ بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوشم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوشم^(٣) والمِيسَمِ » يقال للرجل : ما نار
إبلك ؟ فيقول عِلاط^(٤) ، أو خِباط^(٥) أو حَلَقَة^(٦) أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللّصوصُ إبلاً من الهواشة^(٧) ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما - فى الأصل : موضعهما - واقترعا على الإِبَساس وهو الحلب «
وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبي : « لا تَحْبِزُ أَحْبِزًا وَنَسًا نَسًا » وهى إحدى
روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة حبز) . وفسر
الحبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى :
« لا تحبزا حبزا وبسا بسا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء
فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسيسة » تحريف .

(٣) الوشم : التعليم على الإبِل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العِلاط ، بالكسر : سمّة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العِلاط
خطأ ، وربما كان خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الحِباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمّة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبني سعد .

وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » .

س : « أو حباط » و « حباط » محرقة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمّة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س

« جلفة » صوابه فى هـ . وانظر بابا مفصلا فى سمات الإبِل ، فى المخصص (٧ :

١٥٤ - ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبِل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وَجَمَعَهَا مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى ، فَقَرَّبَهَا إِلَى بَعْضِ الْأَسْوَاقِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ
التَّجَّارِ : مَا نَارُكَ ؟ وَإِنَّمَا يَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِمَيْسَمِ كُلِّ قَوْمٍ كَرَمَ
إِبْلِهِمْ مِنْ لُؤْمِهَا . فَقَالَ :

تَسَأَلُنِي الْبَيْعَةَ مَا نِجَارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَّتْ أَبْصَارُهَا^(١)
فَكُلُّ دَارٍ لِأَنَاسٍ دَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
وقال الكردوس المرادى^(٢) :

تسألني عن نارها وتحتاجها وذلك علم لا يحيط به الطَّمَشُ^(٣)
والطَّمَشُ^(٤) : الخَلْقُ . والوَرَى^(٥) : النَّاسُ خَاصَّةً .

تمَّ المصحف^(٦) الرابع من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى
المصحف الخامس . وأوله . نبدأ في [هذا] الجزء بتمام القول في نيران العجم
والعرب ، ونيران الديانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات ، بالضم : الجماعات من الناس

ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلفت بعضها ببعض . وفي الأصل : « النواصة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقاً شديداً . وفي الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ
زعزعتم » أي زعزعتم البيعة . وانظر رواية الرجز في الخزانة ، وأمثال الميداني
(٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرادى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفي ط : « الطمس » بالسين ، صوابه في
س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما في س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- ١ ٢٧ كلمة « الشُّبُور » مأخوذة من العبرية ، ولعلَّ أوَّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير في مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللسان . وهي في العبرية (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذي يُستعمل في الأعياد الكبرى ك رأس السنَّة . والعيد الأكبر : (عيد الصِّيَام) .
- ٢ ٢٧ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء في مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَّوْا عن أوطانهم ببيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عائمتهم أنَّه لا يرأس حتى يكون طويلَ الباع تبلغ أنامل يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت : وهو بالعبرية : (גולגות) : رُوش جالويوت .
- ٩ ٨٩ في الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النواحة » كما جاء في ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النواحة ، ذكره بعضُ من ألف في الصحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتب ، فقتله على كُفْره ورِدَّتِهِ . والنواحة : الكثيرة النوح » .

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول
العوام ، أوجريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه
(٢ : ٢٩٦ س ١١ - ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون :
ضربته . فيلحقون الياء » .

٩ « ربطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ،
وهى بنت سعيد - بالتصغير - ابن سهم . ولدت من المغيرة
عشرة رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم ينج من بنى
المغيرة فى طاعون عمواس إلا المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن
حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول
المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأول .
وانظر الرواية عنده .

١١ ١٥٥ كتب إلى الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ
١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعائى لشروحك
القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع
فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك
« الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل .
فإذا تنازلت فىنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب
بالفارسية : أرثها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال)
وتنطق الراء الأولى - التى هى فى الأصل زاي فارسية - حسب

لغة المصريين ، بحجم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أرْ دِهَاء » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أرْدِهَار » فيكون معناها آفة مكلوثة . ومعنى « أرْ دِهَاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلاً كريماً . . . » .

٤ ١٧٤ روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

٣ ١٨٤ « وسواء علينا جعلوه كلاماً وحديثاً منشوراً أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أنَّ فى العبارة تحريفاً . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأمر وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواءً على قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهدى أن ابن محيىن قرأ من طريق الزعفرانى : سواءً عليهم أنذرتهم »

أَوْ لَمْ تُنذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرةً أخرى في ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

« المحلّ باقره » أخذ هذا المعنى الخطيئة في قوله :

٨ ٢٠٣

فهل كنتُ إلا نائياً إذ دعوتني

مُنَادَى عبيدانَ المحلّ باقره

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذي دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمي من الذكور بأسماء الإناث ، في همع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » في أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعي أصل التذكير صرف ، وإذا روعي أصل التأنيث لم يصرف .

١٠ ٢١٨

« ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين

٣ ٢٢١

المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨٠) .

ولادة الدّساس ، ثبت علمياً أن الدّساس وأنواعا أخرى

١٥ ٢٢٢

من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية، ص ١١٤
طبع ١٩٣٤ .

« دون صفاتها » أى دونه إرادة صفاتها وملاحظتها . ٨ ٢٤٣
نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاحي
تكشُّ خلا الأسود ، فإنه يصفر وينسج ويصبح » . ونبح ،
يقال من بابى منع وضرب . ٧ ٢٧٠

« وكنت كالمهيق غدا يبتغى . . . الخ . تعرض هذا
البيت للتصحيح ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى »
وقد أثبت هذا التصحيح صاحب المعاهد والتنقيص ،
فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيح ،
فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل
قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فأب وماله أذنان » اهـ

وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان
سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !
ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ،
وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فأب بلا أذن وليس له قرن

فالظاهر أن « المهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا
للعير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميداني - عند قولهم :
« كطالب القرن جدعت أذنه » - :

مثل النعامة كانت وهي سائمة
أذناء حتى زهاها الحين والجنن
جاءت لتشرى قرناً أو تعوضه
والدهر فيه رباحُ البيع والغبن
فقبل أذناكِ ظلمٌ ثممت اصطامت
إلى الصّماخ ، فلا قرنٌ ولا أذن

والجنن ، بضمّتين : الجنون ، كما في اللسان (جنن ٢٤٩)
عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسي في نحوها » . ومما يستشهد به على تشبيه
الإبل المهزولة بالقسي ، قول البحرى - (انظر معاهد التنصيص
١ : ٢١٦) - :

كالقسيّ المعطّفاتِ بل الأثم . هم مبريّة بل الأوتارِ
وقول الشّريف :

خوص كأمثال القسيّ نواحلاً وإذا سمّا خطبٌ فهنّ سهامُ
٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .
ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصد
ولا خفرا زادت به حمرة الحد

ورواية البيت بتمامه عند العكبري (١: ٢٧٧) :

وتلقى نواصمها المنايا مشيخة ورود قطا صم تشايخن في ورد
وكلمة « تشايخن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها
أسرعن . والبيت في صفة خيل .

١ ٤٠٨ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة

يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفي اللسان (خرس) :
« أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق
ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك في الشتاء ؛
لأن شدة البرد تخرس البرد وتطفىء البرق » .

١ ٤١٣ خلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خلُق . بمعنى
خِلْقَة .

٢ ٤٢٧ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه

« أربعين يوماً » . وقد جاء في الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حين صعدتُ إلى الجبل لكي آخذَ لوحَى الحجر ، لوحَى
العهد الذى قطعه الربُّ معكم ، أقمت في الجبل أربعين يوماً ،
وأربعين ليلةً ، لا آكلُ خُبْزاً ولا أشربُ ماءً » .

١ ٤٣٢ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبرية . وهى فى أصلها :

(פסח) وتنطق : يسح . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور .

والعلة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر
الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

للرب الذى عَبَّرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب
المصريين وخلَّص بيوتنا . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله
عاقب المصريين وخذهم بالضرب ، متجاوزاً بيوت بنى إسرائيل
لم يمسه بسوء . والضربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله
قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكل بيكر من حيواناتهم
كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ - ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص
العبرى للتوراة : [פסח] . وهذا هو الفعل العبرى
الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته
عند العبرانيين . وعندهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبها
عربية للملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس
والنذيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمرود بذال معجمة فى آخره
كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ - ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠
ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى

وبك استعنتُ على الزَّمانِ المودى

مَالِي بَعَثَ إِلَى أَلْفِ بَعوضَةٍ وَبَعَثَ وَاحِدَةً عَلَى نَمْرُودِ

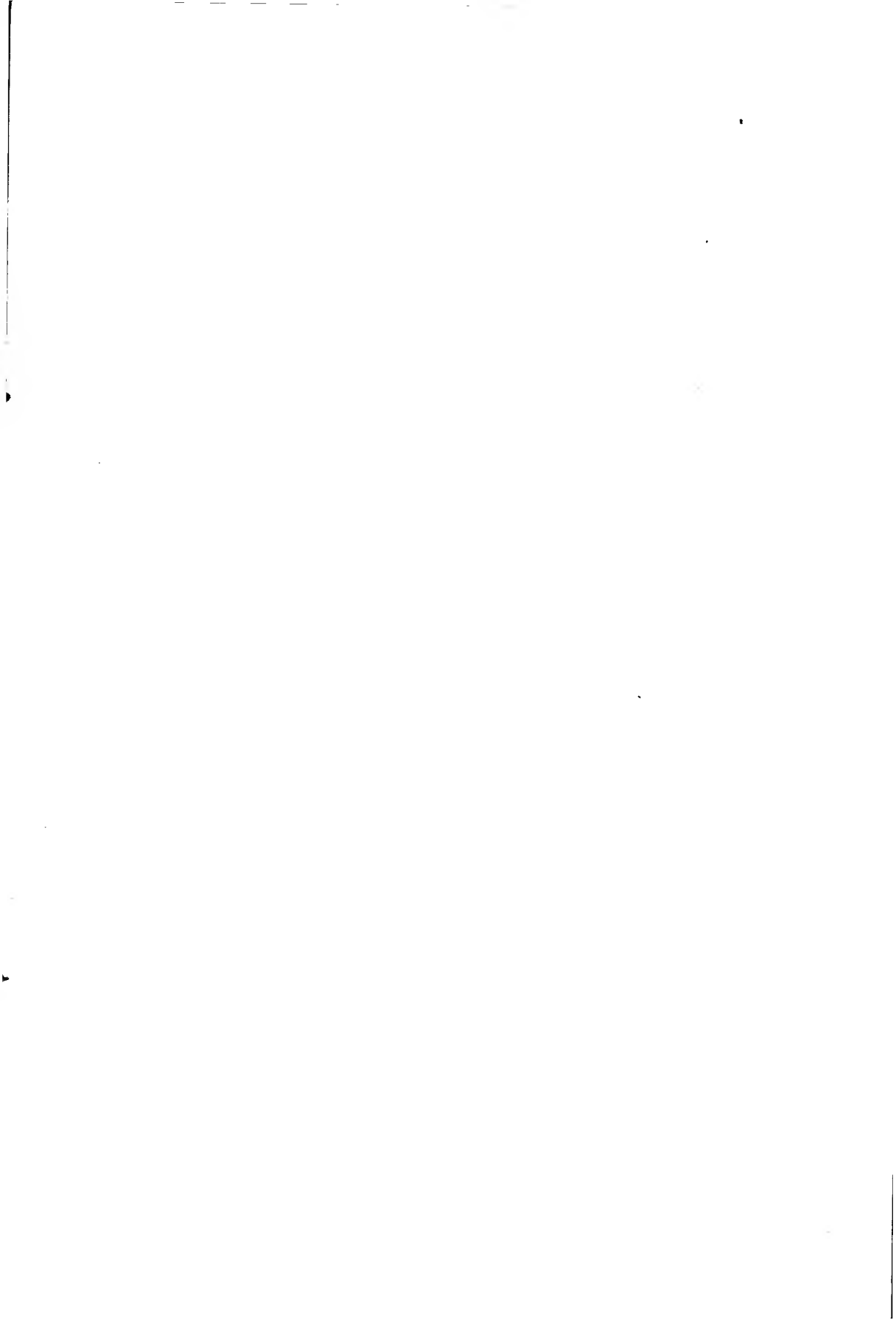
انظر شرح القاموس .

- « يا أحمَدَ المرتجى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز في مذهب الكوفيِّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح في المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون في هذا ولكنهم يفارقونهم في إجازة الضم والفتح أيضاً في المنادى العلم الموصوف بأيّ صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر مع الهوامع (١: ١٧٦) .
- ٢ ٤٥٦
- البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده في المخصص (٩: ١٠٢) وانظر الرواية فيه .
- ٧ ٤٨٧

مصر الجديدة في (أول صفر سنة ١٣٨٦)
(٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦)

كتبه

عبد الستار محمد هارون



أبواب الكتاب

	صفحة
القول في الذرّة والنمل	٥
باب جملة القول في القرد والخنزير	٣٦
رجع القول إلى ذكر الخنزير	٦٠
القول في الحيّات	١٠٧
ومن أعاجيب الحيّات	١٢٠
أصوات خشاش الأرض	٢٣٢
باب من ضرب المثل للرجل اللداهية وللحى الممتنع بالحية	٢٣٣
ما جاء في الحديث من الجهات	٢٩٢
جملة القول في الظلم	٣١٠
باب آخر وهو أعجب من الأول	٣٢٠
القول فيما اشتقّ له من البيض اسم	٣٣٥
القول في النيران	٤٦١
باب آخر	٤٦٣
